أضواء علي القرآن الكريم

المؤلف

السفير محمد أمين جبر

AMBASSADOR MUHAMMAD AMIN GABR

دار النشر

مكتبة جزيرة الورد

أضواء على القرآن العظيم

السفير

محمد أمين جبر

AMBASSADOR
MUHAMMAD AMIN GABR



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســم الكتاب : **أضواء على القرآن العظيم**

المـــــؤلف : السفير : محمد أمين جبر

رقــم الإيداع : ١٧٧٧٠/ ٢٠١٨

الترقيم الدولي: ٥-٠٨١-٨٣٤-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٨



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

القرآن العظيم



﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا
كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم
مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ
سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ
إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [المائدة:١٥ – ١٦] .

المحتويات

مقدمة

قبل أن أبدأ كتابي هـذا عـن القـرآن العظـيم لابـد أن يعلـم كـل النـاس أن الله سبحانه وتعالى أنزل القـرآن عـلى عبـده ونبيـه ورسـوله محمـد ﷺ ميسـرًا للـذكر لتحصيل به التذكرة ويحصل الادكار كما يقول : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ وكما يقـول أيضًـا :﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾[مريم:٩٧] .

ومن هنا فإن حديثي في كتابي هذا يتنـاول عـلى قـدري البشـرى المحـدود وفي إطار علمي الذي له حدود مفاهيم لبعض آيات غي هذا الكتاب المقـدس العربـي اللغة في إصداره الموحى به من الله ميسرًا للذكر وللإدكار ولفهم وتفهم واستيعاب الناس كافة في بيانه العربي الكامل والمكتمل الذي فيه علمه سـبحانه أي متضـمنًا علمه سبحانه وتعالى الذي لا يحيط أحد به وهو فوق كـل ذي علـم علـيم .. وقـد شرَّف الله سبحانه وتعالى زمن الليلة التي نزل فيها القرآن العظيم (ليلة القدر العـالي المباركة) التي استقبلت الشرف القرآني في قدره الأعلى وتشريف الإنسان والجـان والملائكة والروح والمخلوقات كلها بهذا الكتاب المقدس الذي تنزل إلى الوجود في دنيا الأرض في ليلة هي خير مـن كـل زمـن ووقـت يمثـل هـو ألـف شـهر .إن الإصدار العربي اللغة المنزل من الله بالوحي على قلب محمد ﷺ لا يعلـم تأويلـه إلا الله ورسوله والراسخون في العلم وهو كلام الله وكلام الله صفته وصفته قديمـة ليست من جنس الأصوات والحروف وهي متعلقـة باسـمه واسـمه متعلـق بذاتـه ويكون كلام الله في الكتاب المنزل باللغة العربية على قلب خاتم أنبيـاء الله ورسـله

معبرًا عن مستوى (قرآن الذات) في علمه والذي لا يعلم تأويله إلا هو سبحانه في هذا المستوى الإلهي الذاتي .

لأنه ليس لأحد علم كعلم الله أو مساوي له فهو ليس كمثله شيء في كل شيء وقد وسع علمه كل شيء أي أنه بكل شيء عليم وفوق كل ذي علم عليم ولا يحيط أحد به علما ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء .وكان الإمام محمد ماضي أبو العزائم رضي الله عنه يقول عن قرآن الذات أنه : (كلام قديم قائم بذات الله تعالى وهو صفة أزلية ليس بحرف ولا صوت ولا يقبل العدم وهو مع وحدته دال أزلا أبدًا على جميع معلومته سبحانه التي لا نهاية لها وقد عبَّر سبحانه بالنظم العربي المعجز المسمى أيضًا بكلام الله تعالى وهو معجزة رسول الله ﷺ القائمة الدائمة (كتاب الله القرآن الكريم) المنزل على رسول الله مقروء بالألسنة ومكتوب في المصاحف ومحفوظ في القلوب) انتهى .

وقد استعرضنا مفهوم(قرآن الذات) الذي عبرنا عنه سابقًا من كلام مرشدنا الإمام أبو العزائم رضي الله عنه.

لقد نزل القرآن العظيم (كتاب الله) فارقًا بفرقان آياته بين طريق الهُدى وطريق الضلال . وبين طريق الإيمان وطريق الكفر والإلحاد وبين طريق التوحيد وطريق الشرك شاملاً ومحيطًا بأمور الدين والدنيا والآخرة بسر قول الله سبحانه وتعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨] .

أي ما قصَّرنا أو ضيقنا أو أهملنا أو تركنا في الكتاب وهو القرآن العظيم من شيء من أمور الناس دينًا ودنيا وكما يقول :﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٢٧- ٢٨] .أو كما يقول : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء :١٠]وهذا الكتاب (القرآن العظيم) . ﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ . ﴿ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾[الواقعة:٧٨]

. و(محفـوظ) . (في اللـوح المعلومـاتي) [البـروج:٢١- ٢٢] وهـو في هـذه المستويات .

وكما هي نفسها في إصداره العربي الموحى بـه إلى خـاتم النبيين محمـد ﷺ ﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ بسـر قولـه تعـالى :﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخـرف :١-٤] أي عالي القدر والمنزلة والمستوى محكم بقـدر عظمـة وحكمـة الحكيم سبحانه وتعـالى : بسـر قولـه تعـالى :﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:٥٨-٥٩] .

ومحفوظ عند الله من التغيير أو التبديل أو التدخل بـأي قـدر وبـأي صـورة أو شكل ، مطهر ومنزه أن تمسه أيدي الغير أيا كانوا شـياطين أو ملائكـة أو أرواح أو روح أمين أو إنس أو جان... إلخ. فلا يقترب من مستوياته كلها أي ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ إلا المطهرون تطهيرا كاملاً ظاهرًا وباطنًا حيث أنه ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ﴾ عنده سـبحانه وتعـالى :﴿مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ﴾ في قـدرها ومسـتواها وأحاطتهـا يحفظهـا الملائكـة النورانيون وهم (السفرة الكرام البررة) . لقد بشّرت الكتب الإلهيـة السـابقة بهـذا الكتاب الخـاتم (القـرآن العظـيم) ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الشـعراء:١٩٦] وكمـا يقول الإمام أبو العزائم فإن القرآن كلام الله والفرقان أحكام الشريعة والنور تزكيـة النفوس والكتاب جامع التاريخ والذكر العبر والتذكرة والتنزيل الأخلاق .

ورغم تباين مستويات الناس في تأويل القرآن العظيم وتفسيره وفهمـه والعلـم به، فإنه قرآن واحد وكتاب واحد نزل به الروح الأمين (جبريل) عـلى قلـب خـاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليـه بلسـان عربـي مبـين في ليلـة القدر العالي في الزمان والقدر العالي للكتاب المنـزل متضـمنًا للحـق والحقيقـة إن القرآن العظيم الذي أوحاه الله إلى نبيه ورسوله الخاتم محمد كتاب مصدق لما بين

يديه من الكتاب (التوراة والإنجيل) كلهم مصدرهم واحد هو الله الواحد الأحد ..

وقد اشتمل القرآن على أمور كثيرة من أهمها أمور العقيدة (التوحيد) والتشريع (الأحكام) والأخلاق (الربانية والإنسانية) واعتبرها من تمام الإيمان والتقوى في السلوكيات الرفيعة مع الله ومع الناس وجمع بين الاثنين في نسق واحد كما في أوصاف المتقين (البقرة) أولي الألباب (الرعد) وعباد الرحمن (الفرقان)، والمحسنين (الذاريات) والأبرار (الفرقان) وغير ذلك من أمور العبادات في جوهرها في مقامات الإسلام والإيمان والإحسان واليقين (علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين) في إطار الشريعة والحقيقة ومنهاجهما لحياة الأفراد والمجتمعات والأوطان والدول وهو الدستور الواجب الاتباع والتطبيق.

فالقرآن يحتوي على الحق والحقيقة كاملين وعلى يقين العلم في قوانينه .

يوضح أن الاختلاف بين الناس في الأفكار والمذاهب والنظم سنة من سنن الله في خلقه.

يبين أن عطاء الله للإنسان المسئول مقترن بالاختيار الحر لهذا الإنسان فيما يتعلق بمعتقداته وسلوكياته ودوافعه الموجهة لها أي نياته .

قد تحدى الله سبحانه أن يأتي أحد بمثله فلم يستطيع وسيستمر إعجازه باقيًا في كل زمان وإلى أن تقوم الساعة ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨] .

فيه من الوعد ومن الوعيد والإنذار ما يحذر الإنسان من اليوم الآخر ..الزلزلة والقيامة والحساب والعذاب في النار وأيضًا النعيم في الجنة ويقدر أن حساب الناس قد اقترب وهم عنه معرضون .

لا يستوي عنده الذين يعلمون والذي لا يعلمون فهو آيات بينات في صدور

الذين أوتوا العلم ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وهم الذين يؤمنون به كل من عند ربهم ، ولا يجحد بآيات الله إلا الظالمون .

به كمل الدين واكتملت النعمة على الإنسان ورضي الله رب الناس الإسلام القرآني دينا لكل الناس وهو كلام الله الآخر ليس بعده كتاب منزل من عند الله .

من اهتدى بالقرآن الكريم فإنما يهتدي لنفسه ومن يضل عنه فإنما يضل عليها وما ربك بظلام للعبيد وهو سبحانه وتعالى يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب :﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٣] .

من هو الإنسان الذي يحق له إبداء القول بالرأي عن القرآن ؟

إن الإنسان الذي له الحق في إبداء الرأي أو الحكم الصحيح والمحايد على القرآن العظيم والمؤهل الذي يستطيع ذلك إن جاز ذلك يجب أن يكون من المؤمنين الذين أوتوا العلم ومن العلماء المتقين العالمين باللغة العربية يجيدون لغة القرآن وخفاياها . لأنهم الأقدر من غيرهم على فهم آيات القرآن العظيم كتاب الله كله لتكون النتيجة الطبيعية والمنطقية والعقلانية بالنسبة لهم هي التحقق بالشروط التي جاءت في الآيات السابقة . وهي التصديق بهذا الكتاب والإيمان به وبما جاء به وفيه كما يقول الله تعالى :﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج:٥٤] أو كما جاء في سورة سبأ :﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سبأ:٦] . إن العلم الموحى به من الله عزل وجل في القرآن هو علم كلي وشامل ومحيط وسع كل شيء وأحاط بكل شيء والقرآن العظيم كتاب موحى به من الله عز وجل :﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ

فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ والفهم لآيات هذا الكتاب في صحتها وبيانها للحقائق حُكمه متروك للعلماء المؤمنين والراسخين في العلم وفي اللغة العربية الذين يعلمون وليس كغيرهم من الناس من الذين لا يعلمون . كما أن إدراك معاني آيات القرآن العظيم لن يأتي إلا مع تقدم المعارف والعلوم الإنسانية في كل مجالاتها المادية والروحية وعندئذ فسوف تعلم وتدرك البشرية كلها من كل معتقد ودين ، معاني وآفاق وأسرار القرآن . وما أنبأ به سر قوله تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص:٨٧- ٨٨] .

وربما قد يرتقي إبداء القول بالرأي في القرآن العظيم إلى مستوى أو مقام التعليق على آيات هذا الكتاب أو بعضها ولكن لا يمكن بل لا يستطيع أن يفعل ذلك عن علم ومعرفة إلا عالم من العلماء المؤمنين بل إلا عالم راسخ في العلم من العلماء المؤمنين إن العلوم والمعارف كثيرة جدًا ومجالاتها كثيرة جدًا وتخصصات العلم فيها أكثر وأكثر ويصعب جدًا جمعها أو حصرها في كتابي هذا كما أن آيات القرآن فيما تتناوله من العلوم والمعارف يصعب إن لم يستحيل على أي إنسان جمعها أو حصرها . ولذلك فلن يحيط بآيات القرآن علما أو معرفة إلا مجموع العلماء في تخصصاتهم المختلفة ولن يصل على مستويات اليقين في ذلك إلا المؤمنون الراسخون في العلم وليس أي علماء ولما كانت هذه المهمة صعبة التحقيق كانت استحالة الإتيان بمثل هذا القرآن وكان عجز الجن والإنس متضافرين عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن :﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨] والإتيان بمثله ليس فقط في نظمه العربي المعجز وإنما في حقائقه وجوهره ومعاني آياته ما ظهر فيها وما خفي وأسراره وباطن معاني وحقائق آياته ومجالات علومه ومعارفه ومنظومة معلوماته وما تطرق أو أشار إليه ويدخل ضمن مختلف العلوم والمعارف التي تطرق إليها في عالمي الشهادة والغيب وفي ظواهر ومظاهر العالم

الطبيعي وقوانينه والعالم الروحي الغيبي واللامادي الذي ما زالت معلوماتنا فيه وقليله ، وفي كل شئون الإنسان وكافة الأمور والمسائل والنظم والأحكام والتشريعات التي تتعلق به وبحياته الفردية والأسرية والمجتمعية والاجتماعية والدولية .. إلخ في إطار عقيدة كاملة ومكتملة أساسها (التوحيد) ومما ينبغي أن يعلمه كل الناس من كل ملة ومعتقد ودين أن تأويل القرآن العظيم له من العلماء مستويات . أما المستوى الأول هو تأويل الله وهو قاصر على الله سبحانه وتعالى لا يعلمه غيره أيا كان ولا يعرفه بالتالي أي مخلوق غيره أيا كان إنسان أو ملك أو جان أو كائن روحي أونوري أو لاماوي .. من العلماء أومن غير العلماء .. وهذا المستوى خارج عن دائرة علوم العلماء جميعهم وإمكاناتهم وقدراتهم ومعلوماتهم في الحاضر والمستقبل ولا يجوز بل لا يصح أو يحق التحدث بشأنه بالنسبة للقرآن العظيم لأنه مستوى (قرآن الذات) الذي يعكس علمه الذاتي الذي لا يحيط به غيره لأنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء في كل شيء أي لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته وعلمه الأزلي الأبدي الكلي الشامل المحيط .

والمستوى الثاني هو مستوى الراسخين في العلم في كل مجالات وتخصصات المعارف والعلوم داخل دائرة الإيمان ، وهؤلاء من خلال علومهم ومعلوماتهم الإيمانية في تناولهم لآيات القرآن العظيم يقولون : ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧] ثم تتنزل مستويات تأويل القرآن العظيم وآياته إلى غير العلماء وغير المتخصصين ثم الذين لا يعلمون ويخوضون فيما لا يعلمون وهم كثيرون من كل معتقد وملة ودين يقول في شأنهم القرآن العظيم : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج :٨] ويقول أيضًا في نفس السورة : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج :٣] وعلى كل حال فإن الإنسان كان أكثر شيء جدلا كما يصفه

القــرآن العظــيم ويقــول عنــه : ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢)﴾ [عــبس :١٧- ٢٢] ويقــول :﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهـف:٥٤] وأبـرز مثـال لمثـل هـذا الصنف من الناس هم المستشرقون الكارهون للقرآن العظيم .

إن القرآن العظيم كتاب إلهي لا ريب فيه وهدى للمتقين ، فهمه وتأويله مستويات وقرأنه وتلاوته وترتيله مستويات . ففي مقام الكتاب الذي نزل به الروح الأمين على قلب النبي صلوات الله وسلامه عليه بلسان عربي مبين يقول : ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦] ويقول : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨] ويقول : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء:٤٥] .وفي وقت إيحاء الروح الأمين بكلام الله (هذا الكتاب) لحضرة النبي يقول :﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٦-١٩] هذه كلها أمثلة فقط لصلة النبي بالقرآن في هذا المستوى الدنيوي في سماواته وأراضيه حيث لا يعلم تأويله إلا الله والرسول والراسخون في العلم الذين يقولون : ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمرن:٧] .

وقد تعلم منه النبي خصائص ومعاني وأسرار ومعارف لآيات سر قوله تعـالى : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ .

لقد خلق الله الوجود الكوني كله مما نعرف ونعايش ومما لا نعرف ولا نعايش ولا نرصد وفق علمه الأزلي القديم والأبدي الدائم كما هو في (قرآن الذات) الـذي تنزل كاملا بإرادته وأمـره سـبحانه وتعـالى بـالوحي عـلى قلـب النبـي المصـطفى صلوات الله وسلامه عليه خاتم أنبيائه ورسله متضمنًا علمـه الـذاتي وفيـه معـارف

وعلوم ومعلومات وحقائق محيطة بكل شيء في الوجود الكوني وفي الوجود الإنساني في الأرض التي وضعها الله للأنام بما يبين ويوضح ما في هذا الكتاب (القرآن العربي) من حقائق ومعاني وأحكام تحوي وتحتوي الحق كله والحقيقة كلها مما نعلم ومما لا زلنا لا نعلم وحتى يرينا الله آياته في هذا الوجود الكوني في آفاقه وآفاق النفس الإنسانية وما فيهما من إعجاز أو كما يقول القرآن العظيم : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣] .

لقد خلق الله وبنى وركّب مفردات هذا الكون وكل ما فيه ومن فيه وفق علمه الذاتي أي وفق تقديره وما هو مقدر عنده في علمه فيما وصفه القرآن بأنه (كتاب) أي كتاب القدر وفيما نفذه سبحانه في (قضائه) و (كان) بأمره من سر الكلمة الآمرة (كن) الظاهرة بطاقاتها في الكون وما فيه فيما كان وفيما هو كائن وفيما سيكون وكما يقول : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس :٨٢] . ولنا في أسرار الكلمة الآمرة قول آخر في كتاب آخر لنا مستقل إن شاء الله .

ومن آيات القرآن العظيم نختار بعض الآيات للدلالة على صدق ما قلناه :

١ -﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤١-٤٢].

٢ -﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٢٧-٢٨] .

٣ -﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:١٥- ١٦].

٤-﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس:٣٧] .

٥-﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] .

٦-﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٣] .

٧-﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨] .

٨-﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] .

٩-﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء:١١٣] .

١٠-﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة:١٥] .

١١-﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨] .

١٢-﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾[النحل:٦٤].

١٣-﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الأحقاف:١٢] .

١٤-﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[المائدة:٤٤] .

١٥ –﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾[المائدة:٤٦] .

١٦ –﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الأعراف:١٥٧] .

ويعتبر القرآن العظيم كتاب إلهي (سماوي) أوجب على الإنسان التفكير في أسرار الكون وخفايا الوجود ووصف المتأملين في هذا بأنهم وحدهم أولو الألباب وإن الذين لا يتدبرون لا يعقلون وهو بهذا يريد أن يصل الإنسان المؤمن بهذا التفكير والنظر إلى معرفة المبدع الأول ووحدانيته وكماله والإيمان به عن طريق العقل لا عن طريق التقليد أو الموروث الخاطئ ولتكون المعرفة عند العلماء والصفوة متراوحة بين المعرفة العلمية والمعرفة الرياضية والمعرفة الميناقيزيقية والمعرفة الصوفية والمعرفة البصيريه في معلوماتها الزائدة على الحواس .

(EXTRA SENSORKY PERe EPTION – E. S . P)

وإن إشعاع القرآن في جنبات الأمة العربية أنارها بعد ظلمه وهداها بعد حيرة ونظمها بعد اضطراب وفتح أذهان أبنائها بعد انغلاق لأنه أضاف إلى لغتها ألفاظ جديدة وتعبيرات فنية وعلمية لم يكن للعرب عهد بها من قبل وعرَّب كثيرًا من الكلمات الأعجمية فاتحًا بذلك بابا عظيمًا للتراث اللغوي منبهًا إلى وجوب النظر في الكون العام وفي النفس الإنسانية وفي قوانين وسنن الإله والأسباب والمسببات منيرًا بذلك مصابيح طريق الحكمة واكتسابها إن كل ما وصلت إليه الإنسانية بعقولها وما كدَّ فيه أفذاذ المفكرين أذهانهم عن طريق المعرفة ووسائل كشف أسرار الكون موجود في القرآن الذي فيه كنوز نفيسة تعجز أفصح اللغات عن

وصـفها أو التعبيـر عنهـا لأنهـا سـماوية واللغـات أرضـية ، والأرضـي لا يتسـع للسماوي إلا تقريبًا للأذهان رحمة لأهلها وتيسيرًا على العقول إشفاقًا عـلى أربابهـا وتفضلا عليهم رسمًا لظواهرها ولا تصويرًا لمظاهرها ولا حصـرًا لأسـرارها ولا تحديدًا لخفاياها ولا تغلغـلا إلى أعمـاق حكمهـا : ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩] .

إننا سنجد في القـرآن العظـيم جميـع طـرق المعرفـة التـي تتطـابق مـع مراتـب الإنسانية ودرجاتها وتتجـاوب مـع حاجاتهـا وضـروراتها .. فنجـل هـذا الكتـاب ونوقن بإلهيته .ومـن هـذه الطـرق طريـق النظـر إلى ملـك السـماوات والأرض . وطريق الأسباب والمسببات وطريق الشعور الباطن وطريق المعقولات المحضة. وطريق البديهيات العقلية النقية . وطريق التنسك . وطريق النظر والتأمل . وطريق التجربة .. وغير ذلك .

عن لغة القرآن العربية

إن في العربية وهي لغة القرآن خصائص لغوية وبيانية وموسيقية . قلّ أن تجتمع لسواها .

إنها لغةُ الإيجازِ البليغ ، والسُّلّم الموسيقيِ الكامل .

لغةٌ اجتمعت لها كلُّ الحروف ، وصَحَّت المخارج : لا تندغَمُ في الحلـق ، ولا تتآكل على أطراف اللسان ، ولا تَتَحَور في ذبـذبات اللهـاة ، فيهـا مـا يقـرع السـمع عنيفًا، وفيها الدمْثُ اللين ، وما بين بين .

لغة غَنِيَت حروفًا ، فَغَنِيَت جذورًا : لا تعرف اللواصـقُ مـن رواكـب وروادف وفي غيرها ينوء جَذْرُ اللفظ بأوزاره ، فيغيمُ المعنى في ضـباباته ، أمـا هـي فَتَنْجِـتُ الألفاظَ والأوزانَ للمعنى وضده ، وللمعنـى وقريبـه ، وللمعنـى والمشـتق منـه ، وللمعنى والمتداخل معه ، ما أن يقع بصرك على اللفـظ حتـى يسـتعلن لـك بكـل معناه ، ودلالاتِه .

لغة تَفَنَّنَت في أوزانها ، ونَوَّعَت في تراكيبها طرائق شتى .تمد بـالإعرابِ أواخِـرَ الكَلِمِ ، تهْمِزُ وتُسَهِلُ ، وتصل وتقف ، وتُنَوَن وتُرَخْمِ ، فما استعصى عليها نَغَم .

وتلك كلها خصائص قرآنية .

وقد أفاد القرآن من العربية ، وأفادت العربيـة مـن القـرآن .لكـن الـذي أفادتـه العربية من القرآن أضعاف الذي أفاد القرآن :

جَمَع مادتها ، وأحكم نحوَها وصرفَها وإِعرابَها ، ورسم لهـا نموذجهـا الأعـلى ليس هذا فحسب ، بل تَكَفَّل الله بحفظ القرآن ، فكفل لها القرآن حياتها ، ونماءهـا وبقاءها .

وقد مضى على نزول القرآن بالعربية أربعة عشـر قرنًـا ، بـادت خلالهـا لغـات وتحورت لغات ولا تزال اللغة العربية تعيش بساعاتها الأولى .

وليس لها كما يعرف أهل العلم – نظير في كل اللغات قديمها وحديثها .

وأما الذي أفاده القرآن من العربية و فهو أنها اللغة التي هُيِّئت لـه لا يصـلح إلا لها .

ولسنا هنا في مقام المفاضلة بين لغة ولغة ، فاللغات كلها من آيات الله سـبحانه وقد أنعم بها على الإنسان العاقل الأول المكتمل العقل باكتمال التسوية والنفخ من الروح (آدم) .

ولكن الذي لا يتوقف عنده كثيرون ، وربما قل من يفطنون إليه .هـو أن اللغـة العربية – عصر بدء نزول القرآن في مطلع القرن السابع للميلاد ، على قلة النـاطقين بها يومذاك – كانت هي دون منازع أرقى لغات العالم القديم ، ليس فحسب أرقاهـا بلاغة وفصاحة وجمالا ، وإنما أيضًـا ، وبالمقيـاس اللغـوي البحـت ، أرقاهـا دقـة وكمالا وعلى سبيل المثال فإن الأبجدية العربية (٢٨ حرف لـيس مـن بينهـا الـلام ألف) تزيد على الأبجدية العبرية (٢٢ حرف) بستة أحرف كما توجد فروق بينهما في النحو والصرف وتفوق العربية بوفرة المادة اللفظية الأصلية (الجـذر الثلاثـي) إنما يعني أصالة العربية وسبقها للعبرية (وللآرامية أيضًا)في الزمان والمكان وصح عند اللغويين أن العربية هي أم اللغات السامية جميعًـا وهـي اللغـة الأكثـر حروفًـا

الأعز جذورًا والأوفر أوزانًا الأضبط نحوًا وموازين صرف (١) .

لم يكن ينقصها لتصبح اللغة العالمية الأولى يومذاك غلا أن تتجاوز حدودها الجغرافية السياسية الضيقة ، فتشيع بين الناس في المشارق والمغارب .

وقد تكفل القرآن بذلك . يقول المؤرخ جوج سارتون في كتابة «تاريخ العلم » (الكتاب الأول) : «إن المسلمين عباقرة الشرق في القرون الوسطى لهم أثر عظيم على الإنسانية يتمثل في أنهم تولوا كتابة أعظم المؤلفات والدراسات قيمة وأكثرها أصالة وعمقًا مستخدمين في ذلك لغتهم العربية التي كانت بلا شك لغة العلم للجنس البشري في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثامن الميلادي وحتى نهاية القرن الحادي عشر لأنه كان يتحتم على الشخص الذي يريد الإلمام بثقافة عصره وبأحدث ما يجري فيه من علوم أن يتعلم اللغة العربية » .

وهي لغة القرآن .. ولكن ..

ولكن .. ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان: ٣٠]

وفي منطقتنا في الشرق لم تعد هناك حضارة قائمة تقوم عليها اللغة وإن اللغة تهاوت عندما تهاوت الحضارة نفسها ولكن لم يكن في أي من اللغات التي ازدهرت بازدهار الحضارات القديمة في الشرق الأدنى ثم انهارت بانهيار هذه الحضارات ، لغة تنتمي إلى كتاب في عظمة القرآن يعصمها أن تزول ولذلك لم يكن لنا نحن المصريين في مطلع القرن السابع للميلاد أثارة من لغة حضارتنا الفرعونية القديمة التي درست ولا لغتنا الفصحى في هذه الحضارة وهي اللغة التي ترنَّم بها اخناتون

(١) يراجع في تفصيل ذلك كتاب « من إعجاز القرآن» لرؤوف أبو سعدة وفيه معلومات كثيرة عن اللغات وعن اللغة العربية وتميزها .

قديمًا أو التي حاور بها فرعون موسى وهارون .

لم يبق من المصريين في مطلع القرن السابع من تكلم المصرية الفصحى أو يفك رموزها أو يكتب بها وإنما آلت المصرية الفصحى إلى قبطية دارجة تكتب بأحرف يونانية ابتدع رسومها الفينيقيون من قبل بلهجات تعرف وتظهر فيها ألسنة الغزاة الإغريق فالرومان ومسحة من آرامية وفارسية انتقلت إليها مع جيوش قمبيز .

واللغة الآرامية هي (اللغة التي كان يتحدث بها السيد المسيح وبها كان إنجيله الذي لا وجود له الآن بين الأناجيل المتداولة حاليا التي كتبها أصحابها باليونانية (بعد أزمان طويلة من نزولها على الرسول عيسى) وكانت اللغة العربية هي أم اللغات السامية جميعها قبل نزول القرآن الكريم .

يقول مارتن برنار في كتابة «أثينا السوداء» أنه : «لدى دراسته لمفردات اللغة اليونانية اكتشف أن ٢٥٪ منها تعود لأصول سامية وأن ٢٥٪ أخرى تعود لأصول مصرية بما في ذلك معظم أسماء الآلهة والأماكن اليونانية وتعود بقية المفردات لأصول أخرى» .

وقال أنه عندما درس تاريخ اليونان القديم وجد أن اليونانيين القدامى كانوا يعتقدون أن حضارتهم نشأت نتيجة استيطان مصري فينيقي واختلاط هؤلاء مع سكان أصليين حوالي ١٥٠٠ عام قبل المسيح ، وأن اليونانيين استمروا يستمدون كثيرًا من ثقافات الشرق الأدنى .

وقد كشف الدكتور إدوارد سعيد في كتابيه : «المستشرقون» ، «وتغطية الإسلام» مدى تحريف المعارف الغربية للحقائق الموضوعية وذلك لخدمة مصالح ذاتية وعلى سبيل المثال كان المستشرق (كريمر) يعتبر أن الفضل في التصوف الإسلامي مثلاً يرجع إلى الرهبانية المسيحية وقال إن تصوف الحارث

المحاسبي تصوف مسيحي وهو قول خطا تمامًا لأن تصوف المحاسبي سني خالص ويعتبر المقدمة للإمام أبو حامد الغزالي قمة التصوف السني ، وهذا مثال واحد فقط من التحريفات الكثيرة للحقائق الموضوعية في الإسلام وفي المعارف المشتقة من القرآن العظيم التي نشرها كثير من المستشرقين خطأ وتخريبًا .

عن القرآن العظيم

إن القـرآن العظـيم هـو القـرآن المجيـد والقـرآن الكـريم والكتـاب الحكـيم والكتاب المكنون وكتاب لا ريب فيـه وأم الكتـاب أي أصـل كـل الكتـاب وكـل تقدير [١] وكل شيء في الوجود ومعلوم لله في علمه الذاتي .

أن القرآن العظيم كما يقول الدكتور المهندس/ محمد الحُسيني إسماعيل[٢] :

«**القرآن العظـيم**» : المعجـزة الخالـدة .. الباقيـة عـلى مـر الـدهور والعصـور والحضارات ..إلى أن تقوم الساعة .. هو دستور الوجـود الكـلي الـذي بنيـت عـلى أساسه مفردات وكليات هذا الوجود على نحو مطلق . بصياغة «رياضة / فيزيائية » بالمعنى المطلق تمثل نهاية الإحكام والدقة يتضـمن –القـرآن المجيـد– البرهـان الذاتي والبرهان العام على صدقه وتفرده في الدقة والكمالات يحـدد بدقـة متناهيـة ماهية الله (عز وجل) وكمالاته وفعله الكلي . كما يحدد بدقة علاقة «الله»(سـبحان الله) بالبشرية والخلائق . كما يحدد الهـدف مـن خلـق الإنسـان (أي لمـاذا خلـق الإنسان؟) ، والغايات من وجوده .. كما يعرف المصير والتناه كما يحدد الوجـود وغاياته فيتحدث «الله» – الخالق المتعال– بكلماته المطلقة .. على البشـرية جمعـاء

(١) أي المكنون (المُقَدَّر) في كتاب القدر فيما هو معلوم لله في علمه الذاتي .

(٢) الحاصل على دكتوراه في هندسة القوى والمحركات من جامعة القـاهرة – ودكتـوراه في الهندسـة الكهربائية من جامعة أيوا(IOWA) الأمريكية والعضو المتميز بجمعيـة المهندسـين الأمريكيـة الدولية والعضو الناشطة بأكاديمية العلوم الأمريكية بنيويورك وعضو عالمي بجمعية تقدم العلوم الأمريكية والحاصل على وسام الجمهورية (من الطبقة الثانية في مصر) . والنقل من كتابه «الحقيقة المطلقة» ، الناشر مكتبة وهبة .

.. من خلال كلمته القرينية الخالدة .. وعلى البشر والخلائق جميعا أن تسمع في خشوع .. !! يحدث الإنسان بوجود العوالم الأخرى .. وهي عوالم مكلفة شأنها في هذا شأن الإنسان ..!!! يحدد صلات هذه العوالم بالإنسان .. وصلات الإنسان بهذا العوالم ..!! وهي عوالم تحكمها قوانين مغايرة لما نألفه في عالمنا المادي هذا ..!! كما يشرح النظريات الكبرى .. فهو دستور الوجود لهذا كان قوله تعالى عن كلمته الخالدة للرسول ﷺ :

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:٨٩] .

(ونزلنا عليك : يا محمد / الكتاب : القرآن المجيد/ تبيانا لكل شيء: لبيان كل شيء في هذا الوجود) .

تمثل نصوص «القرآن الكريم» - المعجزة الخالدة والمتحركة مع الحضارات والزمن – تناهي الصياغة البشرية الغير متطاولة .. لأنه نزل بلغتهم ..صياغة ذات تناهي الإحكام الرياضي والفيزيائي معا .. في التشريع .. المعاملات .. في الأخلاق في العبادات .. في الحكمة .. في العلم .. في الوجود كله ..أكوانه .. وسماواته .. وما فيها .. ومن فيها ..!!

يفتح الآفاق أمام الإنسان لتخطي حدود المحدود .. ليتحقق التناغم بينه وبين اللا محدود تحت إيقاع قيثارة لحن الوجود .. !! » انتهى .

إن القرآن عظيم لأنه تنزيل من العظيم والقرآن حق لأنه تنزيل من الحق والقرآن نور لأنه تنزيل من الله النور والقرآن روح لأنه طاقة والقرآن حجة لأنه برهان ودلالة وهو دعوة لأنه شريعة وحقيقة وهو رسالة لأنه هداية علم ومعرفة وهو دين لأنه دنيا وآخرة .. وهو كلام الله الآخر لأنه تنزيل من الله الأول والآخر

وهو ذكر وتذكرة ومحفوظ من رب العالمين كما يقول :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

والقرآن بهذه المعاني وغيرها مما لا أعلمه ولا أدركه ولا أحيط به تنَّزل بالبيان العربي في ليلة من ليال دنيا الأرض هي ليلة القدر العالي والمقدار الأعلى بواسطة الروح المقدس الأمين شديد القوى وذو الحصافة نزل ليحتويه قلب إنسان بشر مصطفى من الله لإبلاغه للناس كافة هو محمد خاتم رسل الله وخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه .

هذا القرآن العظيم قد بهرت العقول بلاغته وظهرت على كل قول فصاحته وأحكمت آياته وفصلت كلماته . وجامعًا للكلمات التامات ورموزها في السور والآيات وأصبح محفوظًا في القلب والعقل والذاكرة للنبي بسر :﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الأعلى:٦- ٨] وحتى صار النبي لوح محفوظ فيه القرآن العظيم وبيت معمور بمعاني آياته وقلب منير بأوجه إعجازه وعقل مستنير بهديه .

وقد وصف الله هذا القرآن بأوصاف معبرة عن قدرة العظيم ومقداره الكبير وإعجازه البالغ في ألفاظه ومعانيه وفي احتوائه ومحتواه للحق والحقيقة في الموجود في الوجود المشهود والغائب وحقائق كل شيء فيهما ولذلك قال جل شأنه لرسوله المتلقى للقرآن ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل:٥] وقال :﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر:٢١] وفي نفس المعنى وصفت الجن كتاب الله بأنه :﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ .

والقرآن ليس كتابًا للنظريات العلمية أو جامعا لها ولتفصيلاتها العلمية لأنه

كتاب دعوة وحجة نزل برسالة خالدة لدين خالد هو جوهر كل الأديان الإلهية التي سبقته وكتبها التي سبقت القرآن العظيم خاتمها ينظم ويصحح للبشرية عقائدها في الله بالتوحيد الصحيح توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية ويضع لها أسس وأصول التنظيمات والنظم الواجب مراعاتها في بنيان الدولة الوطنية فيها بالشورى و الحكم والاقتصاد والمال والاجتماع والخلاق والمعارف والعلوم والعلاقات فيها والصلات الأسرية الإنسانية وبين الرجال والنساء والكبار والصغار والشعوب والدول القبائل والأقوام والأوطان .. والكثير غير ذلك مما لم أذكره ..ومع ذلك أقول إن القرآن العظيم لا يتناول تفصيلات كل علم بما يتناوله من حقائق وتفاصيل ودقائق وفروض وافتراضات ونظريات ومسائل إذ ليس من طبيعته ذلك باعتباره كما قلت دعوة وحجة بالدين فهو يهيئنا للحقائق ويدعونا في نهجه إلى الأخذ بالعلم واحترام العلم والعلماء والراسخين في العلوم والاستزادة من العلم في كل أنواعه ومجالاته واستخداماتها في إطار عقائد وأخلاقيات الدين وقيمه الروحية وفيما ينفع الإنسانية ولا يضر أو يفسد أو يعكر السلام والتعاون السليم بين الناس والأمم والشعوب . ويجدر التنويه أيضًا إلى أن القرآن العظيم يدعو الناس إلى استعمال العقل والتعقل والتفكير والفهم والنظر والتدبر والبحث والدرس والتعلم والاعتصام بالوحي الذي يعتبر مصدرًا صحيحًا ومأمونًا ويقينيًا من مصادر المعرفة للإنسان . فالقرآن الكريم كتاب جاء بالحق من الله الحق مصدقًا لما أنزل الله من كتب على رسله السابقين ويقول في ذلك : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران :١-٤] .

وبمصدر التنزيل الواحد كانت الوحدة في التنزيل نفسه أي التوافق وعدم

الاختلاف في كل الكتب الإلهية التي حملها وبلغها رسل الله إلى الناس للأقوام الموجهة لهم رسالتهم حسب تتابع الرسالات وتتابع رسل الله وحتى زمان ووقت خاتم الرسالات ووقت وزمان ظهور وبعث خاتم الرسل .

إن كلمة الله واحدة وقد أتمها في خاتم كتبه التي أنزلها ويقول فيها :﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام:١١٥] وهكذا كان الإنجيل الذي أنزله الله على نبيه المسيح عيسى بن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة وفي الاثنين هدى ونور وموعظة للمتقين [المائدة :٤٦ في القرآن] .

وهكذا بشر موسى وبشر عيسى بن مريم بخاتم رسل الله الذي يأتي من بعدهما واسمه أحمد (أي المحمد) وهو الرسول الذي كما يقول الله في خاتم كتبه القرآن العظيم :﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات:٣٧] ويقول : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس:٣٧] ويقول لمحمد رسول الله وخاتم النبيين : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة:٤٨] إن وحدة الجوهر ووحدة الغايات ووحدة الأهداف التي تتماثل في كل الكتب السماوية وتعبر عنها هذه الكتب يمكن أجمالها في توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية والتنزيه اللائق بالإله وصفاته العلى وفقا لمفاهيم طاقات الجمال والجلال والكامل في مظاهرها أو ما يخفى منها وما ينبني على هذه المفاهيم من قيم ومثل الأخلاق الفاضلة الكريمة في كافة تشعب مجالاتها ومحيطاتها وشؤونها المتعلقة بالإنسان في حياته . حيث إن الدين في قوامة الحق وفي تقييم الإنسان المؤمن المتدين بحق هو الخلق الفاضل الكريم الذي يقول عنه خاتم رسل الله والنبيين «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»

وكان هو ﷺ كما وصفه الله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] .

أي أنه قد بعثه ربه ليتمم مكارم الأخلاق التي بدأها رسل الله السابقون وكان آخرهم قبله عيسى بن مريم الذي قنن منظومة كبيرة وعظيمة من مكارم الأخلاق استطاع الرئيس الأمريكي السابق الموحد بالله توماس جيفرسون إبرازها في الإنجيل الذي وضعه باسمه (إنجيل جيفرسون)وقال عنها «أنها أعظم دستور أخلاقي جاء للإنسان والإنسانية عن المسيح النبي ورسول الله الذي لم يدعي أكثر من أنه إنسان بشر ورسول من عند الله » والذي يجب أن يعلمه كل إنسان أن رسالات الله كلها ودياناته القديمة والحديثة كلها جوهرها واحد وهو (التوحيد) وكتبها جوهرها واحد يقوم على (مكارم الأخلاق) وعلى القيم والمثل العليا في السلوك والتعامل والعلاقات لأن مصدرها وباعثها واحد ثابت لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل لا شريك له لا في ذاته ولا في سننه وقوانينه ولا في مبادئه وتعاليمه ولا اختلاف أو خلاف في كتبه أو بين أنبيائه ورسله .ولذلك يقول القرآن العظيم :﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى:٣٠] وهكذا على سبيل المثال كانت الديانة التاوية ( )الصينية القديمة والبراهما ( ) والبرهانية الهندية وكانت البوذية التي جاء بها البوذا في أصلها وهو (المستنير) .. وغيرها .ويقول القرآن العظيم للنبي محمد ﷺ عن رسل الله ورسالاتهم : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [غافر:٧٨] ولا اختلاف بين رسل الله إلا بمقدار سعة الرسالات نفسها وقدرها وقدر الرسل عند الله

سبحانه وتعالى وبما يدخل في أحد معاني ما يقوله القـرآن العظـيم : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة:٢٥٣] وإن كان المؤمنون لا يفرقون بين أحـد مـن رسله باعتبارهم الاصطفائي الرسولي وما جاؤا بـه مـن الله سـبحانه وتعـالى جميعًـا .فالدين واحد في حقيقته وجوهره وأهدافه وهو الإسلام بمعنى التسليم لله الواحد والإنابة إليه في المعنى الذي تحويه الكلمة وفي الإتباع للمعنى الذي يمثلـه كتـاب الله الخاتم (القرآن العظيم) لهذا المعنى في شـموله وإحاطتـه وتعبيـره دائمًـا عـن الحق في المسطور والمنظور مما كتبه الله رب العالمين سـبحانه وتعـالى قـديمًا أو محدثًا ومخلوقًا ، .ولكـن أكثـر النـاس لا يعلمـون وربمـا لا يفهمـون المعنـى في الاسم أو المبنى الديني . الذي قالت به الكتب السابقة وقال به الأنبيـاء والرسـل السابقون جميعهم . إنه بهذا المعنى من (الإسلام) الذي فهمه واعتقـده وتحقـق بـه السابقون من الأنبياء والمرسلين جميعهم المبعوثين من الله الواحـد رب العـالمين برسالات متماثلة في جوهرها من مكـارم الأخـلاق وفي مبناهـا مـن التوحيـد وفي معناها من الإسلام والتسليم لله. وكانت الرسالات كلها للرسـل كلهـم واحـدة في معناها من التسليم له والسلام معه ومع النفس الذي يقول عنه رب العزة في القرآن العظيم : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩] ولذلك كان من المنطقي والمفهوم والمقبول أن يقـول القـرآن العظـيم :﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥] والآيات في هذا السياق والمعنى كثيرة أذكر منها :

١ -﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء:١٢٥] .

٢-﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام:١٦١] .

٣-﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٣] .

إن ملة إبراهيم كانت الحنيفية أي أنه كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٠]. وكما يقول القرآن العظيم في سورة آل عمران : ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٦٧] .لأن التوراة (كتاب موسى) والإنجيل (كتاب عيسى) لم يتنزل إلا من بعد إبراهيم الذي كان كما ذكرنا تابعًا ومتبعًا لدين الله الواحد في معناه الصحيح الواحد (الإسلام) أي التسليم لله الواحد .وكان عليه السلام يقول عند رفعه القواعد من البيت الحرام (الكعبة) هو وابنه إسماعيل : ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٨] ويقول الله في القرآن العظيم : ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة:١٣١- ١٣٢] .إن العلاقة بين إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما علاقة وثيقة قوامها (الإسلام) وكانت لإبراهيم دعوتان تحققتا بعد سنين طويلة في الزمان – الدعوة الأولى إلى ربه سبحانه وتعالى أن يبعث في الناس رسولا منهم بنفس دين الإسلام الذي كان يعتقده ولكن في كمال واكتمال ووسعة وإحاطة وشمول يبينون حقيقة التوحيد ومقاماته مع التوجه إلى الله وحده دون شريك بالإسلام له والإنابة إليه وتسليم الوجه والوجهة له سبحانه والسلام معه ومع النفس ومع الآخرين : ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ

ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩] والدعوة الثانية كانت كما يقول القرآن العظيم :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:٣٥] والبلد هي (مكة) وكان النبي ﷺ في زمانه يقول : «اللهم إن أبي إبراهيم دعاك أن تحرم مكة وأنا أدعوك أن تحرم المدينة » [(١)] لقد كان منبع الإسلام عند إبراهيم ومحمد ﷺ منبعًا واحدا والمعين واحدا والساقي إله واحد والمعتقد الديني التوحيدي واحد ، بنفس القيم الأخلاقية ونفس التربية ونفس العبادة ونفس اليقين وحتى اقتران اسم إبراهيم باسم محمد صلوات الله وسلامه عليه في الصلاة في التحيات .

ولذلك يقول القرآن العظيم : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:٦٨] .

وإنني في كتابي هذا تناولت موضوعات محدودة قليلة جدًا من الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن العظيم لأنه ليس في استطاعتي ولا في استطاعة غيري أيا كان أن يتناول كل وكافة الموضوعات التي جاءت في كتاب الله الخاتم الذي لم يفرط الله فيه من شيء وهو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم شاملة لكل شيء أسسه وأصوله أومحيطة بكل شيء في أسسه وأصوله إجمالاً و تفصيلاً أحيانًا. وذلك في صورة ميسرة للذكر وللفهم والتفهم والتدبر والاتعاظ والاعتبار وحتى يعقل ويفهم العالمون والراسخون في العلوم أمثاله وآياته ومعانيه وقصصه وحقائقه ومعارفه وعلومه في دلالاتها وإشاراتها في ظاهرها وباطنها ونظمها وتنظيماتها وأحكامها وأوامرها ونواهيها في شريعتها وحقيقتها ومنهاجها وكل مجالاتها . لذلك ولغير ذلك لم يكن وليس في استطاعة أحد ، ولن يكون إنسان كان

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والإمام أحمد .

عالم أو غير عالم أو جان أو ملك أو شيطان ، أن يأتي (بمثل) هذا القرآن ، والمثلية كما ذكرت في السابق في مبناه ليست فقط في نظمه اللغوي وإعجازه البلاغي وإنما هي مثلية في كل شيء ومعناه وشموله في محتواه وكافة مجالات وأشكال إعجازه الكثيرة وهو قد كان التحدي الذي واجه به محمد رسول الله ﷺ قومه أهل الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن الإتيان بمثله أو حتى بمثل سورة من سوره والتحدي هو نفس التحدي الدائم والمستمر عبر العصور وعبر الأجيال من الناس ومن العلماء ومن الذين يعلمون العاجزون دومًا عن الإتيان بمثل هذا القرآن في كل ما اخبر به في نظمه ومبناه وفي مضمونه ومعناه وفي معارفه وعلومه وفحواه المنظور والمشهود والغائب غير المرئي أو المشهود من محتوى إخبار آياته .

وسيكون كتابي هذا مشتملاً على أفكار من عندي تعتبر مفاهيم لي ليس إلا فتح الله بها عليَّ وألهم نفس بها في تقواها ، كما سيكون مشتملاً على أفكار ومفاهيم من عند غيري عبرت عنها بكلماتهم تلقى أيضًا -كمفاهيمي – أضواء على القرآن العظيم مما ربما لا يعرفه كثيرون ممن تناولوا آيات كتاب الله بالبحث والدراسة من غير المؤمنين به الذين منهم كثيرون لا يجيدون أو يتقنون فنون اللغة العربية لغة القرآن العظيم في بلاغتها وفصاحتها ودلالاتها في ألفاظها ومعانيها الظاهرة والباطنة وحَدَّها ومطلعها خاصة من المستشرقين غير المؤمنين الذين لم يدرسوا أو يتقنوا أو يجيدوا اللغة العربية التي من خلالها يتيسر فهم وتفهم آيات القرآن العظيم ودلالاتها باللغة العربية من خلال كل وكافة فنون البلاغة من بيان فيه التشبيه والمجاز والكناية والاستعارة ومعاني بليغة في خبرها وإنشائها وبديع يحوي الطباق والجناس والسجع والتورية والمقابلة وأحوال اللفظ ثم اشتقاق القرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وما احتوى عليه القرآن من تلوين الخطاب وفنون الفصاحة والبلاغة في ظاهر اللفظ وما فيه من مجاز وحذف

وإضمار وعموم وخصوص وإطلاق وتقييد .. وغير ذلك .

وإن ما ذكرت في كتابي هذا عن القرآن العظيم ليس كما قلت إلا مفاهيم وخواطر وإلهامات وليس تفسيرًا أو تأويلاً لأن تفسير القرآن العظيم ليس مباحًا لكل الناس وبدون قيد أو شرط وخاصة الدراية بعلوم العربية ، وكل الذين تعرضوا لقضية إعجاز القرآن أجمعوا على أن فقه العربية لغة وبيانا هو أداة النظر في الإعجاز . وكما تقول الأستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) [١] : «اتجهت الجهود لحماية لغة الإسلام دينا ودولة إلى جمع تراث الفصحى الأصيل وتدوينه ، وعكف عليه العلماء من القرن الثاني للهجرة يستخلصون منه الفصحى معجم ألفاظها ويستنبطون بالاستقراء والقياس ، قواعد نحوها وتصريفها واشتقاقها وخصائص أساليبها في التعبير والبيان . ويمكن القول بأن جمهرة الكتب المؤلفة في مفردات القرآن وأقسامه وإعرابه ومجازه وبديعه ودلائل إعجازه ، تأخذ مكانها في المكتبة اللغوية والبلاغية . ويأتي مع علوم العربية سائر علوم القرآن مما لا يتصور أن يتصدى مفسرًا لتأويله وهوي يجهل مثلاً أسباب نزوله والمحكم بالتفصيل والمتشابه وقراءاته ورسم المصحف مع دراية بعلوم الحديث من حيث كانت السنة مفسرة للقرآن ومفصلة لما أُجمل فيه مع دراية كذلك بعلم التوحيد وأصول الدين وأحكام الفقه المستنبطة من الكتاب والسنة ..» انتهى.

إن القرآن الكريم يحتاج في الحديث عنه والقراءة المتدبرة له بالفهم والتأويل والبيان والإعراب إلى نسخه مطابقة تمامًا للأصل الكامل المكتمل الموجود والمحفوظ في المصحف الجامع لآياته وسوره ، أي أن القرآن الكريم موضوع كتابي هذا يحتاج لتبيين وتوضيح وبيان موضوعه في محتواه بقدره الصحيح الحق

(١) في كتابها : «لغتنا والحياة» .

إلى القرآن نفسه أي أن كتاب الله يحتاج إلى كتاب الله نفسه ليبينه وليس إلي أي كتاب آخر من وضع وإعداد وصنع الإنسان أو غير الإنسان لأن مثل هذا الذي يعده الإنسان لا يوفي كتاب الله حقه ولا حتى يقترب من ذلك ولا يصح أن يستدل به على ذلك لأنه ليس في استطاعة أي إنسان أيا كان ولا في استطاعتي طبعًا أداء مهمة إعطاء كتاب الله ما يستحقه من قدر ومقدار يوفيه حقه ولسبب منطقي بسيط وهو أن المخلوق لا يستطيع ولا يقدر أو يمكن أن يتناول بالتأويل والتفسير والشرح والبيان والتناول الشامل الكامل لكلام الخالق الذي يسع كل شيء علما وهو فوق كل ذي علم عليم ولا يحيط أحد به علما . إن القرآن لذلك هو الكتاب الإلهي الذي لا ريب فيه هدى للمتقين وجامعًا لكل وكافة الموضوعات والمسائل المنظمة لدين ودنيا المؤمنين به فرادى وأسر ومجتمعات وأوطان ودول وأمم وشعوب وتأويلها من خلال آياته التي تتناول كل المجالات وبما يتبين منها إعجازه سواء البلاغي البياني أو الإخباري والقصصي أو التشريعي أو العلمي في لفظه ومعناه ومبناه وغير ذلك من أوجه الإعجاز والتحدي . إن المصحف الذي يحوي كلام الله القرآن لا يحتاج إلى مؤلف مني أو من غيري لأن الناس في فهمهم المعلوماتي ومحدودية إمكاناتهم العلمية وضعفها الموضوعي لن يصلوا إلى وصفه أو التعريف به في حقيقة وحق قدره . فهو فوق منال أعلى القوي والطاقات إدراكًا وفوق منال أعظم النفوس إشراقًا وفوق منال أكبر وأعلم العلماء علما ومعرفة ولأن الله الذي أنزله بعلمه بكل شيء عليم وفوق كل ذي علم عليم في عالمي الغيب والشهادة وفي كل العوالم لا يخفي منها عليه سبحانه شيئًا فقد وسع سبحانه كل شيء علما .

وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية بعضًا من أقوال العلماء المسلمين في إعجاز

القرآن العظيم [(١)] البلاغي. في كتاب «علوم القرآن وعلم البيان» يمكن الرجوع إليه.

وكتب في أوجه إعجاز القرآن كثيرون منهم الإمام عبد القادر الجرجاني (دلائل الإعجاز في علم المعاني) والباقلاني (إعجاز القرآن) والرافعي (إعجاز القرآن) ورشيد رضا (تفسيره المنار) وابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن) وابن جرير الطبري(جامع البيان) وأبو الحسن الأشعري (مقالات الإسلاميين) والجاحظ (الحجة في تثبيت النبوة) وأبو الحسن الخياط وأبو على الجبائي (نقد كتاب «الدافع» لابن الراوندي) وحديثًا الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة (المعجزة الكبرى القرآن) والدكتور عبد الله شحاته (علوم التفسير وكتابه في التفسير) وغيرهم كثيرون .

وقد ذكر الإمام القرطبي مثلا عشر أوجه للإعجاز في الأسلوب والمعنى أوجزها فيما يلي :

١-النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وغيره .

٢-الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب .

٣-الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال .

٤-التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي حتى يضع فهم

(١) نشرته مكتبة القرآن بعابدين بالقاهرة والكتاب تناول علوم القرآن البلاغية عامة وعلم البيان خاصة.
فتحدث عن الفصاحة والبلاغة وعن الحقيقة وأنواعها والمجاز وأقسامه والاستعارة والمعاني وأنواعها وما يتعلق بالألفاظ من الفصاحة وأحوال اللف ثم اشتقاق القرآن والآية والسورة والحرف والكلمة وما احتوى عليه القرآن من تلوين الخطاب وفنون الفصاحة والبلاغة وأجناس التجنيس ..

الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف في موضعه .

٥-الإخبار عن الأمور الماضية التي تحققت .

٦-الوفاء بالوعد في كل ما وعد الله سبحانه والمدرك بالحس في عيان .

٧-الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي ولا يقدر عليه البشر .

٨-ما تضمنه من العلم الذي هو قوام جميع الأنام في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام والموضوعات والمجالات .

٩-الحكم البالغة غير التي تجري بها عادة الناس .

١٠-التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرًا وباطنًا من غير اختلاف .

سورة الفاتحة

ذكر الإمام القرطبي أن للفاتحة اثنى عشر اسمًا وردت في أحاديث رُويت عن رسول الله ﷺ وأن أشهر هذه الأسماء ثلاثة هي : الفاتحة وأم الكتاب والسبع المثاني .ونفس المعنى رواه الترمذي عن أبي بن كعب ورواه الإمام أحمد في المسند .أما الحديث الذي أخرجه البخاري وذكر فيه أن النبي قال لأبي بن سعد بن المُعلى : «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن : الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيه» فالمعنى الواضح أن الفاتحة سورة من سور القرآن وأعظمها وأنها بما تضمنته واشتملت عليه من أصول الدين وفروعه ومعاني القرآن العظيم ومقاصده ومبادئه وأحكامه كما في العقيدة والعبادة والتشريع والإيمان بالبعث وبأسماء وصفات الله الحسنى والتوحيد وإفراده سبحانه بالعبادة والاستعانة واللجوء إليه بالدعاء من خلال رحمته ورحمانيته وبيانها (أي الفاتحة) لأصناف الناس من الذين أنعم الله عليهم بالهدى والهداية والاهتداء ثم المغضوب عليهم المنحرفين غير المهتدين ثم الضالين في عقائدهم ومعتقداتهم كفرًا وإلحادًا وشركًا ونفاقًا وفي سلوكهم ومعاملاتهم وتعاملاتهم وقد سميت الفاتحة بعدد من الأسماء كما ذكرت ووصفها بالقرآن العظيم ليس لأنها فعلا كل وكامل كتاب الله أي القرآن نفسه وإنما لتضمنها ما ذكرناه من موضوعات أصول الدين وفروعه ومعتقداته في توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية . والفاتحة هي السورة الوحيدة في القرآن العظيم التي يجب قراءتها في كل ركعة من ركعات الصلاة المفروضة والمسنونة على السواء (وإن كان في هذه المسألة أقوال أخرى) وقد روى عن النبي ﷺ «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» (رواه الجماعة)

وذلك لما تمثله من أهمية خاصة في كل ما اشتملت عليه في ألفاظها ومعانيهـا التـي ذكرناها سالفًا وغيرها مما لم نذكره ولا نعرفه . وأود أن أذكر هنـا مـا ذكـره الإمـام القرطبي في تفسيره ونقله عنه الدكتور وهبة الزحيلي في تفسيره «التفسير المبين» من أن أغلب الأحاديث المروية في فضائل سور القرآن موضوعة أو مكذوبـة وضـعها الزنادقة أو أصحاب الأهواء والمطامع أو السؤال الواقفون في الأسواق والمساجد أو واضعوا الحديث حسبة كما زعموا ؟.

وذكر صاحب المنار(١) سبعة أوجه لإعجاز القرآن أهمها :

صدور القرآن من امي ، وبلاغتـه الفائقـة ، وغرابـة أسـلوبه ، وأنبـاؤه الغريبـة الصادقة .

وقد بالغ بعض المحدثين في عد وجوه الإعجاز حتى ادخل فيها ما لـيس منهـا والقرآن غني عن إطرائه بما ليس فيه ولا من خصائصه ويحضرني في هذا المعنى ما رواه البخاري :أن رسول الله ﷺ قال : «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، قالوا إنه ابن الله » .

كما أن بعض المبشرين المحدثين حاول النيـل مـن القـرآن فـذكر أن إعجـاز القرآن مقصور على الناحية اللفظية وهي ناحية الفصاحة وحدها . وتطرق من ذلك إلى أن الفصاحة لا تخص القرآن وحده يشترك معه كل كلام فصيح ،وهي مغالطـة مكشوفة ، فأسلوب القرآن يتميز على غيره من الأساليب من ناحية لفظه ومن ناحية معناه .

(١) الأستاذ رشيد رضا .

عن إعجاز القرآن وخصائص أسلوبه

فمن خصائص الأسلوب القرآني ما يأتي :

١-مسحة البداوة مع اشتماله على بسائط الحضارة .

٢-إرضاؤه العامة والخاصة .

٣-إرضاؤه العقل والعاطفة .

٤-جودة السبك وإحكام السرد .

٥-براعته في تصريف القول .

٦-جمع القرآن بين الإجمال والبيان .

٧-القصد في اللفظ مع الوفاء بالمعنى .

وكذلك قال الإمام أبو طالب المكي : (ظاهر كلام القرآن على معنيين عجيبين هما مجمل مختصر ومفصل مكرر ، فإجماله واختصاره للبلاغة والإيجاز قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴾. ويكرره وتفصيله للإفهام والتذكار قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾. وقال تعالى في المبهم المجمل والتوحيد المفصل (الر) فهذه ثلاثة أسماء الله لطيف رحيم وقيل هي حروف من اسم الرحمن ثم أظهر السبب فقال : ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ يعني بالتوحيد ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾. أي بالوعد والوعيد ثم قال :﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ ﴾ أي للأحكام ﴿خَبِيرٍ﴾. أي بالأحكام خبير بالتفصيل للحلال والحرام ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾.وهو التوحيد الذي أحكمه ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾. وهو الوعد والوعيد الذي أعلمه .) انتهى .

ثم تحدث الإمام أبو طالب المكي عن الإعجاز في المختصر للإيجاز والمبدل المضمر المختصر والمضمر والمبدل والموصول المكرر والمكني المبهم المشتبه والموحد معناه الجمع والجمع المراد به الواحد والجمع المكني والمقدم والمؤخر والمعطوف المضمر وما حمل على المعنى والمؤخر بعد توسط الكلام ، وهو مشهد عموم أهل العلم بأوجه إعجاز القرآن العظيم البلاغية وهي وجه واحد فقط من أوجه أعجاز القرآن الكريم الأخرى .

وكل ذلك يسير من كثير جرى التنويه به للذين لا يعلمون والذين هم على اكتمال صحيح المعلومات مفتقدون وخاصة من الذين يوصفون بأنهم مستشرقون وفهمهم باللغة العربية وسعيها في بلاغتها جاهلون ومنهم متحاملون وغير منصفين أو محايدون ولا يعرفون إن ترجمة القرآن بأي لغة غير العربية ليس قرآنا وليست متضمنة قدره الإعجازي .

وللإمام برهان الدين بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ تفسير مخطوط بدار الكتب المصرية ، اسمه : «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» وهو تفسير جليل جمع فيه من أسرار القرآن ما تتحير فيه العقول ، واهتم ببيان ارتباط الجمل بعضها ببعض وتناسق الآيات واتساق المعنى وترابطه .

ومن اظهر من كتب في هذا المعنى من المفسرين في العصر الحديث الإمام الشيخ محمد عبده ، فقد عنى ببيان الوحدة الفكرية للسورة وبيان التناسب بين آياتها وتعلق نظم القرآن بعضه ببعض ، ورأى أن فكرة السورة يجب أن تكون أساسًا في فهم آياتها والموضوع يجب أن يكون أساسًا في فهم الآيات التي نزلت فيه ، ورفض كل تفسير لا يحقق و حدة الهدف والتناسق بين أجزاء السورة ، وتأثر بالإمام جيل من أساتذة التفسير في هذا العصر منهم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز عليه رحمة الله .

لقد كانت رؤية الأستاذ الإمام للقرآن الكريم [1]، والـنهج الـذي نهجـه عنـدما عزم على تفسيره أحد المعالم البارزة في الإصلاح الديني عنده ، فـنحن واجـدون في هذه الرؤية مثلاً :

١-تحديده لمعنى الإعجاز الحقيقي للقرآن الكـريم .. فهـذا لـيس لغويًـا ، في الأساس ، كما أنه غير مستمد من كونه كتاب فن أو أدب أو تاريخ أو علوم.. وإنما من كونه كتاب دين يهدي الناس إلى المجتمع الفاضل والطريـق السـوي والخلـق العظيم ، على مر الأزمنة . ورغم اختلاف المكـان وتعـدد الأجنـاس .. ذلـك هـو الإعجاز الحقيقي للقرآن .. «فـالقرآن لـيس كتابًـا فنيًـا فيكـون لكـل مقصـد مـن مقاصده باب خاص به ، وإنما هو كتاب هداية ووعظ ينتقل بالإنسان من شأن مـن شئونه إلى آخر .. ولذلك فإن التفسير الذي نطلبه هو : فهم الكتاب مـن حيـث هـو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة ، فإن هذا هو المقصود الأعلى منه ، وما وراء هذا من المباحث تابع له ، أو وسيلة لتحصيله .. ».

٢-إعلاؤه شأن العقل في تفسير القرآن ، وهو كتـاب الـدين الأول الأساسـي ، ورأيه في وجوب أن يطرح الذين يريدون تفسير القرآن تفسيرًا حـديثًا مسـتنيرًا ، أن يطرحوا جانبًـا «رؤيـة» السـابقين مـن المفسـرين ، وأن يتـزودوا فقـط بالأسـلحة والأدوات اللغويـة ، وشـيء مـن أسـباب النـزول ، ومعلومـات السـيرة النبويـة ، ومعارف التاريخ الإنساني عن حياة الكـون والشـعوب التـي يعـرض لهـا القـرآن الكريم .

فهو يعتبر أن «رؤية» المفسرين السابقين قد ارتبطت بالمستوى العقلي ودرجـة العلم التي بلغوها وتحصلت لمجتمعاتهم وبيئاتهم الثقافية ، ولـيس بالضـرورة أن

(١) نقلاً عن كتاب «الإمام محمد عبده» للأستاذ الدكتور محمد عمارة .

يكون عقلنا واقفًا عند ما بلغوه فقط ، ولا أن تكون حصيلتنا الفكرية هي فقط ما حصلوه .. وهو لذلك يحدد منهجه في تفسير القرآن ، ويدعوه إليه عندما يخاطب أحد أعضاء [جمعية العروة الوثقى] ، فيقول له : «داوم على قراءة القرآن ، وتفهم أوامره ونواهيه ، مواعظه وعبره ، كما كان يتلى على المؤمنين والكافرين أيام الوحي ، وحاذر النظر إلى وجوه التفاسير إلا لفهم مفرد غاب عنك مراد العرب منه، أو ارتباط مفرد بآخر خفي عليك متصله ، ثم اذهب إلى ما يشخصك القرآن إليه ، واحمل نفسك على ما يحمل عليه ، وضم إلى ذلك مطالعة السيرة النبوية ، واقفًا عند الصحيح المعقول ، حاجزًا عينيك عن الضعيف والمبذول » .

وفي إطار النهج التجديدي للأستاذ الإمام في تفسير القرآن نلتقي بملامح متميزة ، ونلحظ عددًا من المبادئ التي حددها والتي تستوجب منا الإشارة والانتباه .

فمنهجه العقلاني في التفسير ، عندما ينظر للقرآن «ككتاب دين » في الجوهر والأساس ، يدعونا إلى رفضه مذهب أولئك الذين ينظرون إلى القرآن كديوان للعلوم والفنون . ذلك أن حمل العلوم على القرآن ، وما يسمى «بالتفسير العلمي » لبعض آياته ؛ إما أن يؤدي إلى قسر هذه الآيات كي تطابق النظريات العلمية ، أو تكلف الصلات بين هذه الآيات وتلك النظريات ، أو إلقاء الشبهات على صدق النظريات ، عند قوم ، وعلى صدق الآيات عند آخرين ؟! .. وفي كل الحالات ، فإن هذا المنهج يقيد «العقل العلمي » بما لا ضرورة له ولا فائدة فيه من القيود والأغلال ! الأمر الذي ينافي إرادة الله وأمره لنا بالنظر والتدبر في كتاب الكون وما فيه من سنن ولآيات .. ثم إن هذا النهج ، اللاعقلي ، في تفسير القرآن، إنما ينطلق من فهم خاطئ لطبيعة الدين والرسالة السماوية ، عندما يخلط بين مقاصدها

الروحية ، التي هي المقاصد الأولى ، والأهم لها ، وبين نشاط العقل الإنساني وثمرات التجربة الإنسانية ، اللذين لم يشأ الإسلام أن يقيدهما بما يعوقهما عن الغزو والسياحة ، والفتح في مختلف الميادين .

وتطبيقًا لهذا المنهج الذي نهجه الأستاذ الإمام في التفسير ، وجدناه ينكر ويستنكر موقف الذين يبحثون عن حقائق العلوم الطبيعية في القرآن والدين .. فيقول :« إنه لو كان من وظيفة النبي أن يبين العلوم الطبيعية والفلكية ؛ لكان يجب أن تعطل مواهب الحس والعقل ، وينزع الاستقلال من الإنسان ، ويلزم بأن يتلقى كل فرد من أفراده كل شيء بالتسليم ، ولوجب أن يكون عدد الرسل في كل امة كافيًا لتعليم أفرادها في كل زمن ما يحتاجون إليه من أمور معاشهم ومعادهم ، وإن شئت فقل : لوجب ألاَّ يكون الإنسان هذا النوع الذي نعرفه ! نعم ، إن الأنبياء ينبهون الناس ، بإجمال ، إلى استعمال حواسهم وعقولهم في كل ما يزيد منافعهم ومعارفهم التي ترتقي بها نفوسهم ، ولكن مع وصلها بالتنبيه على ما يقوى الإيمان ويزيد العبرة . لقد أرشدنا نبينا ﷺ ، إلى وجوب استقلالنا دونه في مسائل دنيانا في واقعة تأبير النخل ؛ إذ قال :« أنتم أعلم بامور دنياكم» ،ومن هنا كان السؤال عن حقيقة الروح خطأ .. كما كان السؤال عن علة اختلاف أطوار الأهلَّة خطأ .. بل عده القرآن من قبيل إتيان البيوت من ظهورها ! ..» فأبواب بيوت هذه العلوم هي العقل والتجريب ، وليس النقل وكتب الدين .

أما ما عرض له القرآن الكريم من إشارات كونية ، فإن مقصده منه – في رأي الإمام محمد عبده – هو العظة والعبرة ، لا تقرير الحقائق وإيراد النظريات ، فمثلا: «حقيقة البرق والرعد والصاعقة وأسباب حدوثها ، ليست من مباحث القرآن ؛ لأنها من علم الطبيعة (أي الخليقة) ، وحوادث الجو ، التي في استطاعة الناس معرفتها باجتهادهم ، ولا تتوقف على الوحي وإنما تذكر الظواهر الطبيعية في

القرآن لأجل الاعتبار والاستدلال ، وصرف العقل إلى البحث الذي يقوى به الفهم والدين .. يذكر القرآن إجمالاً ، من آثار الله في الكون تحريكًا للعبرة وتذكيرًا بالنعمة ، وحفزًا للفكرة ، لا تقريرًا لقواعد الطبيعة ، ولا إلزامًا باعتقاد خاص في الخليقة » وقد أكد الأستاذ الإمام أن الدين إذا جاء بشيء بعلو على الفهم فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل فالدين عرف بالعقل ولابد من اجتهاد يعتمد على الدين والعقل معًا حتى نستطيع أن نواجه المسائل الجديدة في المدنية الجديدة .

وجدير بالذكر أن فضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله كان يقول : «لا خصام عندنا بين العقل والدين فالعقل هو أداة فهم الوحي والكون على السواء ، وما دمت مستقيمًا مع عقلي فأنا متشبث بديني بعيد عن الانحراف عنه ، فالإسلام يعتمد الفكر الذكي والحواس اليقظة في تقرير مختلف أنواع المعارف وقد عد القرآن «الغباء» و و «بلادة الحواس » و «قلة الوعي» طريقًا إلى النار : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩] انتهى.

وقد سبق أن عبَّر علماء المسلمين عن الصلة الحميمة بين الدين والعقل بما لا يدع مجالا لأي تناقض بينهما وفي ذلك يقول حجة الإسلام الغزالي المتوفى ١١١١م) . «العقل كالأساس والشرع كالبناء ولن يُغنى أساس ما لم يكن بناء ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل وهما ليسا متضادان بل متحدان» . وكذلك فإن للإمام الشاطبي أقوال في هذا الموضوع الذي يتناول مقاصد الشريعة والعقل ، وغيره كثيرون .وهذا موضوع فيه دراسات وآراء عديدة ويحتاج إلى بحث ودراسة أخرى مستقلة عن كتابنا هذا .

أما مرشدنا الروحي الإمام محمد ماض أبو العزائم فيعتبر تفسيره «أسرار

القرآن» من جملة التفاسير التي ألقيت دروسًا في المسجد الجامع بمدينة الخرطـوم حيث امتدت إقامته هناك إلى ما يقرب من عشر سنين (١٩٠٥- ١٩١٥) . ولم يكن يُدونها قبل نشرها بين الناس ولذلك كان رضي الله عنه يعني ببيان المعاني أكثر من عنايته بتخريج الأحاديث والآثار ونسبة الأقوال إلى أصحابها نظـرًا لمـا قـد يمليـه الموقف أو تحكمه الظروف ، وقد بنى الإمام أبـو العـزائم نهجـه في التفسـير عـلى التفسير بالمأثور ثم التفسير بالرأي .فكان يعني في الأول بكشـف معـاني التنزيـل . وبيان المراد من نصوص القرآن الكريم بما جاء في القرآن نفسه أو نقل عن حضرة النبي ﷺ أو الصحابة أو التابعين ، أي أنه رضـي الله عنـه أقـام منهجـه في التفسـير بالمأثور على الأسس الستة التالية :

١-العناية بتفسير القرآن بالقرآن .

٢-وتفسير القرآن بالسنة النبوية .

٣-تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .

٤-إيراد القراءات وتوجيهها .

٥-ذكر أسباب النزول .

٦-الاحتراز من ذكر الروايات الإسرائيلية .

كما كان الإمام أبو العـزائم يُعنـي بالاسـتعانة بالصـحيح مـن أسـباب النـزول ويؤكد دائمًا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

أما التفسير بالرأي أو بالدراية أو بالاجتهاد في فهم النص القرآني والكشف عن معانيه في حدود الضوابط الشرعية والكشف عن مرامـي ألفاظـه ومـدلولاتها فهـو اجتهاد ضمن دائرة النص الموجودة في الأصول اللغوية والشرعية وبعـد تحصـيل

العلوم والتحلى بالآداب التي ينبغي توافرها في المفسر لكتاب الله تعالى . ويلاحظ أن تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد نوعان :

الأول : التفسير المقبول الممدوح وهو التفسير المبني على المعرفة الكافية بالعلوم اللغوية والقواعد الشرعية والأصولية : أصول الدين وأصول الفقه .وعلم السنن والأحاديث ولا يعارض نقلاً صحيحًا ولا عقلا سليمًا ولا علمًا يقينيًا ثابتًا مستقرًا . مع بذل غاية الوسع في البحث والاجتهاد . والمبالغة فيتحري الصواب وتجريد النفس من الهوى والاستحسان بغير دليل مع مراقبة الله تعالى غاية المراقبة في كل ما يقول .

والثاني : التفسير المذموم وهو التفسير من غير تأهيل له بالعلوم التي لابد منها للمفسر أو التفسير بالهوى والاستحسان أو التفسير المقصود منه تأييد المذهب الفاسد والرأي الباطل أو تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى .

وقد اهتم الإمام أبو العزائم بالعناية ببيان المناسبات بين الآيات وقد قال الإمام السيوطي أن علم المناسبات والمناسبة بين الآيات والسور : « ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها ، عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني ..» .وهذا علم قلَّ اعتناء المفسرين به لدقته وإن كان تميز فيه الإمام فخر الدين الرازي وقال عنه :«أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط » وهذا العلم يظهر خاصية من أهم الخصائص التي امتاز بها أسلوب القرآن الكريم واعتبرت من أسرار إعجازه الأسلوبي .وعني به الإمام أبو العزائم في تفسيره عناية فائقة وأصبح ركيزة أساسية في منهجه وله عنده ملامح متعددة أهمها بيانه لها بين الآيات داخل السور ثم بيانه لها بين أجزاء الآية الواحدة ثم بيانه لها بين صدور الآي وخواتمها ثم بيانه لها بين

فواتح السور وخواتمها .

ومما اعتنى به الإمام أبو العزائم أيضًا في تفسيره بيان أسرار التناسق في ألفاظ القرآن الكريم وهو من خصائص الإعجاز الأسلوبي في كتاب الله وهو قد أجلى بذلك جوانبًا عظيمة من وجوه هداية وإعجاز القرآن الكريم ومؤيدًا منهجه وبيانه بنصوص من القرآن الكريم نفسه .

وأخيرًا أذكر أن الإمام أبو العزائم اعتنى بدفع التعارض والتناقض المتوهم بين بعض آيات القرآن الكريم وأثبت أنه عند التأمل والبحث يزول هذا التوهم ويتضح أن الآيات متفقة غير مختلفة ومنسجمة في المعنى غير متعارضة وذلك أن القرآن كلام العليم الحكيم المنزه عن الهوى والعبث قال تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢] وللإمام أبي العزائم وقفات كثيرة في تفسيره وضَّح فيها ما قد يتوهم من تعارض بين بعض آيات القرآن الكريم وجدير بالذكر أنه لأهمية هذا العلم من علوم القرآن فقد عنى به جمهور المفسرين قديمًا وحديثا في تفاسيرهم كما الفت فيه مؤلفات خاصة أذكر منها كتاب «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة وكتاب «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» للعلامة محمد أمين الشنقيطي وكتاب «البيان في دفع التعارض المتوهم بين آيات القرآن» للأستاذ الدكتور محمد أبو النور الحديدي .

وقد جعل الإمام أبو العزائم اللغة العربية أساسًا من الأسس التي انبنى عليها منهجه في تفسير القرآن الكريم وكان في ذلك يعتني :

١-ببيان معاني مفردات القرآن الكريم .

٢-بالتحليل الصرفي والنحوي .

٣-ببيان الصور البلاغية ومنها صور القصروأسراره والإيجاز وأسراره

والاستفهام وأسراره والتشبيه وأسراره والمجاز وأسراره والكناية وأسرارها والجناس وأسراره – وغير ذلك – وأخيرًا نبَّه مرشدنا الإمام أبو العزائم في تفسيره في مواضع كثيرة على جانب من أهم جوانب الهداية في القرآن الكريم وهو عموم المعنى القرآني وشموله لكل عصر ومصر إلى قيام الساعة ، ويقول رضي الله عنه :« فما خاطب الله تعالى به أصحاب رسول الله ﷺ يخاطبنا به الآن وبعد الآن إلى قيام الساعة.

فإن القرآن الكريم لا يزال طريًا غضًا كأنه نزل علينا اليوم لا تنتهي معجزاته ولا تنحصر آياته ، ألفاظه قدسية جذابة للأشباح وأنواره إلهية مسكرة للأرواح » وكان رضي الله عنه يقول في تجديد التفسير : « إن العلماء ورثة الأنبياء قد شرحوا القرآن المجيد في كل عصر بما يناسب أهله لا بقدر الكلام لأن الكلام صنعة المتكلم ، قال تعالى :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] يعني في كل شيء فليس كالقرآن شيء من الكلام حتى يحيط الشارح له بحقيقة ..» (١) .

أما مجهودات العلماء المؤمنين في التفسير والتأويل فمجهودات محمودة تلقي ضوءًا من الفهم على بيان القرآن العظيم وملابسات الأحداث وأسباب نزول الآيات وتفهم بيان القرآن العربي اللغة ومفردات ألفاظه العربية بما يحقق للقارئ أو التالي أو المرتل لكتاب الله نوعا من الفهم المطلوب للأمور التي تناولتها الآيات ليفهم القارئ ما يقرؤه بالقدر الذي يبينه المفسر أو المؤول من خلال معلوماته وعلومه ومعارفه للأحداث والموضوعات التي تتصل بكتاب الله ، وعلى

(١) يراجع في تفسير الإمام ابي العزائم كتاب : «الإمام أبو العزائم والتجديد في التفسير وعلوم القرآن » الذي نشرته مشيخة الطريقة الصوفية بعناية شيخها القائم السيد / محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم . والكتاب عبارة عن رسالة ماجستير المقدمة لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر من الباحث ربيع يوسف شحاته .

قدرة نفسه في العلم والدراية في التفسير والتأويل (للإعراب) الذي لا ولن يرقى إلى المستوى الذي يقول عنه القرآن نفسه : ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [آل عمران:٧] وحظ ومقدارت العلماء في ذلك تتباين وتختلف لأنه في واقع الأمر : ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾[المجادلة:١١] . أي أن العلماء المفسرين والمؤولين للقرآن درجات ومستويات ورؤاهم مختلفة واهتماماتهم متباينة ، وتناولاتهم متعددة وكذلك مذاهبهم واتجاهاتهم ومدارسهم . وتختلف من عصر إلى عصر حسب مستوى البنيان العلمي والمعرفي عند العلماء في كل وكافة المجالات وفروع تخصصاتهم العلمية التي تتطور باستمرار وتتجدد مع تطورها وتراكمها وتزداد معها المعلومات وحتى يتبين بها الحق في كتاب الله المنظور (الكون) متطابقًا مع الحق في كتاب الله المسطور (القرآن العظيم) ويصدق ويثبت ما يقوله القرآن العظيم نفسه :﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣] .

ولذلك نجد هناك تفاسير عقلية وعلمية وتفاسير إشارية وتفاسير لأهل الرأي والأثر وتفاسير مليئة بالإسرائيليات وبالقصص الخيالية وأحياناً بأحاديث ضعيفة أو موضوعة إلى جانب ما يتصل بالمفسرين من فهم وتأويل حسب معارفهم وقدراتهم والمؤثرات الفكرية والثقافية واللغوية والعلمية عندهم .. إلخ .

ويحتاج الناس إلى تفسير القرآن وتأويله من ناحية بلاغته وفصاحته لما يتضمنه من أساليب اللغة المختلفة ففيه الحقيقة والمجاز والصريح والكناية والإيجاز والإطناب والقصص والأمثال والرموز والأخبار والأحكام والعقيدة والشريعة والتربية والأخلاق والرمز والإشارة والمصطلحات الشرعية والاعتبارات العرفية والزمانية والمكانية وفيه المجمل والمفسر والمحكم والمتشابه إلخ .. وقد

ظهرت الحاجة إلى التفسير منذ نزول الوحي فبين القرآن العظيم بعضه ببعضه ونهض رسول الله ﷺ بالتبيين والبيان بذاته وفعل مثل ذلك الصحابة كبارهم وعلماؤهم حتى إن ابن عباس لقب بترجمان القرآن على سبيل المثال ولقب ابن جرير الطبري بشيخ المفسرين .وسيظل مثل هذه التفاسير أساسًا من المأثور الذي يُرجع إليه دائمًا ولكن يُزاد عليه تفسيرات في المجالات التي لم يتناولها السابقون من حيث المستوى العلمي السائد في عصورهم وأزمنتهم التي لم تكن تشهد أو تعرف أو تقترب من المستويات العلمية والمعرفية المتوفرة في العصور التي جاءت بعد عصورهم والعصور الحديثة وعصرنا الحالي خاصة في مجال الإعجاز العلمي في القرآن العظيم ، والله في القرآن العظيم يخاطب خلقه بما يفهمونه ومنذ بداية الأمر وحتى منتهاه لأن القرآن العظيم كتاب الدين كله وكتاب الزمن كله وكل الناس في كل العصور والأزمنة وحتى قيام الساعة ، وعلى قدر عقول الناس وما يتفهمونه كان رسول الله ﷺ أيضًا يخاطب الناس .

ومن أمثلة التفاسير التراثية القديمة الطبري في (جامع البيان) والرازي في التفسير الكبير وأبي حيان الأندلسي في البحر المحيط والألوس في روح المعاني الزمخشري في الكشاف ، وكانت هذه التفاسير توضح القصص القرآني وأخبار التاريخ كتفسير الخازن والبغوي أو ببيان الأحكام الفقهية بالمعنى الضيق للمسائل والفروع والقضايا كالقرطبي وابن كثير والجصاص وابن العربي أو بالاهتمام باللغويات كالزمخشري وأبي حيان أو بالقراءات كالنسفي وأبي حيان وابن الأنباري وابن الجوزي في كتابه « النشر في القراءات العشر» . أو بقدر محدود بعلم الوقت في زمن التفسير كطنطاوي جوهري في تفسيره جواهر القرآن .. وفي النهاية أذكر ما أخرجه الإمامان البخاري ومسلم عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قال : قال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن

وعلَّمه» ومع تطور العلوم وتشعبها وازديادها تتسع الفهوم والمفاهيم لآيات القرآن العظيم وتتجدد وتجتاز التفسيرات والتأويلات الأطر التي خاض فيها السابقون في عصورهم لتواكب المستجدات في عصور التقدم والتوسع والترقي العلمي وليكون الهدف الأسمى هو تجلية هدايات القرآن وتعاليم القرآن وعلوم القرآن وهدى القرآن وإعجاز آيات القرآن في شتى الميادين والمجالات وبصفة خاصة الإعجاز العلمي في آيات القرآن الكريم ليواكب المستجدات في عصرنا عصر العلم .

ولتنشيط ذاكرة الذين لا يعلمون والذين يحسبون أنهم يعلمون من المؤمنين وغير المؤمنين بالقرآن العظيم الجاهلين بقدره الإعجازي والمعجز الكامل والشامل والمحيط – وهم ليسوا قليلين – منهم مستشرقين ومستغربين وعلمانيين وشيوعيين ومنكرين وكارهين ورافضين وملحدين ومنافقين ومخادعين ... إلخ . لتنشيط ذاكرة هؤلاء وغيرهم المفضوح أمرهم والمكشوف سرهم والمعروف فكرهم والظاهر كرههم والواضح عداؤهم ينبغي على الناس أن يعلموا أن الكراهية لا تعطي محبة .. والكاره لا يعطي حبًا .. والهوائي لا يقول صدقًا .. والمتعصب لا يقول حقًا . والكافر لا يبدي إيمانًا .. والجاهل لا يعطي علمًا .. والجهول يفيد ظنًا .. والحقد يولد طعنًا .. والعداوة تبرز تشويهًا .. والأكاذيب تخفي صدقًا .. والكذب يبرز خطأ .. والخرافة تعني كذبًا .. والبغض يولد تطرفًا .. والفساد لا يبين صلاحًا .. والتحيز يفقد التجرد .. والإنكار لا يرى حقيقة .. والنية السيئة تبرز شرًا .. ونقص المعلومات لا يفيد يقينًا .. والظن لا يفيد علمًا .. وخطأ الفهم لا يعد صحيحًا .. والتحيز يبني إسفافًا .. ونقص المعلومات يفيد عوارًا .. والافتراءات يعوزها البرهان .. وعدم الإخلاص يولد أخطاءً والمآرب تعني تشويهًا والهدم لا يقيم بنيانًا .. والمنكر لا يرى حقيقة والظلمات لا تولد

نــــــــورًا .. ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢].

ومع كل ذلك فإن الأحكام المعوجة والخاطئة والفاسدة ستظل معوجة وخاطئــــة وفاســـــدة .. ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال:٧]، ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال:٨]، ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى:٢٤].

العناية بالقرآن [1]

لقد عَنِي المسلمون الأولـون بـالقرآن قـراءة وفهمـا ودراسـة وحفظًـا وعلمًـا وعملاً ، فكان القرآن كتاب حياة ووجود ، اتبعوا أحكامه ونفـذوا أوامـره واحلـوا حلاله وحرموا حرامه ، فكانوا سادة الدنيا وأساتذة العالمين ، ثم تحول القـرآن إلى كتاب دراسة ، بعد أن كان دستور حياة ، فنشأت حول القرآن دراسات متعددة كان المقصود منها خدمة القرآن الكريم ، فـالنحو الـذي يقـوم اللسـان ويعصـمه مـن الخطأ ، أريد به خدمة النطق الصحيح للقرآن ، وعلوم البلاغة التي تبرز خصـائص اللغة العربية وجمالها ، ومنها التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والتعريض أريد بها بيان نواحي الإعجاز في القرآن ، والكشف عن أسراره الأدبية ، وتتبـع مفـردات اللغة والتماس شواردها وشواهدها وضبط ألفاظها ، وتحديـد معانيهـا ، وصـيانة ألفاظ القرآن ومعانيه ، أن تعدو عليها عوامل التحريـف أو الغمـوض ، والتجويـد والقراءات لضبط أداء القرآن وحفظ لهجاته والتفسير لبيان معانيه والكشـف عـن مراميه وفي التاريخ وعلوم كثيرة أخـرى كالفلـك والنجـوم والطـب والرياضـيات وعلوم الحيوان والنبات .. إلخ .

والفقه لاستنباط أحكامه والأصول لبيان قواعد تشريعه العام وطريقة الاستنباط منه ، وعلم الكلام لبيان ما جاء به من العقائد ، وأسلوبه في الاستدلال عليها . وأننا لا نكاد نعرف علمًا من العلوم التي اشتغل بها المسلمون في تاريخهم

(١) يراجع كتاب «علوم التفسير » للدكتور عبد الله شحاته . وأيضًا له «تفسير القرآن الكريم » نشر دار غريب .

الطويل إلا كان الباعث عليه هو خدمة القرآن الكريم من ناحية ذلك العلم . فالنحو الذي يقوم اللسان ويعصمه من الخطأ ، أريد به خدمة النطق الصحيح للقرآن ؛ وعلوم البلاغة التي تبرز خصائص اللغة العربية وجمالها ، أريد بها بيان نواحي الإعجاز في القرآن ، والكشف عن أسراره الأدبية وتتبع مفردات اللغة ، والتماس شواردها وشواهدها وضبط ألفاظها ، وتحديد معانيها ، أريد بها صيانة ألفاظ القرآن ومعانيه أن تعدو عليها عوامل التحريف أو الغموض ؛ والتجويد والقراءات لضبط أداء القرآن وحفظ لهجاته ، والتفسير لبيان معانيه ، والكشف عن مراميه ؛ والفقه لاستنباط أحكامه ؛ والأصول لبيان قواعد تشريعه العام وطريقة الاستنباط منه ؛ وعلم الكلام لبيان ما جاء به من العقائد وأسلوبه في الاستدلال عليها . وقل مثل هذا في التاريخ الذي يشتغل به المسلمون تحقيقًا لما أوحي به الكتاب الكريم في مثل قوله : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ . ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ . ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ وقل مثل هذا أيضًا في علوم تقويم البلدان وتخطيط الأقاليم ، الذي يوحي به مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . ﴿ فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ . وفي علوم الكائنات التي يوحي بها مثل قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ . ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وهكذا علوم الفلك والنجوم والطب ، وعلوم الحيوان والنبات وغير ذلك من

علوم الإنسان ، لا يخلو علم منها أن يكون الاشتغال به في نظر من اشتغل به من المسلمين – مقصودًا به خدمة القرآن ، أو تحقيق إيحاء أوحى به القرآن . حتى الشعر إنما اشتغلوا به ترقية لأذواقهم ، وتربية لملكاتهم ، وإعدادًا لها كي تفهم القرآن وتدرك جمال القرآن ، وحتى العروض كان من أسباب عنايتهم به أنه وسيلة لمعرفة بطلان قول المشركين : إن محمدًا شاعر ، وإن ما جاء به شعر .

حفظ الله القرآن وعصمته له

القرآن كتاب الله – تعالى – الذي لم يدع أمر حفظه للبشر – مثل الكتب السابقة التي أوكل الرسل الذين أنزلت عليهم حفظها إلى الحواريّين والربّانيّين والأحبار والكهنة فحرفّوها وضيعوها : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة:٤٤] . ربما كانت حكمة الله – تعالى – في ذلك إظهار خصوصيِّتها – أعني اختصاصها بشعوب أولئك الأنبياء ، وتاريخ انيِّتها – أعنى اختصاصها بمرحلة تاريخيِّة محددة ، فيما هو غير دائم ومستمر من التشريعات والمعالجات ، الخاصة بتلك الشعوب في تلك المراحل من عمر البشريَّة .

إنَّ القرآن المجيد قد حفظه الله بنفسه ، وتكفل بداومه وبقائه واستمراره إلى يوم الدين : يحمل خطابًا عالميًا ، وشريعة تخفيف ورحمة عالميَّة شاملة ، وأوكل إليه الحاكميَّة ، وأودع فيه التصديق والهيمنة على ما سبق ، وما يأتي به الناس إلى يوم الدين ؛ ونسخ به كل ما أدخله المرجفون والمحرِّفون على رسالات الأنبياء ، وحفظه بنفسه ، وحفظ به خلاصات وثوابت رسالات المرسلين : فقد حفظه من داخله ببيانه وأسلوبه وإعجازه ، وتحدي الإنس والجن أن يأتوا بمثله ، أو ينالوا منه بتحريف أو تغيير ، وحفظه من خارجه بتهيئة الملايين عبر العصور لحفظه في

الصدور .

نظم القرآن حافظه الداخليّ

إن «نظم القرآن» هو حافظه وحارسه الأمين من داخل .و«نظم القرآن » يقوم على دعائم كثيرة لا يمكن لكلام بشر أن يشتمل عليها – كلّها – في وقت واحد ، منها :

* وفرة الإفادة وتعدّد الدلالة وتنوّعها مع وجازة الآية واشتمالها على أدق وجوه البيان ، وأجمل أنواع البديع .يقول الإمام الرازي :« إنّ القرآن » كما أنّه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه – هو أيضًا – معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته ». ولعل الذين قالوا :« إنّه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك »[(١)] .

فآيات القرآن الكريم المكنون ، والعبارات والجمل التي يشتمل عليها ، لها مستويات متعدّدة من الدلالة [(٢)]. منها الوضع اللغوي وتركيب الجمل والصيغ البلاغية والدلالات المكنونة.

* وهذه الدلالة ذات مستويات متعدِّدة كذلك ، فمنها :

* «دلالة ما يُذكر على ما يقدِّر – مثل تقدير القول ، وتقدير الموصوف والصفة / وما شابه ذلك من فنون وجوانب التقدير .

---

(١) في كتابه البلاغي المطبوع عدة طبعات :« نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز » القاهرة : الآداب والمؤيد .

(٢) لعل عدم إلمام غالبية المترجمين للقرآن المكنون بهذه الدلالات من أهم أسباب وقوعهم في الأخطاء التي قد يقع فيها من يعتبرون حسني النية منهم . لأن اللغات المترجم إليها لا تحمل مثل خصائص العربية ، خاصة في هذا المجال . أما سيئو النية فأولئك لهم حديث آخر .

* دلالة السياق [1]، وذلك مستوى يدرك من التدبُّر في مواقع الجمل من الآيات والآيات من السور والسور من مجمل القرآن ، وذلك بالنظر فيما قبلها وفيما بعدها لتظهر بذلك المناسبة ، وتتحدد صفة الجملة وهُويتَّها في معرفة ما إذا كانت جوابًا عن سؤال ، أو تعليلاً لمضمون كلام سابق ، أو أنّها وردت في موقع الاستدراك ، أو في موقع الدليل لما سبق وفي سائر الأحوال فإنّ هناك وفرة في الدلالة لا يستطيع أبلغ البلغاء وأفصحهم أن يقارب أيَّ مستوى من مستويات دلالاته الوفيرة على أنواع من المعاني لا تقع تحت حصر ؛ ولذلك قال من قال : «إنّه حمّال أوجه» [2]. وذلك هو الإطلاق الذي يتفرد لسان القرآن به عن كل ما

(١) السياق أمر ذو أهمية بالغة ، حيث يعد «السياق» في القرآن المنتج للدلالة والموجه إلى المدلولات، ومع شدة عناية البلاغيين وكثرة حديثهم عنه غير أنهم لم يعرفوه تعريفًا جامعًا مانعًا ، وكأنهم اعتبروه مما يدرك بدون تعريف ، أو أنهم اكتفوا بوصفه وبيان آثاره ، واستغنوا بذلك عن تعريفه . والأصوليون قد أبدوا اهتمامًا شديدًا بدلالة السياق فالسياق يرشد إلى تبين المجمل ، وتعيين المحتمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد . . وذلك لأن دلالة النصوص نوعان : حقيقة وإضافية ، فالحقيقة تابعة لقصد المتكلم وإرادته وهذه الدلالة لا تختلف . والإضافة تابعة لفهم السامع وإدراكه ، وجودة فكره وقريحته وصفاء ذهنه ومعرفته بالألفاظ ومراتبها . وهذه الدلالة تختلف اختلافًا متباينًا بحسب تباين السامعين في ذلك .. » راجع بدائع الفوائد لابن القيم (٩١٤-١٠) وإعلام الموقعين (١/ ٣٥٠- ٣٥١) وقد أوردت ابنتنا . د. رقية العلواني تفاصيل هامة في «دلالة السياق» وتقسيمات قديمة وحديثة أوضحت هذه الدلالة بما لا يستغني الباحث في هذا المجال عن مراجعته فراجع ذلك في رسالتها القيمة » أثر العرف في فهم النصوص : قضايا المرأة أنموذجًا رسالة دكتوراه طبع ونشر وتوزيع دار الفكر في دمشق عام ١٤٢٤ هـ ـ٢٠٠٣ م ص ٢٦٠ – ٢٦٥. وكذلك رسالة صديقنا . د . إبراهيم أصبان التي نال بها درجة الدكتوراه بعنوان «دلالة السياق في القرآن» لم تطبع طبعة عامة بعد . أما السياق : فهو لصيق جدًا بالسياق ، وكبير الأثر في إدراك المناسبات ،وهو ربط الكلمات والآيات والسور بما يسبقها ، واعتبارها حلقة في سلسلة مترابطة .

(٢) نقلت هذه الكلمة عن الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه إنه قالها عندما وجه ابن عباس – رضي الله عنهما – لمحاورة الخوارج . ونقلها الشهرستاني في الملل والنحل وغيره عنه ».

سواه فكل ما عداه داخل في دوائر النسبيَّة .أما هو فمطلق مستوعب متجاوز لكل ما عداه من كلام البشر ، ومنهم الأنبياء والمرسلون .

ويقول الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) : «..لو أردت أن اكتب في تفسير سورة الفاتحة وقْرَ بعير لفعلت» [١].

وتفسيره المطبوع لسورة الفاتحة مجلد كبير يقع في (خمسين وأربعمائة) صفحة من القطه الكبير .ط التجاريَّة في مصر عام ١٩٣٨م .

إن نظم القرآن الفريد هو الذي جعله كتابًا ميسرًا للذكر – كله – فهو يقرأ بيسر وسهولة ، إذ هو في مفرداته يستعمل أقرب الكلمات ،وأبلغها في الدلالة على المقصود ، وأفصحها ، فلا تجد في كلماته كلمة واحدة مصابة «بتنافر الحروف » لتباعد مخارجها ، أو لثقل اجتماعها في كلمة بحيث تثقل على اللسان ويصعب نطقها ، ولن تجد في جمله وآياته كلمات متنافرة لأيّ سبب من الأسباب ، ولن تجد فيه لفظًا مستغلقًا ، ولا لفظًا مستكرَها ، أو نابيًا أو فاحشًا أو بذيئًا .

ولدقة نظم القرآن استحال على الباطل أن يأتيه من بين يديه ولا من خلفه . واستحال على الخلق أن يأتوا بمثل سورة من سوره .

عصمة القرآن من أي نوع من التحريف :

ولدقَّة نظمه اتَّسم «بالوحدة البنائيَّة» في بنائه – كلّه – مع تعدُّد محاوره ، وتفنُّنه في تناول مختلف الأغراض التي تحتاج – لو تناولها غيره- إلى آلاف المجلدات ولن تستوعب تلك الأغراض .

فهو تارة يعتمد الأسلوب القصصيَّ من غير مشابهة وللقصة في أسلوبها

(١) مقدمة تفسير :«مفاتيح الغيب» .

وبنائها، ومن خروج عن الواقع والوقائع الحقيقية ، ولـذلك فـإنّ مـن المسـتحيل إلحاقها أو النظر إليها بمثل قصص العهدين القديم والجديد .وتارة يوظّف الوقائع التاريخيَّة، وتارة يوجز دون أيّ تقصير في تناول المعنـى المـراد ، وأخـرى يفصّـل دون إطناب ، وأحيانًا يطلق الجمل ، وفي أحيان أخرى يقيِّدها ، ويوظِّـف الإجمـال ليفتح العقول ويحملها على التفكّر والتـدبُّر .ويسـتعمل البيـان مـن غيـر أن يشـعر القارئ بأن هناك إجمالا أو إطلاقًا ، أو إيجـازًا إلاّ إذا أمعـن النظـر ، وأجـال الفكـر وقام بالتلاوة «حق التلاوة» .

جمع القرآن :

جُمع القرآن الكريم في عهدين – عهد النبوة وعهد الخلفاء الراشدين ، جمعا في الصدور وجمعا في السطور ، وكان لكل طريقة خصائصها ومزاياهـا ، ولـذلك ظـل القرآن الذي نتلوه اليوم هو نفس القرآن الذي كان يُتلى في عهد النبوة وقـت تنزيـل الوحي . القرآن نجتمَّع عليه ولا تختلف على مصدره الإلهي ، ونعتقد أنه مرشـدنا وموجهنا في كل وقت وزمان وفي كل أمر جلل ، ليس فقط لأننا نؤمن به في معتقدنا الديني وإنما أيضًا لأننا نـؤمن بفائدتـه وجـدواه في توجيـه وترشـيد طريـق حياتنـا ونهضتنا الشاملة المرجوة لدولنا ومـا تتطلبـه مـن علـم وعمـل وسـلوك أخلاقـي حضاري ، وذلك حين ننظر إليه على أنه دستور للمعارف والعلـوم وطاقـة للعمـل والبناء ، وروح للهداية للمعارف والعلوم ، وطريق للتمـدن والتحضـر ، ومنهاجًـا للأخلاق والسلوك ،ورمز للتوحيد والتجميـع ونـور للرؤيـة والتبصـر ، وأحكـام للتشريع والتنظيم ،ومناخ للحقوق والحريات ،وضمانة للأداء والقيام بالواجبات، ومُوجّه لإتقان الإدارة ، منفتح على التجديـد والتحـديث بالاجتهـاد ، فرقـان بـين الحق والباطل والصحيح والفاسد والهدى والضلال .

الخلاصة الخاتمة

لقد نزل القرآن العظيم في بيئة غارقة في البداوة في أشياء كثيرة في حياتها وخاصة البداوة في الفكر والأخلاق والسلوك وسيطرت على أهل هذه البيئة العداوة والصراع على النفوذ وعلى أماكن الرعي ومصادر المياه وكان المجتمع يضم سادة وعبيد كما كان جمود العقل يحكم اختيارهم وكانوا أسرى للتقليد الأعمى لما ألفوا عليه آباءهم .

ولما نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ وكانت النبوة والرسالة ، حوَّل القرآن العظيم كل مظاهر الضلال والفساد والظلمة إلى الهداية والصلاح والنور . نوَّر القرآن عقول البشر ونوَّر عقول الأمة وحررها من التقليد الأعمى وجعلها تقيم اختياراتها على أسس فكرية إيمانية وأيقظ القرآن العقل وجاءت عشرات الآيات فيه تحث العقل على التفكير والقلب على الفقه والفؤاد على العلم والمعرفة والتعلم وتوقير أهل العلم والمعرفة وتكررت في نهايات آيات القرآن العظيم (أفلا تعقلون) و (أفلا يعقلون) وغير ذلك .

لقد حوَّل القرآن المجتمع القبلي إلى مجتمع متمدن وصنع منه حضارة الخير والعدل أفاد أصحاب التنوير الحضاري والتمدن في أزمانهم الماضية خلال عصورها الذهبية حيث صنع القرآن العظيم حضارة الخير والعدل والمساواة بين الناس والمؤمنين ونشر قيم الخير والصلاح والعمل الصالح والإتقان والتميز فيه والعدل والعدالة الاجتماعية والحب والتسامح والعطاء والتعاون والأمانة والصدق والإخلاص مع الدعوة إلى الحرص على «نظافة البيئة» وحمايتها من

التلوث الضار بالإنسان وحياته .

إن اهتمام القرآن العظيم بالعلم وبالتعليم وبالبحث العلمي وبالعلماء يؤكد ويوضح دور التعليم والعلم في التفاعل بين الحضارات وبين الأديان وتتجاوز الكثير من سوء الفهم ونقص المعلومات الصحيحة اللذان يؤديان إلى تعظيم مخاطر الصراع أو الصدام بين الحضارات أو بين الأديان وتقيم صورة مشوهة ومتحيزة وغير صحيحة من كل طرف عن الطرف الآخر بينما التواصل والتعاون والتعارف المشترك يقتضي الاحترام المتبادل والفهم الصحيح المشترك للأخر أي للغير وأن (التعارف) بين الشعوب الذي دعا إليه القرآن العظيم يساوي في حقيقته (الحوار) بين هذه الشعوب في ثقافاتها ومعتقداتها وحضاراتها المختلفة والقرآن يقول :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات:١٣] فالحوار المتكافئ في إطار التعارف والتعاون على أسس الأمثل يؤدي إلى حل التوترات والنزاعات والاختلافات والخلافات وتحسين العلاقات بين الشعوب والدول والأمم .

ولذلك يجب أن ننظر كلنا نحن البشر إلى الأديان الإلهية كلها نظرة قوامها التسليم لله والإنابة إليه والسلام معه ومع النفس ومع الآخرين ومع كل الناس وبالاعتراف بها كلها بحيادية لا تعنت فيها ولا تعصب أو تطرف أو كراهية أو عداوة أو إرهاب مادي أو فكري وإنما بفكر وتفكير حر وعقلاني ومستقل يستشف مضمون الرسالات الدينية الإلهية بحيادية وإيمان لا ينحرف أو يزيغ عن الحق نتيجة تعصب أو تطرف أو هوى أو جهل أو عداء متأصل ناتج عن اعتقاد موروث وخاطئ وناقص أو تخوّف غير صحيح ولا مبرر له بتاثير أحداث تاريخية مضت ولن تعود أو تتكرر في دنيانا التي ينشد أبناؤها السلام والتعايش السلمي بين الشعوب وحكوماتها لخير الإنسان والإنسانية القابلة للآخر المؤمن في التزامه بالقيم الأخلاقية التي تدعو إليها كل الأديان الإلهية .

وأخيرًا وليس آخرًا أقول :

القرآن الكريم هو كلام الله – سبحانه –النهائي للبشر ، وقد أنزله وحيًا على محمد رسول الله ﷺ فهو كتاب المسلمين ،ودستورهم الخالد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ففيه من الأحكام والشرائع ، والآداب والمعاملات ، وتفصيل الحلال والحرام ، وبيان المغيبات من الأخبار والقصص، وبه من المواعظ وضرب الأمثال ما فيه من مزدجر ، كما أن فيه إخبار بالبعث وحججه ، وتذكير بالحساب ووصفه ، وبيان لليوم الآخر ومناقشة الناس فيه ، ما لم يُذكر في أي كتاب آخر ، أو أخبرت به شريعة أخرى ،ولذلك فإن ربنا جل وعلا يُذكرنا بهذه النعمة الكبرى فيقول عز من قائل :﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾[البقرة:٢٣١] .

ومن الجدير بالذكر أن الله تعالى قد يَسّر لنا قراءته ومذاكرته وحفظه ، فإذا فاز أحدنا بميزة حفظه ، فلابد أن يتعهده بمداومة الذكر والقراءة حتى لا ينساه ، والله تعالى يقول – وهو أصدق القائلين: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ [القمر:١٧] .

وقد جمع الخليفة الرابع لرسول الله ﷺ الإمام على بن أبي طالب – كرم الله وجهه – مقاصد القرآن وأهدافه في الحديث الذي رواه الترمذي عن الحارث الأعور عن الإمام على كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ حيث قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله فما المخرج منا ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخير من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، فهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ،وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأفئدة ، ولا تلتبس به

الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا تمله الأتقياء ، ولا يخلق – أي يبلى – على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا :«إنا سمعنا قرآنا عجبا» من علم بعلمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به اجر ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم » .

وبعد ....

فإني أسأل الله وأدعوه في افتقار إليه وذل له واحتياج إلى صمديته وأملا في رحمته وفضله واستجابته وأبتهل إليه سبحانه « اللهم اجعل عملي هذا على قدره المتواضع وحسن النية فيه وسلامة القصد منه مقبولا عندك ومرضيًا عنه من جنابك ومن حضرة رسولك واجعله نورا لي يوم لقائك وثقلا في ميزان حسناتي ساعة حسابك ولا تؤاخذني فيما أكون فيه قد نسيت أو أخطأت أوقصَّرت أو جهلت .

وأدعوه سبحانه وتعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

وحسبي الله وما توفيقي إلا بالله .

الفقير إلى الله

محمد أمين جبر

الفتح الأول:

توضيح مسائل في القرآن [1]

(١) الشيخ حسنين محمد مخلوف «صفوة البيان لمعاني القرآن».

الأولى : في المكيّ والمدنيّ :

أشهر الأقوال في تعريف المَكِّيِّ والمدنيّ : أن المكيّ ما نزل قبل الهجرة في مكة أو في ضواحيها كمنى وعرفات والحُديْبية .ومنه ما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغها النبي ﷺ .

والمدنيّ: ما نزل بعد الهجرة في المدينة أو في ضواحيها : كبدْر وأُحُد وسَلْع ومنه ما نزل بمكة عام الفتح ، أو عام حَجَة الوَادع ، وما نزل في سَفر من الأسفار بعد الهجرة .

والمرجع في معرفة المكيّ والمنديّ إلى حفظ الصحابة والتابعين .ومعرفتُه تُعين تاريخ الناسخ والمنسوخ.

الثانية : في معنى السورة :

السورة طائفة من القرآن ، لها ابتداء وانتهاء ، وترجمة باسم خاص بها أو بعدة أسماء ، عُرف المشهور منها بالتوقيف من النبيﷺ .مأخوذة من سور المدينة لاحتوائها على فنون من العلوم، احتواء سُور المدينة على ما فيها ، أو لارتفاع رتبتها كارتفاعه .أو من السُّورة ، وهي المنزلة الرفيعة .أو من التَسَوُّر ، وهو العلو والارتفاع لارتفاعها بكونها من كلامه تعالى .

وأجمعوا على أن عدد سُوَر القرآن مائة وأربعَ عشرَ سورة . وَمَنْ عدّها مائة وثلاثة عشرة جعل الأنفال والتوبة سورة واحدة .

والحكمة في تسوير القرآن أن يكون أنشط للقارئ ،وابعث على التحصيل ، وأن الجنس إذا انطوت تحته أنواع كان أحسن من أن يكون بابًا واحدًا ، وفي التسوير إشارةٌ إلى أن كلّ سورة نمطٌ مستقل .

***

ترتيب السور المكية

١- اقرأ بسم ربك	٢٣- عبس	٤٥- الواقعة	٦٧- الغاشية
٢- ن	٢٤- القدر	٤٦- الشعراء	٦٨- الكهف
٣- المزمل	٢٥- الشمس	٤٧- النمل	٦٩- النحل
٤- المدثر	٢٦- البروج	٤٨- القصص	٧٠- نوح
٥- المسد	٢٧- التين	٤٩- الإسراء	٧١- إبراهيم
٦- التكوير	٢٨- قريش	٥٠- يونس	٧٢- الأنبياء
٧- الأعلى	٢٩- القارعة	٥١- هود	٧٣- المؤمنون
٨- الليل	٣٠- القيامة	٥٢- يوسف	٧٤- السجدة
٩- الفجر	٣١- الهمزة	٥٣- الحجر	٧٥- الطور
١٠- الضحى	٣٢- المرسلات	٥٤- الأنعام	٧٦- الملك
١١- الشرح	٣٣- ق	٥٥- الصافات	٧٧- الحاقة
١٢- العصر	٣٤- البلد	٥٦- لقمان	٧٨- المعارج
١٣- العاديات	٣٥- الطارق	٥٧- سبأ	٧٩- النبأ
١٤- الكوثر	٣٦- القمر	٥٨- الزمر	٨٠- النازعات
١٥- التكاثر	٣٧- ص	٥٩- غافر	٨١- الانفطار
١٦- الماعون	٣٨- الأعراف	٦٠- فصلت	٨٢- الانشقاق
١٧- الكافرون	٣٩- الجن	٦١- حم عسق	٨٣- الروم
١٨- الفيل	٤٠- يس	٦٢- الزخرف	٨٤- العنكبوت
١٩- الفلق	٤١- الفرقان	٦٣- الدخان	٨٥- المطففون
٢٠- الناس	٤٢- فاطر	٦٤- الجاثية	
٢١- الإخلاص	٤٣- مريم	٦٥- الأحقاف	
٢٢- النجم	٤٤- طه	٦٦- الذاريات	

ترتيب السور المدنية

١- البقرة	١٢- الإنسان	٢٣- الجمعة
٢- الأنفال	١٣- الطلاق	٢٤- التغابن
٣- آل عمران	١٤- البينة	٢٥- الصف
٤- الأحزاب	١٥- الحشر	٢٦- الفتح
٥- الممتحنة	١٦- النصر	٢٧- التوبة
٦- النساء	١٧- النور	٢٨- المائدة
٧- الزلزلة	١٨- الحج	٢٩- فاتحة الكتاب
٨- الحديد	١٩- المنافقون	
٩- محمد ﷺ	٢٠- المجادلة	
١٠- الرعد	٢١- الحجرات	
١١- الرحمن	٢٢- التحريم	

الثالثة : في ترتيب الآيات والسُّور وتسميتها :

ترتيب الآيات في السُّور بتوقيف منه ﷺ ، وبأمره إجماعًا .وترتيبُ السوَر توقيفيّ عند الجمهور . قال أبو بكر الأنباري :« إن جميع القرآن الذي أنزله الله تعالى، وأمر بإثبات رسمه ،ولم ينسخه ، ولا رفع تلاوته بعد نزوله ، هو هذا الذي بين الدَّفتين ، الذي حواه مصحف عثمان ، وأنه لم ينقص منه شيء ، ولا زيد فيه شيء ، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله ورتبه عليه رسوله من آي السُّور ، لم يقدَّم من ذلك موخَّر ، ولا أخَّر مقدَّم . وأن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب آي السور كلها ومواضعها ، وعرفت مواقعها ، كما ضبطت عنه نفس القراءات ، وذات التلاوة ».

وقال البغوي : «إن الصحابة جمعوا بين الدَّفتين القرآن كما أنزله الله على رسوله، مع غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئًا ، خوف ذهاب بعضه بذهاب حَفظَته ، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله ﷺ ، من غير أن قدّموا شيئًا أو أخّروا شيئًا ، أو وضعوا ترتيبًا لم يأخذوه منه ﷺ وكان رسول الله يلقّن أصحابه ويعلّمهم ما نزل عليه من القرآن ، على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا ؛ بتوقيف جبريل عليه السلام إياه على ذلك . وإعلامه عند نزول كل آية ، أنّ هذه الآية تُكتب عقب آية كذا في سورة كذا .ومنه يعلم أن أسماء السور توقيفية .

وقال ابن الحصّار :« ترتيب السُّور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحْي ، كان رسول ﷺ يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا .وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ .ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف» .

الرابعة : في المحْكَم والمتشابه :

من آيات القرآن آياتٌ محكَمات هنّ أمّ الكتاب وأصله ، وأُخَرُ متشابهات .

والمحكَم : ما عُرف المعنى المراد منه .والمتشابه : ما استأثر الله تعالى بعلمه ؛ كقيام الساعة ،والحروف المقطّعة في فواتح السُّور .

وقيل : المحكَم ما لا يحتمل من التأويل بحسب وضع اللغة إلاّ وجهًا واحدًا ، والمتشابه : ما احتمل أوجهًا عديدة واحتاج إلى النظر؛ لحمله على الوجه المطابق .

وقيل : المحكَم ما اتضح معناه .والمتشابه بخلافه .وهناك أقوال أخرى في تفسيرهما .

ومن المتشابه آيات الصفات ، نحو : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ، ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾، ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ ، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ ، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ .ومنه أحاديث الصفات .

ومذهب جمهور أهل السُّنة – ومنهم سفيان الثّوري وابن المبارك وابن عُيينة ووكيع ، والأئمة الأربعة – أنه يجب الإيمان بها وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله تعالى ، وترك تأويلها مع تنزيهه تعالى عن حقيقتها ؛ لاستحالة مشابهته تعالى بالحوادث ؛ قال تعالى : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ .

وعن أمّ سَلَمَة –رضي الله عنها – في تفسير قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ : الكَيْف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به من الإيمان ، والجحود به كفر .

وعن مالك فيه :الكيف غير معقول ، والاستواء مجهول ، والإيمان به وجاب ، والسؤال عنه بدعة .

وقال الإمام الرازي : إن الذي اختاره الأئمة المحقّقون من السلف والخلف ترك الخوض في تعيين التأويل ، بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال .

ومن المتشابه :الحروف المقطّعة في أوائل السُّور ؛ فقد افُتتحت تسع وعشرون سورة من القرآن بنصف أسماء حروف المعجم ؛ وهي : الألـف والـلام ،والمـيم والصاد ، والـراء والكـاف ، والهـاء واليـاء ، والعـين والطـاء ، والسـين والحـاء ، والقاف والنون.

فالمبدوء منها بالألف واللام ثلاثة عشرة ، وبالحـاء والمـيم سـبع ، وبالطـاء ، وبكل من الكاف والياء والصاد والقاف والنون واحـدة ، وبعـض هـذه الحـروف المبدوء بها أحادي ، وص ، ق ، ن وبعضها ثنائ وهو: طه ، وطس ، ويس ، وحم ، وبعضها ثلاثي ، وهو: آلم ، وآلر ، وطسم وبعضها رباعي ، وهو آلمـص ، وآلمـر ، وبعضها خماسي ، وهو كهيعص ، وحم عسق . ولا تزيد على ذلك .

والمختار فيها – كما ذكـره الجـلال في الإتقـان – :أنهـا مـن الأسـرار التـي لا يعلمها إلا الله تعالى . وعن أبي بكر الصديق : في كل كتاب سِـرّ ، وسِـرُّه في القـرآن أوائل السور .

وعن ابن عباس : عجزت العلماء عن إدراكها ، وعن الشَّعبي : هي سِرّ الله فـلا تطلبوه ، وممن ذهب إلى ذلك عمر وعثمان وعليّ وابن مسعود والربيع .

وقد ذكر العلماء لوقوع المتشابه في القرآن فوائد ، منها في المتشابه الذي يمكن علمه :أنه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد ،وهي توجب مزيد الثـواب . ومنها :ظهور التفاضل وتفاوت درجات الخلق في معرفـة القـرآن إذ لـو كـان كلـه محكمًا لا يحتاج تأويل ونظر ،لاستوت منازل الخلق فيه ، ولم يظهر لا فضل العالم على غيره ،ومنها في المتشابه الذي لا يمكن علمه : ابتلاء العبـاد بـالوقوف عنـده ، والتوقف فيه ، والتفويض والتسليم ، والتعبـد بالاشـتغال بـه مـن جهـة الـتلاوة ، وإقامة الحجة عليهم ؛ لأنه لما نزل بلسانهم وعجزوا عن الوقوف عـلى معنـاه مـع بلاغتهم وأفهامهم ، دلّ على أنه منزّل من عند الله تعالى . انتهى .

وخلاصة القول في المتشابه فإن السلف والخلف متفقون على تنزيه الله تعالى عن مشابهة المحدثات والحوادث وعن مشابهة خلقه لكن السلف يرون التنزيه مع تفويض المعنى المراد من الآيات التي توهم التشبيه إلى الله تعالى والخلف يرون أن التنزيه يقتضي حمل الآيات التي توهم التشبيه على معنى لا تشبيه فيه ونحن لنا أن نأخذ بمذهب السلف أو بمذهب الخلف .

والملاحظ أننا نكاد نعتمد على الرموز خلال تعاملنا مع العالم الطبيعي وكائناته كما أننا نعتمد على الرموز كثيرًا في حياتنا اليومية دون أن نشعر ، فالكلمات اللغوية عبارة عن مجموعة منسقة من الرموز الحرفية مجتمعة لكي تؤدي إلى معاني ومفاهيم ومقاصد معينة ضمن اللغة المستعملة ففي اللغة العربية مثلا نجد الكلمة مكونة من حروف، والكلمة تعبير تام مكتمل يفيد معنى معين متعارف عليه بين علماء اللغة أو أهل البيئة العربية التي تجد أصولها في المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية الذي نزلت في رحابه الرسالة السماوية الإسلامية الخاتمة بلسان عربي مبين على النبي الأمي العربي في المجتمع العربي في مكة ابتداء ، فالكلمة التامة هي التعبير اللغوي أو البياني عن الشيء بأسلوب حضاري مفهوم وشائع في المجتمع رغم إمكان اختلاف قراءة الكلمة الواحدة حسب اختلاف اللهجات والمصطلحات في البيئة الواحدة .

ونفس الشيء ينطبق على الرياضيات خاصة الجبرية التي تعتبر الأرقام والحروف فيها رموزًا تفيد معاني وحقائق متكاملة تدل عليها المعادلات الرياضية، كما أن الرمز يكون بالإشارة باليد لإيصال المعنى المقصود إلى الشخص المقابل ، وهو الأسلوب المتبع حاليًا .

بالنسبة للصم والبكم والمسمى طريقة «برايل» لتعليم الكتابة باللمس .

وقد أشار القرآن إلى هذا النوع من الرمز بالتعبير اليدوي حين طلب زكريا عليه

السلام أن يجعل الله له آية فوجهه ربه إلى أن آيته ألا يكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ [آل عمران :٤١] .

وقد ربط القرآن بين القرآن والمخلوقات بصفة عامة وبينها وبين الإنسان بصفة خاصة في أول سورة نزلت على النبي ﷺ وهي سورة العلق ، ووضحت الآيات الأولى من هذه السورة أن القراءة والكتابة مع فكرة مبدأ الأواسط والأسباب هم أساس كل ما يمكن أن يتوصل إليه الإنسان من معرفة ، كما أشارت بدايات سورة الرحمن إلى مبدأ القراءة باعتباره نعمة من نعم الله على الإنسان ورحمته به : ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ وإلى أن الإنسان تعلم البيان أي النطق المستعمل في اللغة – الكلمات أو الأسماء – ليتبين عن طريق القراءة والكتابة والإشارة جميع معرفة حقائق الأشياء مع ملاحظة أن القراءة تعني المعنى الواسع الذي يشمل التفكير والتأمل والنظر والاستدلال والاستقراء والاستنتاج والافتراض والبحث والدراسة والتحليل إلى غير ذلك من وسائل اكتساب الإنسان للمعرفة بالبيئة المحيطة به والبعيدة عنه .

وبذلك تكون الحقائق الثابتة التي يتوصل إليها الإنسان بنشاطه العقلي أو بصيرته الروحية ، تكون لهذه الحقائق رموزًا دالة عليها لأن هناك فارق بين الشيء ذاته وبين ما يتسمى به أو يشار إليه به ، وأبسط مثال لذلك هو الذات الإلهي تبارك وتعالى ، فنحن نقول (الله) مستعملين لفظ الجلالة باعتباره رمزًا علميًا دالاً على ذات الإله المعبود في الأديان المسمى بأسمائه الحسنى ، بمعنى أن لفظ الجلالة ليس هو الذات الإلهي سبحانه وتعالى الذي يظل ليس كمثله شيء في كل شيء سبوح قدوس .

ونفس الشيء ينطبق على أي كائن وما يشار إليه به من اسم أو وصف ، ومفهومي والله أعلم بالنسبة لتعليم الله آدم الأسماء كلها ليس معناها أن آدم عرف

أسماء كل المخلوقات والكائنات التي توجد في العالم أو الكون لأن ذلك يستحيل على أي إنسان حتى إذا اقتصر الأمر على ما يوجد في الأرض والجو والبحر من كائنات ومخلوقات وهي تزيد عن البلايين ولا يمكن لآدم أو لغيره أن يحيط بها في فترة حياته القصيرة نسبيًا ، وبذلك يكون المقصود من تعلم آدم الأسماء كلها هو تمييز الله له وإعطائه القدرة على تسمية الأشياء بمسمياتها أو الإشارة إليها وتحديدها بالبيان بالكلمة وهي أولى مراحل اللغة أو الرمز الدال على الحقيقة الكائنة كأسلوب من أساليب التعبير عن المراد أو عن الأشياء في البيئة الخارجية أو البيئة الداخلية التي تتصل بالإنسان ذاته في تكوينه وخصائصه وقدراته .

والحروف التي وردت في أوائل السور القرآنية هي حروف من جنس الحروف العربية التي تتكون منها كلمات القرآن التامات وبالتالي آيات وسور هذا القرآن العربي .

وقد أخبرنا النبي ﷺ أن هذه الحروف هي كلمات تامات ، ومن ثم راح العديد من علماء المسلمين يجهدون أفكارهم وما تكشف عنه بصائرهم أحيانًا في فك أسرار هذه الرموز وتحديد الكلمات التي تشير إليها ، فنجد مثلا من قال : (الم) تعني يا محمد : أنت لذاتي مظهر ، و (المص) تعني يا محمد : أنت لذاتي مظهر صفاتي و (طسم) تعني يا محمد : طويت سر مكانتك ، و (حم) حفظت مكانتك و (طس) يا محمد :طويت سرك ، وهكذا [١]... وأن طه ويس هي أسماء للنبي ﷺ ، ومن العلماء من اجتهد بتفاسير أخرى غير ذلك .

وذهب عدد من أجلة المفسرين إلى أن هذه الحروف التي يتكون منها القرآن العربي ،وأن القرآن بآياته وسوره يتكون من حروف الهجاء العربية هذه التي تتألف منها الكلمات التي ينطق بها العرب ومع ذلك يعجز الجن والإنس عن

(١) ذهب إلى ذلك المرحوم الشيخ أحمد سعد العقاد وأستاذه الإمام محمد ماضي أبو العزائم .

الإتيان بمثله أو بسورة من مثله مما يدل على أنه وحي من عند الله تعالى .

وكل هذه المفاهيم جائزة ولكن غيرها يجوز أيضًا ، فالكون مليء بأمور غيبية كثيرة لا يزال العقل البشري عاجزًا عن الوصول إلى حقيقتها رغم التقدم الهائل في علوم الكون.

وعلى سبيل المثال فإن الحد المعاصر للعلوم الفيزيائية لا يزال عاجزًا –ربما لطبيعته ذاتها – عن الوصول إلى حقائق المغيبات التي لا تخضع لمجال أو مقياس الحس البشري بطبيعته والتي مع ذلك تضفى عليها العلوم الرياضية أضواء أكثر وضوحًا في البيان فالرياضيات تعتبر أعلى درجات العلوم على التغلغل النظري إلى حقائق وأبعاد تعلو عن الحقائق والأبعاد التي يعالجها علم الفيزياء وعلم الفلك الفيزيائي والرياضيات عبارة عن رموز ، وذلك يعني أن الرمز أو الرموز هي أقدر الوسائل على التعبير عن الحق ، وفي اعتقادنا أن هذا هو أنسب تفسير يوضح الحروف المتقطعة التي وردت في مطالع العديد من السور القرآنية ، باعتبار أن هذه الحروف رموز للحق الذي جاء في الكتاب بالكلمة التامة المكتملة . ولذلك جاء الحديث عن هذا الكتاب مباشرة بعد الحروف المقطعة.

ولما كانت هذه الحروف أو الرموز كلمات تامة مكتملة كما ورد في السنة الصحيحة فإن معنى ذلك أن الحق المكتمل بالكلمة هو الحق المكتمل بالرمز وهو الحرف القرآني كلاهما يعبر عن الحقيقة بالرمز التجريدي سواء بالحرف اللغوي أو بالمعادلة الرياضية والتعامل مع الحق في الوجود يكون في أعلى صورة بالرمز الرياضي وعن طريق هذا الرمز يكون الإدراك في أعلى مستوى ممكن للحق في الوجود .

إن الصلة بين الرمز المادي والحقيقة اللامادية هي السمة البارزة التي تتصف بها الحروف الرمزية في أوائل السور . ففي كل سورة استعمل فيها القرآن الحروف

الرمزية جاء بعدها مباشرة الإشارة إلى (الكتاب) المنزل على الإنسان المصطفى من النوع باعتباره الحق الذي لا ريب فيه .

هكذا مثلاً في سورة البقرة : وسورة آل عمران وسورة الأعراف ولم تشُز عن هذه القاعدة إلا سورتان هما سورة العنكبوت وسورة لوط والطابع الذي يميز الحروف فيهما هو طابع الإنباء بعلم مستقبل الأحداث أو التنبؤ الذي يعتبر ظاهرة علمية ومن أهداف (التفكير العلمي) المبنية على (الفهم) : ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾ [العنكبوت :١-٢] ، ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[الروم:١-٤]..

الخامسة : في أقسام القرآن (١) .

أنزل الله تعالى القرآن بلسان عربي مبين ، وجاء فيه في مجادلة المنكرين ومراغمة الجاحدين ، وفي تقرير الحقائق ، والكشف عن الدقائق ،وبيان عظيم قدرته تعالى ، وبديع صنعته ، وبالغ حكمته وعظمة ملكه ، وسننه في خلقه — بالحجج الدامغة ، والبراهين الساطعة ، يصرّف الآيات للناس لعلهم يفقهون ، ويضرب لهم المثال لعلهم يتذكرون ، ويؤكد لهم الأخبار بمختلف الأقسام على أسلوب فصحاء العرب في مخاطباتهم ومحاورتهم ؛ فقد كانوا إذا أرادوا توكيد الأمر وتحقيقه ، أقسموا عليه بالعظيم الخطير الشأن ، أو الكثير النفع ، أو الظاهر الفضل .

وتوكيد الكلام بالقَسم إذا اقتضاه الحال أسلوبٌ بليغ رصين . ولله تعالى أن يُقسم بما شاء . فأقسم تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع ، لتقرير وجوب

(١) المرجع السابق للشيخ حسنين محمد مخلوف .

الإيمان ، والطاعة له .وأقسم بأفعاله العجيبة ومصنوعاته البديعة ، فقال : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾. وقال :﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾ ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ .والقَسَمُ بها في معنى القَسم به تعالى ؛ إذ هو صانعها ومبدعها .

قال ابن القيم : إنه يُقسم في القرآن بأمور على أمور ؛ فيقسم بذاته الموصوفة بصفاته ، وبآياته المستلزمة لإثبات ذاته وصفاته ، ويُقسم ببعض مخلوقاته ؛ للدلالة على أنها من عظيم آياته .

وقد يأتي في القرآن بالقَسَم الظاهر كقوله تعالى : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ ، ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ .وقد يأتي بنحو قوله :﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ ، وبنحو قوله : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ .

وقد أقسم تعالى على التوحيد ، وعلى أن القرآن حق ، وعلى أن الرسول حق ، وعلى الوعد والوعيد ، والجزاء ، وعلى حال الإنسان وطبيعته ، وكثيرًا ما يُذكر جواب القسم ، وقد يحذف للعلم به ، أو لوجود ما يدلّ عليه .

وبالتأمل في كل قَسم من أقسام القرآن تظهر المناسبة الدقيقة بينه وبين المُقسم عليه ، وهو نوع بديع من وجه بلاغة القرآن .

السادسة : في الاستعاذة .

لما كانت الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تطهّر القلب ، وتطرد عنه الوساوس والهواجس ، وخواطر السوء ، كان السُّنة الاستعاذة عند إرادة القراءة خارج الصلاة ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾. فيقول القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ على ما اختاره أحمد ، رضي الله عنهم . أي ألتجيء إلى الله تعالى ، وأستجير به ، وأتحصّن مما أخشاه من الشيطان الطريد من

رحمته تعالى يقال :عُذْتُ بفلان ،واستعذت به ، أي التجأت إليه وتعلّقت به ، ومنه : أعيذك بالله أن تفعل كذا ومعاذَ الله ، وعِياذَ الله .

السابعة : في البسملة.

ذهب كثير من القراء والأئمة إلى أن البسملة و ليست آية من الفاتحة ، ولا من غيرها من السوَر ، وإنما هي آيةٌ واحدة من القرآن ، أنزلت للفصل بين السّور والتبرك بها في الابتداء ، وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك وذهب آخرون إلى أنها آيةٌ من الفاتحة ، ومن كل سورة غير براءة .وإليه ذهب الشافعي ، وأحمد في إحدى الروايتين عنه .وهذا كله في غير بسملة النمل [آية ٣٠] فإنها جزء آية باتفاق .

الثامنة : في التأمين .

يُندب للقارئ بعد الفراغ من الفاتحة أن يقول «آمين» مفصولةً عنها بسكتة خفيفة ، ومعناها : استجب يا الله ، أو افعل . وليست من القرآن باتفاق ؛ ولذا أجمعوا على عدم كتابتها في المصاحف.

ثم في الفهم والتأويل :

روى ابن حبان عن ابن مسعود أن رسول الله قال : « إن للقرآن ظاهرًا وباطنًا وحدًا ومطلعًا » وليس الباطن هو الذي يقول به بعض غلاة الشيعة والباطنية أو أنه الذي اختص به أوصياء النبي ﷺ .وقد أشار الصحابي أبو الدرداء على أنه :« لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهًا » كما كان حجة الإسلام الإمام الغزالي يقول إن المعنى الباطن في آيات القرآن هو تحدي الرقائق التي تكون في مطوى ألفاظ القرآن .الأسرار التي لا يدركها إلا العلماء الراسخون في العلوم المختلفة كل بمقدار طاقة علمه بعد فهم ظاهر اللفظ وما فيه من مجاز وحذف وإضمار وعموم وخصوص وإطلاق وتقييد . وكان رضي الله عنه يقول كذلك : « إن

الاستيفاء لا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلامًا فأسرار كلمات الله عز وجل لا نهاية لها فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وإن كان ظاهر التفسير لا يُغني » وطبعًا الناس يتفاوتون في الفهم كما ذهب إلى ذلك على بن أبي طالب كرَّم الله وجهه والذي روى عنه قوله : «ليس كل ما يعرف يقال ولا كل ما يقال جاء أوانه ولا كل ما جاء أوانه ظهر أهله ».

وكما يقول الدكتور عبد المعطي محمد بيومي عميد كلية أصول الدين الأسبق بجامعة الأزهر :« منذ نزل القرآن الكريم كان كل عصر يرى فيه رؤية جديدة تعينه على فهم الآيات بما يحصله من ثقافة استقاها من آفاق العلم والمعرفة السائدة . وكل إنسان يقرأ القرآن يفهم منه بقدر ما وهبه الله من قدرة على الفهم وبما أسبغه عليه من علوم وثقافة وبما اتسع به أفقه من دراية بالحياة وشؤونها هذا وإن الاجتهاد في فهم النص هو غير النص فلئن تبين خطأ الاجتهاد فلا ضرر ولا ضرار لأن النص باق على اعتباره والإيمان به ولا يختلف التفسير العلمي في ذلك عما سواه من التفسيرات » . انتهى .

وتقول الدكتور عائشة عبد الرحمن [١] (بنت الشاطئ): « تتابع الأجيال ، كل جيل خلق لزمان غير زمان سالفه وخلقه ، وعطاء القرآن غير محظور ولا مقطوع ، وتظل قيمه ومثله العليا مطمح الإنسانية على تفاوت الأجيال ومرِّ الزمان ، تعرج إليها على مراقي تطورها وطموحها .. والأمر يختلف تمامًا إذا اختلط فهم القرآن بتفسيره فيتصور البعض أن إباحة فهمه لكل الناس تعني إباحة تفسيره دون قيد أو شرط ، لأن التفسير يقدم للناس فهم المفسر للنص القرآني . وغير متصور أن يتصدى لتفسير أي نص من لا دراية له بأسرار لغته وفقه سياقه ودلالاته .. فالنصوص يفهمها من شاء كيف شاء لكن تفسيرها للناس والفتيا بها مقصور على

(١) أستاذ الدراسات القرآنية بكلية الشريعة ودار الحديث بجامعة القروين بالمغرب الشقيق في كتابها «القرآن وقضايا العصر» الناشر دار العلم للملايين بيروت – لبنان .

ذوي الفقه بها والاختصاص وهؤلاء أنفسهم يتفاوتون بقدر درايتهم بأسرار النص .. ومحاولة فهم القرآن لا يمكن أن تتعرض لإنكار أو رفض إذا كانت من قبيل التماس عطائه المباح لخلق الله على أن تبقى في نطاقها الخاص المحدود فلا تتخذ ذريعة إلى انتحال تفسيره للناس ، والجرأة عليه ، بغير ضابط ولا قيد .. » انتهى .

وأقول إن الفهم للآيات القرآنية وبيان مقاصدها ومعانيها ومراميها يجب أن يكون هدفه تجلية هدايات القرآن وتعاليمه وأوجه إعجازه في مجالاته المختلفة خاصة إعجازه العلمي الذي تحتاج إليه ويحتاج إليه الناس ، كل الناس ، في عصرنا عصر العلم الذي تقدمت فيه البشرية في العلوم وفنونها وتطبيقاتها .

وكما يقول الأستاذ الدكتور عبد الله شحاته في «تفسير القرآن الكريم» :«إن المنهج الإلهي ليس عدوًا للإبداع الإنساني إنما هو منشئ لهذا الإبداع وموجه له الوجهة الصحيحة وذلك كي ينهض الإنسان بمقام في الأرض .هذا المقام الذي منحه الله له وسخر له من القوانين الكونية ما يعينه على تحقيقه ، ونسقَّ بين تكوين هذا الكون ليملك الحياة والعمل والإبداع ، على أن يكون هذا الإبداع نفسه عبادة لله ووسيلة من وسائل شكره على آلائه العظام » انتهى .

وكما يقول الشيخ محمد الصادق عرجون في كتابه «القرآن العظيم » : «فإن الجانب الكوني في آيات القرآن الحكيم ، وهو جانب مهم جدًا لأنه عماد الدلائل الإلهية على وجود الله تعالى وتوحيده وباهر قدرته وواسع علمه ولطيف حكمته وسائر ما يجب له تعالى من الكمال في حاجة ماسة إلى إعادة النظر فيه للتفسير والبيان بأسلوب علمي يبرز عن طريقه ملاحظة الظواهر الكونية حجة الله على خلقه ويكشف عما في الآيات من أسرار ناط الله بها كثيرًا من منافعنا ومصالحنا في الدين والدنيا ، وقد أشار إليها القرآن في آياته ودلائله وبدأ العلم يكشف عنها الحجب ولكن على شرط أن نحذر فلا نخضع القرآن لنظريات لا تزال في مهب

التجارب وقد تعصف بها فتصبح من قبيل الأساطير فتقول إنها تفسير لآيات القرآن كما صنع بعض المتحمسين وبعض المخدوعين ببريق العلم التجريبي . والقرآن أنما تفسره الحقائق والبراهين التي يحققها البحث العلمي المستند إلى الأصول الإسلامية وقضايا العقل المستقيم – والنظر في تفسير الآيات الكونية يجب أن يقتصر أولاً على تبين هداية القرآن تبينًا علميًا لا على أساس أن نجعل النظريات العلمية هي تفسير الآيات القرآنية ومعانيها التي قصدها القرآن الكريم لا ولكن على أساس أن القرآن الكريم لا يصادم علما ثبت بالبرهان القطعي ثبوتًا لا يحتمل الارتياب وهذا يتطلب بإلحاح من العلماء المسلمين أن يتسلحوا بالعلم والمعرفة بأوسع معانيها بقدر ما تتسع له الطاقة البشرية ..» انتهى .

إن الكون بكل ما فيه من موجودات وكائنات وأشياء عبارة عن (معلومات) مختزنة فيه أو طليقة منه وهي ليست إلا تعبيرًا عن (المعلوم) لله (العليم) في علمه الأزلي الأبدي الذي يتصف به في أوليته وآخريته وهو الأول الذي لا بداية له والآخر الذي لا نهاية له وقد وسع كل شيء علما ولا يحيط أحد بشيء من علمه فيما يكتشفه هذا الأحد إلا بما يشاء الله نفسه كما يقول في القرآن العظيم :﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ أي من العلم أو من وسائل تحصيله . إن الكون وكل شيء موجود هو تعبير المخلوق الموجود بكل صفاته وخواصه وخصائصه وحقائقه وطبيعته وفطرته ومعلوماته المختزنة فيه ، تعبير مطابق تمامًا لأصل المعلوم لله في علمه المحيط بكل شيء والذي وسع كل شيء علماً وخلق وأوجد كل شيء وفق علمه بإرادته وأمره بسر الكلمة (الكنتيه) (كن) التي توجد كل شيء (يكون) كما يقول القرآن العظيم :﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس:٨٢– ٨٣] .

ولما كان القرآن العظيم أنزله الله بعلمه أي متضمنًا علمه سبحانه فإن القرآن في معلومات آياته يحيط بكل شيء في الكون إحاطة شاملة وكاملة وتامة لأن الله

سبحانه وتعالى هو المصدر الموجود للكون (الكتاب المنظور) وللقرآن العظيم (الكتاب المسطور) وهو معنى الآية ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[الأنعام:٣٨] والإثنان متطابقان ومتضمنان لعلمه وكائنان وفق علمه وكمال قدرته قديمًا (القرآن) ومحدثا (الكون) . ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:١٦٦] . وعلمه سبحانه الكلي الشامل والمحيط بكل شيء لا اختلاف أو خلاف بينهما . ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس:٦١] .

إن القرآن العظيم يبين ويوضح لنا في آيات فيه إن سر الوجود الكوني المخلوق وكل وجميع المخلوقات فيه هو(المعرفة) بخالق الوجود الأحد (الله) الاسم العلم الدال على الذات المعبود الجامع للأسماء الحسنى كلها والصفات العلى كلها التي يجمعها في وحدتها اسم الله الرب ، رب العالمين ، المعبود وحده دون غيره وبلا شريك الذي خلق كل شيء موجود في الوجود كما يقول القرآن العظيم وخلق الإنسان وسواه وعدله ونفخ فيه من روحه وميزه (خلقا آخر) كما يقول أيضًا القرآن العظيم متمتعًا بالعقل النابع من نفخه الروح والذي تميز به آدم الجنة الخليفة في الأرض الذي خاطب الله سبحانه وتعالى بشأنه الملائكة النورانيين الإنسان الفريد المتميز المستقل في نوعه عن كل مخلوق غيره بروحه وبعقله الذي كان به حاملا للأمانة أي التكليف الذي يحاسب من خلاله على سعيه في الحياة الدنيا إن خيرًا فخير (الجنة) وإن شرًا فشر (النار) في يوم آت لا ريب فيه تقوم فيه ساعة الحساب وتكون فيه القارعة للناس فمن ثقلت موازينه فأمه هاوية وهي نار حامية . إن العقل هو أساس التكليف والعمل هو أساس الحساب والإيمان هو أساس الفوز والتوحيد هو أساس المغفرة والرضا من الله ونوال رحمته وبه النجاة

وحقيقته لا إله إلا الله والنجاة فيه محمد رسول الله . وكما ذكرنا في البداية فإن المعرفة هي جوهر العبادة ، والعلم هو سر السعادة والعلماء فيما يعلمون درجات ومستويات أو كذلك في تقدير العليم الخبير ومقامات العلماء عنده سبحانه : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] وعنده سبحانه وتعالى لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، لأن العلم مقياس الأقدار للناس ومقاماتهم في مستوياتهم من الرفعة والتقدم والتمدن والتحضر .. وهو سبحانه وتعالى عليم بكل شيء وفوق كل ذي علم عليم ..

وفي الوصف المحيط بما وفيما أقول والصحيح لما أقول كان أول آيات التنزيل في القرآن العظيم الموحي به إلى النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه شاملة ومعبرة عن حقائق الإلوهية وقدراتها في الخلق وخاصة خلق الإنسان وما علَّمه ووسائط تعليمه لما لا يعلم كما جاء في أول التنزيل في سورة العلق :﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١ – ٥] .

وربما لا أكون متجاوزا للحق إذا قلت أن الإعجاز العلمي للآيات الكونية في القرآن العظيم ، يلقي أضواءًا جديدة على عظمة هذا القرآن وجوانب من إعجازه يمكننا معه أن نلاحظ التطابق التام بين كلام الله المقروء (القرآن الكريم) القديم وبين كلمات الله المنظورة (الكون العظيم) المخلوق .

فالقرآن العظيم وإن لم يكن كما سبق وذكرنا كتابًا للنظريات العلمية المفصلة إلا أنه يجمع الحق والحقائق في الشكلين المعروفين للإنسان : البياني والخلقي . كما يكونان في كتاب الله أي الكون الطبيعي والقرآن العظيم وكلاهما كتاب الله ، وهذه الوحدة للحق والحقائق هي من أخص خصائص القرآن الإعجازية : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣] . فالراسخون في العلم يؤمنون بالله وبالقرآن العظيم لأن الحق قد تبين لهم في وحدته الكاملة الشاملة في كلام الله (القرآن) وخلق الله (كلماته) في الوجود الكوني كلاهما كتاب الله ينطق بالحق . ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧] وكلاهما مصدرها واحد هو الله سبحانه وتعالى الواحد الأحد . ﴿بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[آل عمران:٧] . والخلاصة في فهمنا أن هناك فرق بين كلام الله (القرآن) وبين كلمات الله بمعنى (المخلوقات) وتُبين السورة التي ذكرناها – سورة العلق – ما يمكن أن نستشف منها هذا الفرق ، فالإنسان مطالب بالقراءة (النظر والتدبر) في القرآن العظيم (كلام الله) وفي الخلق الكوني (كلمات الله) وكلاهما (كتاب) مسطور أو منظور وكلاهما آياته لا تنفذ وهي دالة على أحديته وقدرته وطاقته وعظمته وحكمته سبحانه ... إلخ سواء في الإنسان أو في نفس الإنسان يجمع الحق والحقائق فيها القرآن العظيم كلام الله الخاتم الموحي به إلى خاتم أنبيائه ورسله لمحمد ﷺ . فالكلمة – وجمعها كلمات- تكون بالأمر الإلهي المعبر عن الإرادة الإلهية وينتج عنها عمل أو صنعة أو خلق يتحقق في الوجود بقدرة صاحب الكلمة والأسلوب الذي يريده ويحدده بسر معنى :﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس ٨٢- ٨٣] . أي بالفورية أو بالتطور الموجه منه .

وكما يقول لنا القرآن العظيم في آيات التنزيل الأولى في سورة العلق – والتي ذكرناها فيما سبق – فإن القراءة وبمعنى النظر والتأمل والبحث والمعرفة والعلم والتدبر والاتعاظ والادكار تكون في حقيقة الأمر موصولة بالله رب العالمين وخشيته وتقواه وهو الخالق البارئ والصانع المصور : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق:١]. وهي القراءة الصحيحة والمطلوبة التي تحوي الإيمان والإحسان

واليقين بمقاماته ومستوياته من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين في إسلام لله وتسليم لجنابه قوامه التوحيد في لا إله إلا الله وتمامه في محمد رسول الله . والقراءة التي تكون فيها الرؤية والشهود والنظر يجب أن تكون غير محدودة وغير مقيدة وغير محيزة وبغير قيود بل وفوق الإطلاق والتقييد والنسبية أو داخل الإبعاد والقيود وإنما في إطار الوصف القرآني . ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] .أي في كل شيء بالتنزيه اللائق وتقديس الجناب الإلهي المقدس عما لا يليق في حقه وبما يليق في حقه من تنزيه وكمال في أحديته وواحديته ووحدانيته الذين ينتفي معهم الشرك والشريك من مفهوم :﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ومفهوم : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ وكما في سورة الإخلاص كاملة في القرآن العظيم ، وكما في لوازم التقديس وحقائق وأسرار ومعاني الاسم الحق (القدوس) وهو المنزه عن كل وصف يدركه الحس أو يتصوره الخيال أو يسبق إليه الوهم أو يختلج به ضميرًا أو يفضي به تفكير أو يتمثله عقل أو يشبهه بالمحدثات تفكير وفكر لأن أحدا لا يحيط به علما كما يقول القرآن العظيم. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه ١١٠] .وذلك في كمال ما يقوله القرآن العظيم . ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[السجدة:٧] . ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢] وكمال . ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:٣- ٤] وهذه قراءة لإنسان في عبادته لربه بالذكر والفكر والتدبر والادكار والحضور والتسبيح والخضوع والتسليم والافتقار كما في عبادة الصلاة والسجود فيها الذي يكون فيه الإنسان العبد أقرب ما يكون من ربه .

كما حدثنا خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه وهو في مقامه العالي الرفيع في الدنيا والمحمود في الآخرة والذي تناول قدره القرآن العظيم في كثير من آيات في سوره.

إن العوالم العاقلة أو الذكية كثيرة في الوجود الكوني كما يخبرنا القرآن العظيم ومنها الملائكة والروح القدس والجن والحيوانات والإنسان وهي تتفاوت في قدراتها العقلية وعندما علَّم رب العزة الإنسان العاقل آدم الأسماء كلها فإنه سواه ونفخ فيه من روحه ليكون جامعًا في هيكله ظاهرًا وباطنًا لكثير من الطاقات في طبيعته وفطرته وفي قدراته الجسدية والعقلية والروحية . أما سر الكلمة فهو سر الخلق أي سر المخلوقات كلها في الوجود الكوني الذي يتكون في حقيقته من مادة وطاقة يعكسان وجهًا واحدًا للكون أي يعتبران جانبان لوجه واحد وليس وجهان حيث أن المادة تعتبر طاقة مخزونة . هذا وإن عملية الخلق والإيجاد والصنع والتصوير الإلهي مستمرة بقدرته سبحانه وتعالى كما يقول القرآن العظيم في سورتي الكهف ولقمان :﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف:١٠٩] و ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾[لقمان:٢٧] فكلمات الرب أو كلمات الله يصح أن تفهم أنها المخلوقات الخاضعة للربوبية وللألوهية وهي غير كلام الله الذي هو صفة من صفاته تعكس علمه القديم الأزلي الأبدي الذاتي اللانهائي الذي يشمل وتنطوي تحته كافة المخلوقات التي هي كلمات الرب أو كلمات الله ، وآخر كلامه سبحانه هو القرآن العظيم الموحى به إلى آخر وخاتم انبيائه ورسله محمد ﷺ كلام الله القديم الذي لا يتجدد في ذاته وإنما يمكن أن يتجدد في فهم معانيه ودلالات آياته بمعرفة الراسخين في العلوم الذين يشاهدون تطابق معاني آيات القرآن وآيات الخلق في الكون وفي النفس حتى يتبين لهم الحق فيهما واضحًا جليًا وكما ذكرنا سابقًا: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣] إن الذي يتدبر آيات القرآن العظيم يجد في الكثير من المواضع الصلة واضحة بين الله سبحانه وتعالى وبين مخلوقاته وهي الصلة التي تتضح في العلاقة بين أسماء الله الحسنى

وصفاته العَلى وبين المخلوقات كلها حيث إن الله سبحانه وتعالى الذي له الأسماء الحسنى هو خالق كل شيء وواضع النظام والقانون والسنة السلوكيات كل شيء أو كما يقول : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢] وذلك من خلال ما نعرف أو قد نعرف مستقبلا من صحيح سلوك المادة . والطاقة والكائنات الحية والخواص الدقيقة لكل منهم .أما الإنسان فقد حدثنا القرآن العظيم في الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور عن مثل نور الله ، نور السموات والأرض ، في مخ وعقل وقلب الإنسان . في المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة الموقدة يضيئ بذلك منافذ الإدراك والوعي العقلي والقلبي لدى الإنسان حيث المشكاة هي الجمجمة والزجاجة هي المخ والمصباح هو العقل والشجرة هي الطاقة الكهرومغناطيسية .. والله أعلى وأعلم : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٥] .

الفتح الثاني :

القرآن الكريم

هو المرشد الحقيقي الذي حفظه الله لنا وحفظه بيننا .هو إمامنا وموجهنا وهادينا ودليلنا إلى النهضة الشاملة والتقدم المدني والحضاري والسمو الأخلاقي والتعاون الأخوي والتعامل عن محبة والتكافل عن إيثار . القرآن يحتوي على الحقيقة المطلقة باللغة العربية التي تنسق بين الشريعة وقوانينها وبين الكون الطبيعي وقوانينه : والعالم الروحي وقوانينه لأن الله واحد في الكلمة المحدثة الصادرة عنه في الكون الطبيعي والعالم الروحي والكلمة القديمة له وهي القرآن الكريم .

القرآن كتاب هداية وإرشاد ، وبيان وتوجيه ، وهو دعوة وحجة يحتوي على حقائق كاملة شاملة تحكم علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى ، وعلاقته بالكون والطبيعة ، وعلاقته بأخيه الإنسان (الفرد – الأسرة– المجتمع– الدولة – الأمة – تجمعات الشعوب والأمم) . إنه منهاج يقيم حياة الإنسان في الأرض وفق أسسه في العقيدة وفي العبادة وفي الأخلاق وفي المعاملات الفردية والاجتماعية والدولية، إنه اعتقاد عن علم وشريعة للعمل ،وهو يدعو الإنسان – الخليفة في الأرض – ليبني صرحًا من المعرفة دائم الترقي يستند إلى العقل والإيمان ، ولذلك فهو حجة ودعوة ترتبط به وفيه الدنيا بالآخرة ..الدنيا هي دار العمل والكد والابتلاء ، والآخرة عنده هي دار الجزاء والثواب أو العقاب ... والحياة في الدنيا إلى فناء والحياة في الآخرة إلى خلود وبقاء . والإنسان الذي يبحث دائمًا عن الحق سيجده كاملاً متكاملاً في القرآن وهو كتاب . كما أنه سيفسر حقائق القرآن من خلال الكون أو الطبيعة وظواهرها والنفس الإنسانية وأسرارها حتى يدرك تطابق الحقائق في القرآن الكريم غير المخلوق المُنزل بالوحي مع الطبيعة المخلوقة وأسرار فسيولوجيا الإنسان وقدراته العقلية والروحية .

ومن هنا يكون النتاج الفكري للإنسان ، تابعًا بالضرورة للحق الكامل

المكتمل في القرآن الكريم ، وهو جامع للكلمات التامات بحيث يكون هذا النتاج الفكري بكل مناحيه ، عاملاً مفسرًا للحقائق القرآنية ، وليس حاكمًا عليها ؛ لأن النتاج الفكري دائم التغيير ، حتى ولو كان في زيادة وترقي ، والمجهول يبدو أكثر اتساعًا كلما ازداد الفكر الإنساني في علومه ولعل هذا هو المعنى الذي قصد إليه القرآن في تقريره :﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف :٧٦] ؛ لأن اتساع مناحي العلم تجلب معها اتساعًا أيضًا في المجال غير المعلوم .

ولهذا السبب سيظل الذكر المنزل محفوظًا من أن تشوبه شائبة قصور أو اختلاف ؛ لأن الحق واحد في الكلمة الصادرة عنه المخلوقة والمكتوبة على السواء، والقرآن بالحق ومن الحق نزل ، وبذلك تزداد عظمته بالنسبة للرؤية الأنانية بازدياد النتاج الفكري الإنساني في مجالاته المختلفة ووسائله المختلفة .

أن المعرفة الإنسانية في مستواها الحالي ، ليست وليدة لحظتها ، وإنما هي نتاج حلقات متصلة من التطور المستمر ، تُكون كلها بوصل أجزائها . الصرح الذي نعاصره ،فالحركة قانون من القوانين التي تحكم الطبيعة وتحكم الإنسان في فكره وسلوكه ولما كان التغيير المستمر هو من سمات الإنسان الأساسية ، فإنه ينتج عن ذلك بالضرورة تعدد واختلاف وتغيير في النظريات العلمية التي يضعها الإنسان في إطار اجتهاده الفكري المستمر والمتغير نتيجة تراكم واتساع المعرفة ، وما قد يشوب هذه النظريات من تعديل أو تغيير أو خطأ .

ومن هنا ندرك كيف يتحقق الأمن والسلام عندما يسلك الإنسان سبيل المعرفة العقلية وتطبيقاتها التكنولوجية في إطار أخلاقيات الدين وقيمة توجيهاته الإيمانية للخير أو يسلك سبيل المعرفة الوجدانية الذوقية بالاجتهاد في العبادة والذكر والتسبيح فإن هذا السلوك يحقق ميزتين :

الأولى : ضمان ارتباط الإنسان بالقيم الأخلاقية عند تطبيقه للقوانين

التشريعية المحددة وللأفكار والمبادئ والقواعد العامة التي توجه الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية في مجتمعاته .

الثانية : ضمان أمن وسلام الإنسان في مستقبله في حياته الفردية وصلاته الاجتماعية في الأرض ؛ لأن أسس هذه الحياة والصلات ستكون انعكاسًا للأصول النظرية العامة لأصول الكتب الإلهية كلها ولتوجيهات القرآن آخرها في ظل إيمان وتدين تتصل بهما مثل وقيم وأخلاقيات بعيدًا عن تأثيرات الأهواء والنظريات الجامدة أو المتغيرة والمصالح الضيقة الضارة بالغير .

إن القرآن يقيم ويوجه حضارة الإنسان على أساس الربط وبين الابتكار والتقدم وترقي ونمو واتساع نتاج الفكر الإنساني وبين توجيهات المثل والقيم الأخلاقيات النابعة من الدين والإيمان ، بما يمكن من قيام مجتمع هو خير المجتمعات في الأرض تعيش فيه أمة هي خير أمة أخرجت للناس .ولذلك كان من الضروري أن يوجه الدين الإنسان في الأرض في وجوده الاجتماعي والمتخذ شكل علاقات بسائر مجتمعات البشر فضلا عن البيئة المحيطة فذلك وحده هو الذي يحقق سلامة وسلام المسيرة المعرفية والعلمية وتطبيقاتهما التكنولوجية وسلامة وسلام البناء الاجتماعي العاكس لهذه المسيرة ومستواها في الجيل المعين ، ويخطو بالفكر الإنساني خطوات كبيرة نحو اكتشافات جديدة للوجود واستغلالها الاستغلال الأمثل لصالح الإنسانية جمعاء ويسلك نفس الخطوات في فروع المعرفة المتصلة بنظام الحياة في كل مجالاته في كل المجتمعات .

وبغير هذا فإن السلوك الإنساني في الأرض نتيجة تقدمه العلمي والتكنولوجي سوف لا يخضع لقيم الدين والإيمان ومثلها وأخلاقياتها وإنما سيخضع لما يضعه البشر للبشر من قيم مادية نتيجة عوامل مادية بحتة ومصالح ضيقة أو موقوتة ، فالإنسان ليس مجرد عنصر من عناصر الإنتاج شأنه شأن الأرض أو الآلة ، كما أنه

ليس مجرد وسيلة للتنمية ، لكنه غاية التنمية وعدم تأهيله وتعليمه وإعداده يمثل خسارة في الإنتاج والنمو الاقتصادي من جهة وخسارة في عملية بناء الإنسان والعلاقات الإنسانية في المجتمع من جهة أخرى وبناء الدولة الحديثة .

والقرآن في الحقيقة طاقة أو نور أو روح . والله سبحانه وتعالى يمنحنا من هذه الطاقات أسباب الحياة المتسامية في روحها ونورها وهديها . نخرج بهم من ضيق الظلمات وشدتها إلى سعة الأنوار عقيدة وعبادة وأخلاقًا ومعاملة : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام:١٢٣] .

لقد وجهنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن نتعوذ من شرور الظلمات الجاهلية إذا اشتدت علينا في الزمان والمكان فقال في سورة الفلق : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ ومنحنا سبحانه القدرة على اختيار طريق الحياة المستقيم الذي تحيط به أنوار الحق ونحن نستطيع أن نسمو بأنفسنا من خلال ذكر أسماء الله الحسنى لنجد فيها سمو أرواحنا في مقام عبادتنا لله كأننا نراه وأن نزيد من هذا السمو لنتحقق بأنه إذا كنا لا نرى الله فإن الله يرانا وقد روى عن رسول الله ﷺ أن من أحصى تسعة وتسعين اسمًا من أسماء الله الحسنى دخل الجنة والإحصاء هنا ليس بمعنى العد أو الحفظ وإنما هو بمعنى التحمل أو الإطاقة من خلال جهاد النفس للتخلق بحسن معانيها وما تؤتيه من أثر في طمأنينة النفس وراحة البال واستقامة السلوك مع الله ومع الناس ، وقد فطن إلى هذا المعنى الذي نقول الدكتور جفري لانج [(١)] وصاغه في عبارات جذابة وجميله في قوله :« دعنا نعود ثانية إلى أسماء الله الحسنى نتذكر هذه المرة نقاشنا عما يتطلبه الإسلام من الإنسان وفي

(١) في كتابه «حتى الملائكة تسأل» ترجمة دكتور زين نجاتي الناشر مكتبة الشروق الدولية .والدكتور لانج أستاذ الرياضيات في جامعة كانزاس الأمريكية اعتنق الإسلام أوائل الثمانينيات من القرن العشرين .

أثناء قراءة القرآن فإنه يذكرنا دائمًا بالسمات والصفات التي يجب أن ننميها في أنفسنا .لن يمر وقت طويل قبل أن تبدو لنا نقاط لقاء كثيرة بين هذه الصفات مع الإنسان الذي يحاول إرضاء نزعة التسامي فيه لأن جميع الفضائل تقريبًا التي يجب أن ننميها في أنفسنا يوجد أصلها وكمالها في صفات الله .مثلاً يجب أن ننمي في أنفسنا فضيلة الإحسان ، والرأفة والسخاء والاعتدال والرحمة ،والولاء ، والتسامح ، والكرم واللطف والعطاء ، والسماحة . والكرامة ، والعدل والشفقة ، وحب الآخرين ، والمسالمة وحماية الضعيف ، والصدق والمعرفة .والحكمة وكلها تبرز من صفات الله وكماله ، وهكذا بتنمية هذه الصفات فينا ، يزداد قربنا من الله وتزداد معرفتنا به وحيث إن المخلوقات البشرية تستطيع التخلق بهذه الفضائل وممارستها بمستويات أعلا من بقية المخلوقات فقد أصبح لديها القدرة على التواصل مع الله بأسلوب ودود متفرد »انتهى .

إن القرآن يدعو الناس والشعوب إلى التعارف ويرفع شأن الناس من نظرة الحيوانية والمادية والآلية الصرفة إلى آفاق العقل والروح الموصولين بخالق الناس ،وهو يقيم علاقات الأفراد والشعوب على أساس القيم الأخلاقية للأديان السماوية كلها وخشية الله ، مرتبطة بتشريعات العدالة الاجتماعية والاقتصادية والشورى السياسية ، والمراقبة الفردية الذاتية للسلوك الإنساني وأهدافه .

إن أزمة العالم المعاصر هي أزمة أخلاقية بالدرجة الأولى تضافرت في أحداثها عوامل سياسية واقتصادية ومالية أساسا ومن ثم فإنه يتعين علينا كمؤمنين أن نحسن من أوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية في الوقت نفسه الذي نعمل فيه لتقويم أخلاقياتنا وأنماط سلوكياتنا بالتربية والتعليم وتجديد المفاهيم الدينية غير المواكبة للعصر في الرؤية الإيمانية والسلوك الإحساني .

ونظرتنا إلى المستقبل تقترن بالضرورة بدراستنا للتاريخ واستيعاب دروسه

لعلاج الحاضر والتخطيط للمستقبل[1] ، والعناية بعلم المستقبل وذلك من زاويتين :

الأولى : تاريخ الإنسان الأول العاقل السوَّي وتجربته التي هبط معها من الجنة إلى الأرض ، بكل عناصرها ودلالاتها ودروسها .

الثانية: التاريخ الحضاري للإنسان عبر العصور المختلفة وحتى يومنا .

وغنى عن القول أن القرآن اهتم اهتمامًا كبيرًا بالناحيتين .الأولى في آياته المتكررة لقصة آدم العاقل التي ساقها لأخذ العظة ومعرفة خصائص تركيب هذا الإنسان في الخلق والمتميز بالعقل والحرية والإرادة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام ، ودراسة التجربة الآدمية من جميع وجوهها ودلالاتها بعد معرفة عناصرها المتصلة بالتركيب العضوي للإنسان وقدراته العقلية وحاجاته الضرورية الغريزية والأساسية في الحياة . والثانية بسرد أحسن القصص عن تاريخ الأمم السابقة وما شادته من مدنيات وحضارات شامخة – مركزًا على الحضارة الفرعونية بالذات التي قدمت للإنسان معارفا وعلوما ما زالت تحيرنا بالنسبة لمستواها في عصرها .

ويخبرنا القرآن بأن التاريخ الإنساني في الأرض يرتبط بعدة أمور مهمة وجوهرية في حياة الإُنسان ذاته وهي :

١-وحدة الذات الإلهية باعتبارها مصدر الوجود وأحداثه التي ترجع في أصلها الأول إلى أنواع من الطاقة منها المعروف لنا ومنها غير المعروف .

٢-وجود «الغاية » وراء تحقق هذه الأحداث في تطورها من غير العاقل إلى العاقل استكمالاً وإكمالاً لدور «العبادة» للإله الواحد .

(١) (Futurolgy).

٣-إيجاد المخلوقات العاقلة في الكون، واختيار الإنسان من بينها جميعًا، ليكون الكائن الحي العاقل المدرك لخصائص الإلوهية في مظاهرها الطاقية الأسمائية الكونية بما يحقق «الغاية» وهي العبادة، عن طريق نمو وترقي المعارف المستمرين.

٤-تحقق الصلة بين ذات الإله وبين الإنسان عن طريق الأنبياء المصطفين والمميزين بقدراتهم العقلية والروحية العالية، يحملون صور الهدى الإلهي إلى الإنسان وقيمه الأخلاقية السامية.

٥-ترابط الهدى الإلهي كله المنزل إلى الإنسان في إطار معنى واحد وصفة واحدة هي «الإسلام»، بمعنى التسليم لذات الله رغم امتداد الأحداث الملابسة لصور هذا الهدى وملابسات نزوله لفترات محدودة في الزمان وتحديدات معينه في المكان.

٦-وجود تصور قرآني شامل يربط بين الإنسان والكون والإله من اجل خير وسعادة الإنسان في إطار نظرة شاملة تقوم على الإخاء والمحبة والعدل والمساواة والتعاون في إطار مفهوم «الجسد الواحد».

٧-الأمانة التامة والصحة الكاملة في رواية الأحداث التاريخية التي يرويها باعتباره الصورة الخاتمة لأشكال الهدى الإلهي للإنسان: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾[يوسف:٣].

وليس السرد القرآني للأحداث والوقائع التاريخية من قبيل الأساطير التي تروى للتسلية كما يظن الكافرون: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾[الفرقان:٥]. ولكنها رصيد من التجارب الإنسانية في السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي المرتبط بالدوافع العضوية والنفسية

والمشاعر والاعتقادات والمصالح .. إلخ . للإنسان الذي يحدد ويقيم مصالحه في العلاقة بالمحيطين الاجتماعي والدولي السائدين .

لقد أراد الله سبحانه وتعالى للإنسان أن يكون متميزًا بعقله على الوجود الكوني الصرف ، المادي أو الطاقي ، وكان مناط هذا التميز هو النفخة الروحية الربانية التي جعلت الإنسان ، الطيني الأصل ، خلقًا آخر غير الخلق الطيني البحت الذي ينتسب لمادة الأرض ، وينقحة التكريم هذه كان التكليف الإلهي للإنسان مصحوبًا بحرية الاختيار المتصلة بالعقل ، يميز به الإنسان بين الخير والشر وبين الحق والباطل وبين الظلمات والنور : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ فقد أعطى الإنسان وسائط شهود الآيات ووسائط التعبير عما يراه أو يتعلمه بالحواس :﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد :٨- ١٠] ومن هذه المنحة الإلهية كان العلم الإنساني مستندًا أولا إلى العقل ، يكشف ويستخدم هذا العلم ويرتقي بمستواه على مر العصور : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨] .

التاريخ يبحث أساسًا في الإنسان لأنه اساس المدنية والحضارة ، والإنسان عبر التاريخ هو في الحقيقة «الحكمة » أو «الغاية» من الوجود ذاته في عملية السعي الدائب للوصول إلى الحقيقة المطلقة .الطريق الإنساني الطويل في الأرض ديناميكي لا استاتيكي ، أي متحرك وليس ثابتًا .والطريق هو السلوك الإنساني عبر الأجيال ، الأحداث المتصلة بالإنسان عير القرون ، هو عبارة عن علاقة «العقل» «بالمعقولات» .وتاريخ الإنسان العاقل يبتدئ منذ آدم العاقل المذكور في الكتب السماوية ، التوراة والإنجيل والقرآن ، وهو عبارة عن قدرة العقل الإنساني على المعرفة من خلال العلاقة بين العقل – الناتج من النفخة الروحية الربانية – وبين الكون كله ، في سعي الإنسان المتواصل لاستزادة معرفته بنفسه وبالبيئة المحيطة به وبالكون المحيط وما وراءه من إله خالق قادر ، خالق لكل شيء .

إن دراسة التاريخ التي يوجهها إلينا القرآن ويسرد وقائع لها تعتبر دراسة واقعية تفيد الإنسان من حيث حياته الاجتماعية الواقعية في حاضـره ومسـتقبله ، تقويمًـا للحاضر وتخطيطًا للمستقبل ، ودراسة فلسفة التاريخ هي دراسـة نظريـة علاقتهـا بـالواقع هـي دراسـة تفسـير وتكييـف وتقـويم ومعرفـة الغايـة والقصـد في إطـار «الحكمة» وكلها تمثل «المعنى» الذي ينبغـي أن يضـبط الإنسـان نفسـه في إطـاره عندما يقوم باستخدام تطبيقات العلوم التكنولوجيـة «المعنـى » الـذي تمثلـه قـيم الدين وعلى رأسها الإيمان والعمل الصالح ، أي الخير النافع للناس .

إن بداية الوجود الإنساني العاقل في الجنة في القرآن هي بداية الوجود للإنسـان العاقل المتميز بالعقل بعد التسوية ونفخ الروح فيه من خالقه وربه وهـو الإنسـان القادر على إيجاد تصور شامل يربط بين الإله والكون والإنسان ، وبداية العقل هي بداية الدين ، وبداية الدين هي أعلى خطوات الإنسان في إيجاد وبلورة هذا التصور ذاته . إن الدين – كل الدين- بقيمه الروحية الأخلاقية ، وتشـريعاته العادلـة ، هـو أمل الإنسان المعاصر في تحطيم أغلاله المادية والحيوانية التي يقيده بها المـاديون في الغرب والشرق على السواء . « لقد بنيـت قواعـد الأخـلاق النظريـة في المدنيـة العصرية على بقايا الأخلاق المسيحية ، بيد أن أحدا لا يطيعها .فقـد نبـذ الإنسـان العصري كل نظام شهواته ، ومع ذلك فليس في الآداب البيولوجية والصـناعية أيـة قيمة عملية لأنها أداة مصطنعة ولا تدخل في اعتبارها إلا ناحية واحدة مـن نـواحي الإنسان ، إنها تتجاهل بعض وجوه نشاطنا الأكثر أهمية ولا تزود الإنسـان بسـلاح على درجة كافية من القوة ليحميه من رذائلـه الفطريـة وذلـك مـا يقولـه : الطبيـب الفرنسي في كتابه / عن الإنسان ذلك المجهول ، وهو الحاصل على جـائزة نوبـل عام ١٩١٢ لأبحاثه الطبية الفذة . (ALEXIS CAREILLE) .

عن القرآن العظيم

عندما نتحدث عن القرآن العظيم فإننا نتحدث عـن كـلام الله المـوحى بـه إلى النبي محمد ﷺ باللفظ والمعنى ،ولذلك فإن القرآن يحتوي على الحقيقة المنطلقة المتسقة بين اللغة وبين الكون الطبيعي والعالم الروحي وذلك لسبب بسيط وهو أن الله واحد في الكلمة الصادرة ، عنه في الطبيعة (الكـون الطبيعـي والعـالم الروحـي) والقديمة (القرآن) .

ولكن هذه الحقيقة (المطلقة) في ذاتها وفي محتواها الموضوعي المنزل متصلة بالإنسان يفهمها بفهوم نسبي رغم كونها هي مطلقة وبذلك تكون الحقائق القرآنية دائمًا ثابتة بينما مفاهيم الإنسان متغيرة أن القرآن هـو المـنهج الأساسـي والأكبـر للحياة بالنسبة للفرد والمجتمع والدولـة ، كمـا أن اتصـالنا بـالله سـبحانه وتعـالى للتعرف على قدرته المتصلة بذاته ، يكون عن طريق القرآن ، كلام الله .

ومعرفتنا بالله عن طريق القرآن هي التي تجمع بـين عـالمي الغيـب والشـهادة وتعامل الإنسان معها في إطار مبادئ وأسس وقـيم الإيمـان الـذي يمثـل الالتـزام بقضاء الله وكلام الله كما جاء في النص القرآني .ورغم أن مفاهيمنا المتصلة بالنص القرآني قد تتعدد نتيجة التباين أو التفاوت في فهم النص وفي الاجتهاد بشـأنه ، فـإن مرجعيتنا في النهاية يجب أن تكون صادرة عن أو راجعة إلى النص ذاته الذي يمثـل دائمًا الحق .

ليس القرآن كتابًا للنظريات العلمية المفصلة كمـا ذكرنـا سـابقًا ولـيس ذلـك شأنه، فهو كتاب هداية وبيان وتوجيه ،وهو دعوة وحجة يحتوي على حقائق كاملـة

شاملة ، ، تحكم علاقة الإنسان بالله تبارك وتعالى ، وعلاقته بالكون أو الطبيعة ، وعلاقته بأخيه الإنسان . (الفرد ، الأسرة ، الدولة ، الأمة ، التجمعات الدولية للشعوب والأمم .. إلخ) إنه منهاج يقيم حياة الإنسان في الأرض وفق أسسه في العقيدة وفي العبادة وفي الأخلاق وفي المعاملات الفردية والاجتماعية والدولية .. إنه اعتقاد عن علم ، وشريعة للعمل ، وهو يدعو الإنسان – الخليفة العاقل في الأرض – ليبني صرحًا من المعرفة دائم الترقي يستند إلى العقل والإيمان ، ولذلك فهو حجة ودعوة ، ترتبط به وفيه الدنيا بالآخرة .. الدنيا عنده هي دار العمل والكد والابتلاء ، والآخرة عنده هي دار الجزاء والثواب أو العقاب .. والحياة في الدنيا إلى فناء والحياة في الآخرة إلى خلود وبقاء .والإنسان الذي يبحث دائمًا عن الحق سيجده كاملا متكاملاً في القرآن ، وهو كتاب ، كما أنه سيفسر حقائق القرآن من خلال الكون الذي هو أيضًا كتاب (الأول مسطور والثاني منظور)أو الطبيعة وظواهرها حتى يدرك تطابق الحقائق في القرآن الكريم المنزل مع الطبيعة المخلوقة .

ومن هذا يكون النتاج الفكري للإنسان ، تابعًا بالضرورة للحق الكامل المكتمل في القرآن العظيم ، وهو جامع للكلمات التامات بحيث يكون هذا النتاج الفكري بكل مناحيه ، عاملا مفسرًا للحقائق القرآنية وليس حاكمًا عليها ؛ لأن النتاج البشري الفكري دائم التغيير ، حتى ولو كان في زيادة وترق والمجهول يبدو أكثر اتساعًا كلما ازداد الفكر الإنساني في علومه ، ولعل هذا هو المعنى الذي قصد إليه القرآن في تقريره :

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٧٦] .لأن اتساع مناحي العلم تجلب معها اتساعًا أيضًا في المجال غير المعلوم الذي يدخل في دائرة ما يسميه القرآن (الغيب) .

ولهذا السبب سيظل الذكر المنزل محفوظًا من أن تشوبه شائبة قصور أو اختلاف ، لأن الحق واحد في الكلمة الصادرة عنه ، المخلوقة والمكتوبة على السواء ، والقرآن بالحق ومن الحق نزل ، وبذلك تزداد عظمته بالنسبة للرؤية الإنسانية بازدياد النتاج الفكري الإنساني في مجالاته المختلفة .

إن المعرفة الإنسانية في مستواها الحالي ، ليست وليدة لحظتها ، وإنما هي نتاج حلقات متصلة من التطور المستمر ، تكون كلها بوصل أجزائها ، سلسلة كاملة من المعرفة حدودها الأخيرة ،وليس الآخرة ، هي حلقة الجبل الذي نعاصره ، فالحركة قانون من القوانين التي تحكم الطبيعة وتحكم الإنسان في فكره وسلوكه ، ولما كان التغيير المستمر هو من سمات الإنسان الأساسية فإنه ينتج عن ذلك بالضرورة تعدد واختلاف الفكر المستمر والمتغير نتيجة تراكم واتساع المعرفة عبر تتابع الأجيال وتتابع العلماء فيها واكتشافاتهم العلمية . ومن هنا ندرك كيف يتحقق الأمن والسلام عندما يسلك الإنسان سبيل المعرفة العقلية وتطبيقاتها التكنولوجية في إطار أخلاقيات الدين وقيمة وتوجيهاته .

ماهية القرآن الكريم

وينبغي – في هذا المجال – أن نلقي الضوء على ماهية القرآن أو الكتاب ، حتى لا يلتبس المفهوم القرآني في الحقيقة بالمفهوم التقليدي الدارج [١] .

الكتاب في اللغة مصدر من مصادر كتب بالقلم وهو أيضًا يطلق على اسم المكتوب ، وقد غلب استعماله في عرف أهل الشرع على كتاب الله تعالى الموجود في المصاحف .

والقرآن مصدر لقرأ كالقراءة وسمي به المقروء وهو كتاب الله تعالى .وهناك

(١) محاضرات الأستاذ الشيخ محمد فرج السنهوري لقسم الشريعة الإسلامية بالدراسات العليا بحقوق القاهرة .

قول آخر بأنه مصدر لقرأ بمعنى جمع ، ويسمى به القرآن لأنه جمع السور كلها أو لأنه جمع ثمرات الكتب السماوية السابقة أو لأنه جمع القصص والأوامر والنواهي والوعد والوعيد والآيات والسور ، وهناك أقوال أخرى في القرآن .

والقرآن ، في المفهوم الدارج يطلق على المجموع المعين من كلام الله تعالى المتلو من عباده أما في مفهوم (رجال أصول الفقه)فهو « كلام الله تعالى القديم المنزل على رسوله محمد ﷺ المتعبد بتلاوته والمنقول إلينا في المصاحف نقلاً متواترًا ».

وعامة العلماء وجمهورهم يقولون : إن القرآن العظيم هو المعنى والنظم العربي الذي لا يصح فيه تبديل ولا تغيير ولا تأخير ، فأي معنى من معاني القرآن يريد بغير أسلوبه ونظمه أو بلغة أخرى غير عربية لا يسمى قرآنًا ولا يثبت له شيء من أحكام القرآن .

وكلام الله تعالى صفة قديمة من صفاته التي ليست من جنس الأصوات والحروف ، ولها تعلق قديم أزلي هو الكلام النفسي الغيبي وتعلق تنجيزي كوني هو إظهار الكلام الغيبي في سور لفظية منزلة إلى الكون وعالم المادة . وهذا النظم والمعنى هما اللذان يريدهما الأصوليون .يقول الأستاذ الشيخ العالم محمد فرج السنهوري [١] عليه رحمة الله عن القرآن :

أجمع المسلمون على أنه كلام ثم اختلفوا في معناه :

١ – الأشعرية قالت إن الكلام صفة لذات الله تعالى ، وهي قديمة وزائدة على ذاته ، ولها تعلق أزلي هو الكلام النفسي ، وتعلق تنجيزي هو ما أنزل على الرسل ومنه القرآن ،والكلام بالمعاني الثلاث قديم .

(١) في محاضراته لطلبة الدراسات العليا في قسم الشريعة الإسلامية بكلية حقوق جامعة القاهرة .

٢-المعتزلة قالت إن كلام الله صفة لفعل خلقه الله ، فكلامه سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام هو ما خلقه وأحدثه في الشجرة من الكلمات والصوات .

٣-طائفة من أهل السنة من بينهم الإمام أحمد بن حنبل قالت : إن كلام الله هو علمه القديم لا غيره .

٤-ابن حزم ذهب إلى الرأي السابق نفسه ، وقال :إن القرآن وكلام الله لفظان مختلفان معناهما واحد .والقرآن كلام الله نزل به الروح الأمين على قلب النبي محمد ، والقرآن وكلام الله يعبر بهما حقيقة لا مجازا عن الصوت الملفوظ المسموع فالله تعالى يقول : ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦] .﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة:٧٥] . ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[المزمل:٢٠] .

وبناء عليه لا تعتبر ولا تسمي ترجمة القرآن قرآنًا بل لا يصح شرعًا ترجمة نظم القرآن لتعذر ذلك وإنما تجوز ترجمة معاني القرآن أو ترجمة تفسيره ولكن ليس على أنه هو القرآن وإنما باعتباره تفسيرًا له فقط وهو لن يعطي نفس الآثار أو المعاني الخفية أو الأسرار والدلالات التي تعطيها اللغة العربية ، اللغة التي نزل بها القرآن. فهذه الترجمات كلها لن تمكن القارئ للقرآن بواسطتها أن ينفذ إلى إعجازه وسمو بلاغته وفصاحته وإدراك عظمة بيانه وتكونات آياته والحظوة بأنواره وتأثير آياته وهدايته . وسيقتصر وعي وإدراك القارئ على جزء من وعي وإدراك المترجم الذي عبَّر عنه بترجمته المحاطة بكثير من جوانب القصور والنسبية لأنه لن يحصل العائد النفسي والوجداني والإيماني أو العائد المعرفي والعلمي الكامل الذي تؤديه اللغة العربية التي نزل بها القرآن العظيم .

***

ومن روائع ما قاله الإمام ابن القيم عن (الخطاب القرآني) قوله في كتابه (التبيان في أقسام القرآن) :

«تأمل خطاب القرآن تجد ملكًا له الملك كله ، وله الحمد كله ، أزمة الأمور كلها بيده ، ومصدرها منه ، وموردها إليه ، مستويًا على العرش ، لا تخفى عليه خافية من أقطار مملكته ، عالمًا بما في نفوس عبيده ، مطلعًا على أسرارهم وعلانيتهم ، منفردًا بتدبير المملكة ، يسمع ويرى ، ويعطي ويمنع ، ويثيب ويعاقب ، ويكرم ويهين ، ويخلق ويرزق ، ويميت ويحيي ، ويقدر ويقضي ، ويدر الأمور ، نازلة من عنده ، دقيقها وجليليها ، وصادعة إليه . لا تتحرك ذرة إلا بإذنه ، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه ، فتأمل كيف تجده يثني على نفسه ، ويمجد نفسه ، ويحمد نفسه ، وينصح عباده ، ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم ، ويرغبهم فيه ، ويحذرهم مما فيه هلاكهم ، ويتعرف إليه بأسمائه وصفاته ، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه ، يذكرهم بنعمه عليهم ، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها ، ويحذرهم من نقمه ، ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه ، وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه ، ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه ، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء ، ويثني على أوليائه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم ، ويذم أعداءه بسيئ أعمالهم وقبيح صفاتهم ، ويضرب الأمثال ، وينوع الأدلة والبراهين ، ويجيب عن شبه أعدائه أحسن الأجوبة ، ويصدق الصادق ، ويكذب الكاذب ، ويقول الحق ويهدي السبيل ، ويدعو إلى دار السلام ، ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها ، ويحذر من دار البوار ، ويذكر عذابها وقبحها وآلامها ، ويذكِّر عباده فقرهم إليه ، وشدة حاجتهم إليه من كل وجه ، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين ، ويذكرهم غناه عنهم وهم جميع الموجودات ، وأنه الغني بنفسه عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ... » أ . هـ .

القرآن العظيم والعلم

القرآن والعلم

للعلم والعلماء تقدير ومكانة كبيرة في القرآن العظيم، ومن آياته أسوق الأمثلة التالية كنماذج ليست على سبيل الحصر:

(١) ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦–١٠٩]

(٢) ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

(٣) ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

(٤) ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ:٦]

وعن تميز العلماء يقول القرآن العظيم:-

(٥) ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

(٦) ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

(٧) ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

(٨) ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الروم:٥٦].

(٩) ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء:١١٣].

(١٠) ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [البقرة:١٥١].

(١١) ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٤].

(١٢) ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ [طه:١١٤].

أن المدخل إلى فهم آيات القرآن العظيم والأمثال فيه هو العلم وهم العلماء فيقول ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران:٧].

ويقول ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٣].

وكذلك فإن القرآن العظيم يدعوا كل الناس إلى استعمال العقل والتعقل والتفكير والتدبر والفهم والتفكر والنظر والبحث والدرس والتعلم اعتصامًا بالوحي الذي يعتبر مصدرًا صحيحًا مأمونًا ويقينيًا من مصادر المعرفة بالحقائق التي تتوافق وتتفق معها دائمًا حقائق العلم وليست التفسيرات الغيبية

للموضوعات العلمية . ومن هنا فإن آيات القرآن العظيم ليست ولا يصح اعتبارها معوقًا للعلم أو التفكير العلمي أو الاجتهاد العلمي أو الإنجاز في العلوم .

يقول القرآن العظيم بالنسبة لاستعمال العقل والتعقل والفهم وعلى سبيل المثال :

١ - ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:٢٤٢].

٢ - ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢].

٣ - ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم:].

هذا ويجعل القرآن العظيم النظر في خلق الله في السموات والأرض قائم على الدراسة والتدبر والاتعاظ والاستكشاف لزيادة العلم والمعرفة والمعلومات فيقول مثلاً :

١ - ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ .... ﴾ [الأعراف:١٨٥]

٢ - ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [ق:٦].

٣ - ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس:١٠١].

القرآن العظيم :

القرآن العظيم كلام الله كاملاً شاملاً في وعيه الذاتي وعلمه وإدراكه الذاتي لأن كلام الله صفته، وهي قديمة من صفاته التي ليست من جنس الأصوات والحروف وهي متعلقة باسمه واسمه متعلق بذاته، فيكون كلام الله في إصداره العربي اللغة معبرًا عن علمه الذاتي المطلق والشامل في هذا المستوى المعلوماتي لقرآن الذات،

وقد أنزله الله من هذا المقام والمستوى في ليلة القدر إلى أهل الأرض والسماوات بواسطة الروح القدس جبريل على قلب النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين ميسراً للذكر بهرت العقول بلاغته وظهرت على كل قول فصاحته وأحكمت آياته وفصلت كلماته وجامعا للكلمات التامات ورموزها أصبح محفوظاً في القلب والعقل والذاكرة للنبي صلوات الله وسلامه عليه وهو اللوح المحفوظ فيه القرآن. إن قرآن الذات أو القرآن الذاتي كما هو في علم الله الذاتي إنبنت على أساسه مفردات الوجود الكلي بتفصيلاته المختلفة لأن علم الله الأزلي والأبدي سابق على ما يكون ويتحقق في الكون وقرآن الذات (وهو نفسه كلامه في التنزيل اللغوي العربي قرآن واحد) يعكس علم الله الأزلي والأبدي الشامل والكلي والمحيط بما كان وما يكون وما سيكون، فالكون كان (معلومات) في علم الله أي في تقديره وهو كتاب القدر الذي يشير إليه القرآن العظيم في قوله: ﴿فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢]. أي تخلقها وتوجدها.

وبحيث يكون الكون المعلوماتي في علم الله والمعروف والمعلوم لله قد سبق الكون الطبيعي المادي والفعلي الموجود والذي يتعامل معه العلماء لأن (التقدير) سبق (التنفيذ) أي (الإيجاد) من اللاشئ حيث لم يكن زمان ولا مكان ولا مادة ولا قوى، كما لم توجد طاقة إلا الطاقة أي القدرة التي يتصف بها الإله سبحانه وتعالى بكل أسمائه الحسنى وصفاته العُلى والتي منهما انبثقت كل المادة وكل القوى وكل الطاقات في الكون الذي خلقه الله رب العالمين واحتوتها المفردة (Singularity) كما يقول العلم الآن وذلك في مقام «كان الله ولم يكن شيئاً غيره» كما حدث النبي محمد ، وكما قال أيضاً في التوحيد «كان الله ولم يكن شيئاً قبله».

إن القرآن يتحدث عن حقائق (FACTS) تصوغها آياته. فإذا تحدثنا – مثلاً –

عن النظريات الفيزيائية فإنها يجب أن تكون دائماً متسقة مع نفسها – SELF) (CONSISTENT لأنها ان لم تكن كذلك أي كانت غير متسقة مع نفسها SELF) (INCONSISTENT أو بها مضامين متناقضة فوفقاً للفيزياء العامة والرياضة فإن هذه الأمور هي العامل الذي يقضي على النظرية الفيزيائية مهما كانت صحة النتائج الجزئية الناتجة عنها.

هذا وأنه ليست هناك حقيقة علمية مطلقة تثبت باليقين الحق إلا وهي متفقة ومتوافقة مع نظيرها الذي تشير إليه آيات القرآن العظيم بل إننا نقول باليقين أن آيات القرآن العظيم تضفي الثبات والشمول والحق في المحتوى والحقيقة في المعنى المعلوماتي على المعلومة العلمية المكتشفة في الطبيعيات والكونيات والإنسانيات في معناها العام ودلالاتها وذلك لسبب بديهي وطبيعي بسيط قلناه من قبل وهو أن مفردات الكون والطبيعة ركبهما الله تعالى الخالق على أساس علمه الذاتي في قرآنه الذاتي (قرآن الذات الإلهي) الشامل والمحيط بكل ما هو مخلوق وكائن وموجود في هذا الكون بسماواته وأراضيه ما تدركه منه وما لا ندركه، فيما ترصده فيه وما لا نرصده، ويمكننا أن نقول مع ذلك أن الإعجاز العلمي هو أحد أوجه الأعجاز العديدة في كتاب الله الخاتم، القرآن العظيم. الذي هو نفسه المعلوم لله في ذاته والذي عبرنا عنه بقرآن الذات حيث أنزل الله القرآن العربي بعلمه أي متضمنًا علمه كما قلنا من قبل .

ومع ذلك أحب أن أقول أن القرآن العظيم لا يتناول تفصيلات كل علم بما يتناوله من حقائق وتفاصيل ونظريات ومسائل وفروض ودقائق، إذ ليس من طبيعته ذلك باعتباره دعوة وحجة، فهو يهيئنا نحو الحق ويدعونا في ذلك إلى الأخذ بالعلم واحترام العلم والعلماء والاستزادة من العلم، كل أنواع ومجالات العلم، والمستخدمة في إطار عقائد وأخلاقيات الدين وقيمه الروحية وفيما ينفع

ويفيد ولا يضر أو يفسد.

وأود أن أذكر القراء لكتابي بالدراسة المتعمقة والموضوعية التي أجراها الطبيب الفرنسي موريس بوكاي (MAURIECE BUCAILLE) وأخرج بها كتابه الشهير «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم». (LE BIBLE. LE CORAN ET LA SCIENCE)[١] متضمناً دراسة موضوعية للقرآن العظيم في ضوء المعارف العلمية الحديثة، وباللغة العربية التي درسها وأجادها الدكتور/ بوكاي وخرج من دراسته بنتيجة أساسية وهي أن القرآن يثير وقائع كثيرة ذات صفة علمية وأنه لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن، العلمية مع وجهة النظر العلمية ويقول في كتابه : «ويفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الإنتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العهد الحديث». أنتهى[٢].

لقد خاطب القرآن عقل الإنسان موجهاً إياه للنظر والبحث في حقيقتين قائمتين، التركيب الإنساني ذاته بوحدته العضوية العقلية والنفسية والروحية والتركيب الكوني بوحدته المادية الطاقية:

- يبحث في الخلق وأسلوبه وأشكاله والقوانين أو السنن التي تحكم حركة المخلوقات في الأرض.

- يبحث في النجوم وطاقاتها وأنوارها السارية وخواص هذه الأنوار والأضواء.

---

(١) الذي ترجم من الأصل باللغة الفرنسية إلى اللغات العربية والانجليزية الصرب كرواتية والاندونيسية. (وقد توفي الدكتور بوكاي في عام ١٩٩٨م).

(٢) أسلم الدكتور موريس بوكاي في حياته عن دراسة واقتناع .

– يبحث في المادة وتكوينها الذري، وحقائق التركيب الذري وما يتصل بها من تفتيت والتحام وحركة ونظام وخواص وطاقات.

– يبحـث في الحركـة الفلكيـة يسـتنتج منهـا أفكـار الزمـان والتقـويم الزمنـي والحساب الزمني.

– يبحث في الطاقات المسخرة له في إطار كوكبه الممهـد لحياتـه وتطورهـا في ترقي وتكمل.

– يبحث في عجائب المخلوقـات عـلى الأرض، فـوق سـطحها، وفي باطنهـا، وفوق مياهها، وفي أعماقها، وفي أجوائها.

– يبحـث في عـوالم الجمـاد، وعـوالم النبـات، وعـوالم الحشـرات والحيـوان والطير..إلخ.

– يبحث في عالم نفسه، وحقائق تركيبه العضوي ونشاطه العقلي والروحي.

– يبحث في طبقات السماء الدنيا والأجواء ليخترقها بما أوتى من سلطان قادر على النفاذ من أقطارها بالعلم.

في ذلك كله، وفي غيره نزلت نصوص الكتاب العربي ليقرأه محمد (صـلى الله عليه وسلم) قرآناً على الناس على مكث ليتدبروه، ميسراً للذكر ليعلموه، متدرجاً في البناء ليقيموه، ينطلق به ومعه الإنسان في وجود نفسه ووجـود الكـون الخـارجي، يشهد الحقائق الطبيعية ، مدركاً على قدره مقادير إتقـان صـنعها ودرجـات سـعتها وكثرة صورها، واختلاف أشكالها، واستمرار حركتهـا، ودوام امتـدادها وحقيقـة إطلاقها، وطبيعة قوانينها أو سننها، وسر وحدتها وقدر مجهولها، ليبني من خـلال هذه المعارف عقيدته في «الإله» ويسلك عن طريق الكون المادي وقـواه وطاقاتـه

مسالك المعرفة المرتبطة بالحواس وبإدراكه الزائد عن الحواس (E.S.P) في الطريق المكتشف لعظمة وقدرة الله سبحانه، الاسم الجامع الدال على «الذات المعبود» الذي ليس «كمثله» شيء في كل شيء سبحانه وتعالى عما يصفه الواصفون، أو يتخيله المتخيلون، أو يتصوره المتصورون أو به يشركون.

فالقرآن العظيم يحدثنا عن أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى أنه سبحانه وتعالى (القدوس) أي المنزه عن كل وصف يدرمه الحس أو يتصوره الخيال أو يسبق إليه الوهم أو يختلج به ضمير أو يقض به تفكير أو يتمثله أو يشبهه العقل وأن أحدا لا يحيط به سبحانه علما ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠] وأنه سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى :١١] أي في كل شيء .

إن الاسم والمعنى للدين وللعلم لهما نفس المدلول في القرآن العظيم في أصول الكتب السماوية التي سبقته لأن مصدرهم واحد ثابت وغير متغير ووحيه في كتبه غير متناقض وغير مختلف وغير متعارض.

والقرآن العظيم يوحد ولا يفرق بين القضيتين الدينية والعلمية فالعلم دين والدين علم وما جاء به الله في القرآن هو كما يقول ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف:٥٢] وكما يقول ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١] وكما يقول ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ: ٦] فالذي جاء به الله سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد هو دين وعلم كما ذكر القرآن العظيم في الآية ١٢٠ والآية ١٤٥ من سورة البقرة، وكما أشار إلى القضية الدينية بمفهوم القضية العلمية في سور (مريم الآية ٤٣) و (يوسف الآية ٢٥) و (الأنبياء الآية ٧٤) و(النمل الآية ٣٥) و (القصص الآية ١٤) وغيرها.

والمتحدث في القضيتين (الدينية والعلمية) هو الله وعلمه علم مطلق ذو طبيعة شمولية وكلية ولا عهد للإنسان بها فهو سبحانه ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه :٩٨] و ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢] و﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر:٢٢]، وهو علام الغيوب والأسرار والخفايا والظاهر والباطن والمعلن والمتكتم بكلياته وجزئياته وتفصيلاته ودقائقه في وجوده الأولي والأخرى المحيط بالوجود وبكل موجود وهو سبحانه بكل شئ عليم وفوق كل ذي علم عليم ولا يحيطون به علماً.

والحق أن العلوم كلها تقودنا وتؤدي بنا إلى الله أو الإيمان بالله والعلم بالله فإن العلوم كلها تكتسب نفس الأهمية ونفس التشريف .ونفس الشرف ولذلك مجدَّ القرآن العلم والعلماء كما مجدهم رسول الله ﷺ .

كما أن القرآن الكريم كان أهم أسباب بناء حضارة المسلمين في الماضي الذهبي الذي ازدهرت فيه هذه الحضارة وازدهر فيه علماء العرب والمسلمين في كثير من مجالات العلم التي أشاد بها وبما قدمته للإنسانية في وقتها ولتابعي الديانات السماوية الأخرى في الغرب الأوربي أشاد بها علماء أمثال بريفولت [١] وجورج سارتون [٢] وويل ديورانت [٣] .وتوماس آرنولد [٤] وغيرهم كثيرون .

لقد تناول القرآن موضوعات ومسائل كثيرة ينبني عليها بنيان الأمور الدينية والعقيدية والعبادية والمعاملات والأخلاقية التي تتصل بالإنسان في حياته وفي صلته بالله سبحانه وتعالى وبالناس في دينهم ودنياهم ومجتمعاتهم .وكما انبنى مجتمع المدينة المنورة على الأسس والقواعد و العناصر التي دعا إليها وأكدها

(١) في كتابه « بناء الإنسانية » .

(٢) في كتابه «تاريخ العلم» .

(٣) في موسوعته عن «قصة الحضارة».

(٤) في كتابه «الدعة إلى الإسلام والمترجم إلى العربية .

وثبتها القرآن العظيم في تناوله لأمور وموضوعات الحكم وأصوله وما قامت عليه الدولة الإسلامية في ذلك الوقت من مبادئ أرساها القرآن الكريم من مثل الشورى والتشاور والبيعة والنقد البناء والنصيحة البناءة المستندة إلى التجربة والمعرفة وإلى التخصص والالتزام بتعاليم ومبادئ وأحكـام ومقاصـد وروح القـرآن الكـريم في شريعته وحقيقته أي منهاجه في التناول والتعامل مع ظاهر الأمور في حياة الإنسـان ومع باطنها في ضـمير الإنسـان ونياتـه في قلبـه وخبايـاه وعقلـه ودوافعـه الخافيـة المستورة، أي في سره وعلانيته ، وكما ذكرت في المقدمة من الكتـاب فـإن كتـابي هذا لن يتناول هذه الموضـوعات كلهـا التـي تتنـاول الإنسـان الفـرد وفي الأسـرة والمجتمع والدولة والوطن وفطـرة الإنسـان وطبيعتـه ونـوازع وإلهامـات نفسـه وغرائزه وعقله وقلبه وبصيرته في الخيـر والشـر وسـلوكه فيهمـا وغيـر ذلـك مـن الموضوعات التي تناولها القرآن العظيم وهي كثيرة جدًا يستحيل عـلى أي إنسـان وعلى أي أحد أن يتناولها كاملة أو يحيط بها كما تناولها وأحاط بها القرآن الكريم .

الفتح الثالث :

خصائص القرآن ومقاصده

من أهم خصائص القرآن :

١-كتاب ميسر للذكر .

٢-كتاب محفوظ .

٣-كتاب معجز .

٤-كتاب مبين .

٥-كتاب الدين كله .

٦-كتاب الزمن كله .

٧-كتاب الإنسانية كلها .

ومن أهم مقاصد القرآن :

١-تصحيح العقائد والتصورات للإلوهية والرسالة والجزاء .

٢-تقدير حقوق الإنسان وكرامته وخصوصًا الضعفاء من الناس .

٣-توجه البشر إلى حسن عبادة الله تعالى وتقواه .

٤-الدعوة إلى تزكية النفس البشرية .

٥-تكوين الإنسان الصالح والأسرة الصالحة والمجتمع الصالح ودولته .

٦-إنصاف المرأة وإعطائها حقوقها وما تستحقه من تقدير .

٧-التوحيد .

٨-الدعوة إلى السلام وإلى عالم إنساني متعارف ومتعاون ولم ينزل القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى عليهما السلام حتى لا

يثقل كاهل المكلفين بأحكامه أو فهم معانيه أو الالتزام بتنفيذ أوامره والانتهاء عما نهى عنه وإنما نزل على قلب النبيﷺ بالوحي بواسطة جبريل عليه السلام منجمًا أي مفرقًا على وفق مقتضيات الظروف والأحوال والأحداث أو جوابًا للوقائع والمناسبات أو الأسئلة والاستفسارات وبدأ نزوله في ليلة القدر في شهر رمضان المبارك . وقد كان أول ما نزل من القرآن العظيم قوله تعالى في سورة العلق : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق:١-٥] . وكان آخر ما نزل من القرآن في أرجح الأقوال قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٨١] .

أما جمع القرآن وكما سبق أن ذكرنا فكان الجمع الأول في عهد النبوة والجمع الثاني في عهد أبي بكر ، والجمع الثالث في عهد عثمان بن عفان بنسخ المصاحف من مصحف حفصة على خط واحد (ست مصاحف) .

ويمكننا أن نقول ونؤكد أن القرآن هو الكتاب السماوي أي الإلهي الوحيد الذي له من السعة والشمول والإحاطة والدقة والصحة والحكمة وقدسية المصدر ما يجعله بحق خاتم كتبه والنموذج الأمثل لأسس التقدم والتمدن والتحضر وعليهم تنبني النهضة الشاملة التي يقوم بها الإنسان المواطن المؤمن وقياداته المسئولة .

الفتح الرابع :

القرآن وحرية العقيدة

حرية العقيدة[1]:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٩٩] .

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

قضية الصراع الديني والخصومة المذهبية ، قديمة موغلة في أعماق الزمن تلقاها عصرنا فيما تلقى من تركه العصور الخوالي ، بعد أن تضخم ميراثها من الضحايا والأحقاد وشهد التاريخ بأن البشرية لم تروع بمثل ما روعت به مما جنى على الناس التعصب الديني والخلاف المذهبي الذي مزق أصحاب الدين الواحد طوائف وشيعًا ، وأوقد بينها نار العداوة والبغضاء !

وتلقى العصر مع هذه التركة المثقلة بالمآسي والمشحونة بالفواجع أمل الإنسانية المتدينة في التسامح والتقارب بين مختلف الأديان ، تقريرًا لحرية العقيدة وتفاديا لمزيد من الضحايا .

وهو أمل استشرف له الإنسان ، منذ جاءته رسالة الإسلام ختامًا لرسالات السماء يمثلها خاتم الرسل إلى الناس كافة .

والفكرة العامة عن تسامح الإسلام واحترامه لحرية الاعتقاد والتدين ، لا تكفي لبيان الأفق الرحب العالي الذي استشرف بالإنسانية إليه .

فالحق أن الإسلام في إقراره لحرية التدين ، يلزم أتباعه بهذا الإقرار دينًا وعقيدة وسلوكًا ، وليس لمجرد التسامح أو المجاملة والمسالمة .

وهو يبدأ أول ما يبدأ فيأخذ الرسول الكريم بهذا المبدأ ، اتقاء لما قد يدفعه إليه

(١) الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في كتابها «القرآن وقضايا الإنسان» مختارات من كتابها وبتصرف من جانبنا .

الإيمان من أخذ الناس قسرًا بالدين الحق ، وهو ما يأباه الإسلام نصًا وروحًا (في القرآن والسنة) إلزامًا للإنسان بحمل الأمانة ،وتقديريًا لأن العقيدة لا تكون عقيدة حتى تصدر عن اعتقاد ،والإيمان لا يكون إيمانًا حتى ينبع من القلب والضمير عن رضى وطمأنينة صادقة ولا خير في كلمة ينطق بها اللسان زورًا ويكفر بها القلب ، فذلك هو النفاق الذي يعده القرآن في الإسلام شرًا من الكفر الصريح .

وفي العهد المكي نزلت آية يونس في القرآن خطابًا لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام :﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[يونس ٩٩] .

وبعدها في مستهل العهد المدني ، نزلت آية البقرة في القرآن الكريم أصل التشريع : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾[البقرة:٢٥٦] .

وهذا الإقرار لحرية الاعتقاد يلقى على الإنسان تبعة اختياره ويحمله مسئولية حريته ومن هذا كان تأكيد القرآن لمهمة الرسول ، وأن ليس عليه إلا أن يبلغ رسالته :

﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:٢٠] .

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [المائدة:٩٢] .

ويتكرر هذا القصر لمهمة الرسول على البلاغ في القرآن الكريم ، أكثر من عشر مرات محددًا موقفه من المكذبين والمعرضين ، بما يؤصل المبدأ الإسلامي في حرية الاعتقاد :

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[الشورى :٤٨].

ويقدر القرآن الكريم ما في أخذ الرسول بهذا المبدأ من صعوبة ومشقة إذ

يحزنه عليه الصلاة والسلام ألا يؤمن الناس جميعًا بما آمن به ، ويضيق صدره بمن يكذبونه ويعرضون عنه ولكن هذه المشقة البالغة ليست إلا بعض ما يجب أن يحتمله من أعباء رسالته ،وقد امر ألا يكره أحدًا على الإيمان ، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يجادل المرتابين والكفار والمشركين بالتي هي أحسن ، إلا أن يبغوا ويعتدوا ، فيشرع القتال دفاعًا عن الإسلام وإقرارًا لحق مقتنعة في حرية العقيدة .

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر:٩٧، ٩٨] .

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام:٣٣- ٣٥] .

وأنا أقول : إن المسلمين لم يجبروا الآخرين على الإسلام لا بالقهر الديني ولا بالضغط الاقتصادي ولذلك بقيت أغلبية سكان البلدان التي فتحها المسلمون على دينها القديم زمنًا بعد الفتح الإسلامي إلى أن أسلمت أغلبيتها باختيارها وبالهجرات العربية إليها .

وننظر في موقف الإسلام من الأديان السماوية قبله ، فنراه لا يكتفي بالاعتراف لمعتنقيها بحرية التدين ، بل يلزم المسلمين كذلك الإقرار بنبوة كل الرسل ، دينًا وعقيدة وليس لمجرد التسامح أو المسالمة كما يلزمهم أيضًا أن يؤمنوا بأن الإسلام مصدق لما بين يديه من رسالات السماء وفي ذلك تنزلت آيات القرآن :

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ

وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[آل عمران:٣، ٤] .

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [فاطر:٣١] .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[المائدة:٤٤] .

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة:٤٦] .

لقد اكد الإسلام أن الحقيقة في الأديان واحدة يمكن أن يلتقي عندها المتدينون جميعًا فوق أحقاد التعصب وفواصل الخلاف وذلك مما يدخل في حساب علم الاجتماع الديني ، آية من آيات عالمية الإسلام وخلوده .

ومن تحرير الإسلام ، ختام الأديان ، لعقيدة الإنسان ، إبطاله سلطة الكهنوتية التي تسلطت على العقيدة الدينية بالقهر والتحكم ، بما أخذت من صفة الوساطة بين العبد المتدين وخالقه ، وما أدعت من سلطة إلهية تمنح بها صكوك الغفران أو تصدر قرار التكفير والحرمان !

وذلك ما أبطله الإسلام فلم يأذن لأحد أن يتوسط بين العبد وخالقه فيقول القرآن العظيم :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة:١٨٦] .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الشورى:٢٥] .

﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه:٨٢] .

كما ليس لأحد أن يوزع بطاقات دخول إلى الجنة والنار ، أو يحدد لمخلوق

مثله مكانه هناك ، فهو سبحانه الذي يدري أين يضع رحمته والرسول المصطفى نفسه لم يكن له شيء من هذه الحقوق الإلهية التي ينتحلها فينا ناس تسلطوا على خلق الله بكهنوتية أبطلها الإسلام .

إن سبيل الدعوة في القرآن :

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥] .

ولعل عداء بعض المذاهب المحدثة للأديان ، إنما نشأ أصلاً بسبب ما انتحله رجال الدين فيهم من سلطة كهنوتية بررت باسم الدين البغي والاستغلال ، وهادنت الرجعية والفساد والطغيان ، واستنزفت أموال المتدينين الكادحين ، ثمنًا للمغفرة أو فدية من غضب الله !

أن حركة الإصلاح الديني التي قام بها (مارتن لوثر) تأثرت بمبادئ الإسلام في إبطال سلطة الكهنوتية وتحريم صكوك الغفران [١] وعقيدة الفداء ، فأنى لأحد أن ينتحل فينا هذا الحق ، وكتاب الإسلام قد رفع عن الإنسان إصر تلك الكهنوتية ، تقريرًا لحرية عقيدته ، وضميره وعقله .

ومع حرية العقيدة يقدر ويقيم القرآن العظيم حرية الرأي أي الكلمة وحرية التعبير وحتى يمكن أن يؤدي الجدل بالتي هي أحسن الذي يدعو إليه القرآن إلى طمأنينة العقل واطمئنان النفس لأن الجدل في المفهوم القرآني يعتبر من خصائص الإنسان المميزة له عن غيره من الكائنات فيقول مثلا القرآن العظيم : ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ [الكهف:٥٤] .

(١) اقرأ في هذا (صلة الإسلام بإصلاح المسيحية) . وهو بحث قدمه «أمين الخولي» بالألمانية إلى مؤتمر تاريخ الأديان في بروكسل سنة ١٩٣٥ – ونشره الأزهر مترجمًا إلى العربية .

ولكن القرآن يعيب على الإنسان أن يجادل في الحق الواضح الجلي أو في الآيات البينات فيعاند ويكابر : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [غافر:٥٦] .أو بتمذهب بالتعصب والانغلاق والقصور في العلم والمعرفة متبعًا هواه ومجادلاً بالباطل بغير هدى ولا كتاب منير كما يقول القرآن العظيم : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[الحج:٨، ٩] .

ومن الناس من يجادل بالباطل ليدحض به الحق فيصفهم القرآن العظيم بقوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ [الأنفال:٦] .أما جدال الإنسان عن حاجة إلى الاقتناع والتبيين والمعرفة والاستيضاح فيوجهنا إليه القرآن العظيم لنستمع إليه ونناقشه بالجدال أيضًا فيقول: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥] .ويقول : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ [العنكبوت:٤٦] . ومن هنا كان من الأصول التي أثبتها القرآن العظيم في أمر العقيدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عملاً على إحقاق الحق وترسيخ العدل ومنع الفساد وإقامة الصلاح وانتهاج نهج الإصلاح واستقامة السلوك وتبني مكارم الأخلاق والإحسان في التعامل والمعاملات مع كل الناس المتساوون في القرآن في إنسانيتهم وأصلهم البشري وبحيث لا يتمايزون عن بعضهم البعض إلا بالتقوى لله والعلم النافع والعمل الصالح في كل أوجه الخير والصلاح والإصلاح وبمكارم الأخلاق . وكما يقول القرآن : ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾[الحجرات:١٣] .

القرآن كتاب التوحيد

جاء القرآن مقررًا أن الله المعبود الحق إله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ووضع أساسًا جديدًا مبني على المعرفة والعلوم يجرد فيه الإله من صفات مماثلة الأحداث والمحدثات كالتجسيد والتشبيه والتصور والتخيل والاتحاد والحلول والتحيز ووحدة الوجود وغير ذلك من أوجه الشرك . وقرَّب القرآن العظيم مفهوم الإله إلى الفكر الإنساني مع تنزيه ذاته بما أضفى عليه من أسماء حسنى وصفات عًلى حتى يكون مفهوم الإله محيطا بالإنسان في كيانه كله في عقله وقلبه وفكره ونفسه وشعوره وروحه وفي سلوكه الفردي والمجتمعي والاجتماعي إحاطة تجعل من الله رقيبًا على الإنسان في كل شئونه في سره وظاهره وربط القرآن بين عقل الإنسان وروحه وبين الكون المحيط به من خارجه والكون الممتد بداخله أي في الآفاق وفي النفس ليلحظ ويشهد ويتأمل ويعقل ويفكر ويتدبر ويتذكر ويعلم ويفقه ويرى آيات الله المعجزة في الكونين (الآفاق والنفس) بما يزيد من ارتباطه بالله ويقوى إيمانه به وخوفه منه ورجاؤه فيه وحبه له متحققًا بالأمل والرجاء في رحمته وغفرانه وتوبته بما يحقق الاستقامة للبشر من الناس في السلوك والأعمال والأفعال من خلال مراقبة الله الذي يقول لنا القرآن العظيم أنه سبحانه وتعالى يعلم السر والجهر في كل وقت وحين وفي أي مكان وحال لا تأخذه سنة ولا نوم حي قيوم لا يغفل ولا يغيب ولا يضل ولا ينسى .

مفهوم الإله في القرآن الكريم

تناول القرآن الكريم العقيدة في «الله» في تجريد لمعاني الإلوهية من كافة الخرافات والأساطير والتصورات والتخيلات والماديات والتجسيدات والقيود والتحيزات والتشبيهات ، وربط هذه المعاني بفكرة منزهة أو رمز أو مثال دال على «الذات المعبود» له أسماء وصفات متصلة أو متوحدة في حقيقة مرموز إليها بلفظ

«الله » تدل على الذات الواحد وعلى أسمائه وصفاته من خلال تجليه في الكون وفي كل الكائنات والقوى والطاقات المخلوقة . إن على الإنسان أن يزيد من معارفه عن الكون ومادته وطاقته ، وقواه عن كوكبه ونجومه ، عن مجراته وسدمه عن قوانينه ونظامه في الأفلاك والذرات ، عن الكائنات الحية العاقلة ، عن الإنسان وبنائه العضوي والعقلي .. إلخ . على الإنسان أن يسلك طريقًا معرفيًا من خلال الكون الذي يحيا على كوكب من كواكبه في مجموعة من مجموعاته في مجرة من مجراته ، فيما هو منظور له من أفق المنظور واللامنظور لتزداد معرفته بالمخلوقات وبالتالي بالخالق سبحانه ، بقراءة آيات الكون المسطور بأحرف من نور في كتاب الوجود ، يلج بعقله وبروحه آفاق هذا الكون الفسيح الممدود وآفاق معاني أسماء وصفات الإله الحق .

الإلوهية والكون

القرآن يخبرنا بأن هناك صلة قوية بين الإلوهية وبين الكون وطاقاته وقواه ، ومنابع الطاقة في الكون عديدة نذكر منها على سبيل المثال : أشعة الشمس والرياح والوقود «البترول ،والفحم » والماء الجاري والأغذية العضوية والمتفجرات وحرارة باطن الأرض والكهرباء والجاذبية والذرة .. وغيرها ومن الآيات القرآنية الدالة على هذه الصلة «الخالق والمخلوق» ما يلي :

١ – ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد:٢– ٤] .

٢ -﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج:٥٦] .

٣ -﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ [عبس:٢٤- ٣٢] .

٤ -﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [الملك:١٩].

٥ -﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ [الرعد:١٢] .

٦ -﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ [النور:٤٣] .

٧ -﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الجاثية:١٢] .

٨ -﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ [الواقعة:٥٨- ٦٤] .

إذا عرفنا أن جل التفسيرات الإنسانية المتصلة بالإله المعبود ، قبل القرآن قاصرة عن بلورة عقيدة متكاملة عن الإله وأسمائه وصفاته العلا في تنزيهها وكمالها ، لخلصنا إلى أن الأسلوب القرآني يعتبر الأسلوب الأمثل الممكن عن طريقه الوصول إلى معرفة أسماء وصفات الإله وتقديره حق قدره في ظل عقيدة

متكاملة وتصور تنزيهي شامل .

إن التوحيد في القرآن العظيم يشمل الاعتقاد والعبادة والمعاملات والتشريع كما في قوله تعالى :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] وفي (الوحدانية) يخبرنا القرآن العظيم أنها تعني نفس الكمية المتصلة والمنفصلة ونفي الشريك في الأفعال عمومًا أي هي عدم التعدد في الذات والصفات والأفعال فالله سبحانه وتعالى واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله . قال تعالى مشيرًا إلى تفرده سبحانه في الذات وعدم الشريك والمعين له سبحانه: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢] . .وقال تعالى في بيان وحدانيته ونفرده سبحانه بالإيجاد مستدلاً على ذلك بمصنوعاته ومخلوقاته :﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل:٦٠- ٦٤] . وقال تعالى في بيان وحدانيته تعالى في الذات والصفات والأفعال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان:١- ٣] . وقال جل شأنه في بيان وحدانيته وصمدانيته تعالى ونفي كونه والدًا أو مولود وتنزيهه عن المكافئ والمماثل :﴿ قُلْ

هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:١ – ٤] . وقال دل شانه في نفي اتخاذ الولد والشريك وإقامة الدليل على ذلك :﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون :٩١] . وقال سبحانه وتعالى ردًا على بطلان دعوى من يقول بوجود آلهة غير الله تعالى :﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٤٢، ٤٣] . وقال تعالى في عدم فلاح من أشرك مع الله تعالى غيره في العبادة :﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧] .

هذا وقد حدثنا القرآن العظيم عن أسماء الله الحسنى وصفاته العلى بحيث لا يصح أن نذكر الله إلا ومعه أسماؤه وصفاته فيقول :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] .ويقول :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه:٨] . ويقول:﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الإسراء:١١٠] . ولله تسع وتسعون اسما كما ورد في الحديث تنقسم إلى أسماء جمال وأسماء جلال وأسماء كمال وإن كان لله تعالى أسماء سمى بها نفسه أو أنزلها في كتابه أو جاءت في أحاديث نبيه أو علمها أحد من خلقه أو استأثر بها في علم الغيب عنده .

الذات الإلهي والأسماء الحسنى

هناك فارق موجود بين الذات وبين الأسماء فيما يتعلق بإدراك الإنسان . الإنسان – بكل إمكانياته – يعجز عن إدراك الذات ، ولكنه يستطيع أن يدرك أسماء – أوصفات – الذات عن طريق مظاهرها أو مرائيها في النفس وفي الطبيعة ونظامها الأمثل :﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك:٣، ٤] .

ومن هنا فإن أصحاب النظرة المادية يجانبهم الصواب حين يظنون أن العقيدة الدينية هي تقديس لمعبود لا تناله الحواس ولا يدرك صفاته العقل ، وتفترض معه جنة خيالية بعيدة عن الواقع ، ومن هنا فإن العقل الإنساني يتعامل مع فكرة الإلوهية في وضوح وليس في إبهام ، وذلك من منطلق حقيقة بسيطة وهي أن الله في الحقيقة : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور:٣٥] . ولولا النور في الكون وهو سر كل الوجود وكل موجود لتعطلت الحواس الإنسانية ، ولساد الكون ظلام يعني الجهل التام بحقائق الوجود والتعطل التام لقدرة الإنسان على تشغيل الحواس ، وبالتالي تعطل المعرفة الإنسانية .وبذلك يتضح الفارق بين الكمال الإلهي والنقص البشري ، وعند هذه المرتبة يتلقى الإنسان «هدى» الإله ليختط على أساسه نمط سلوكه في حياته الواقعية ، يستعمل قدراته العقلية لتنمية حصيلة تجاربه في إطار الممارسة الفعلية لتعاليم الدين وتوجيهاته ، وبما في هذه التجربة من خطأ وصواب واستقامة وانحراف وطاعة ومعصية وجهاد ومجاهدة وإيمان وكفر وتوحيد وشرك ..إلخ .

إن أول ما يشد الانتباه إلى الفكرة الإلهية في القرآن هو استحواذ هذه الفكرة على الوجود في كل صورة وأشكاله ، بحيث تنتفي عن هذا الوجود كله صفة الاستقلال، سواء في الإيجاد الأول أي الخلق أو في استمرار الوجود كله وبذلك أيضًا فإن فكرة الإلوهية تستحوذ على الإنسان الفرد – وينعكس أثرها بالتالي على الجماعة المنظمة – في حواسه المدركة وفي إدراكه الزائد على الحواس ، وفي فكرة وشعوره ونفسه وسره وخياله وتصوراته بحيث تمتد لأبعاد عميقة جدًا في الشعور والسر والخفى وما هو أخفى من دوائر الوعي الباطن أو اللاوعي ، وينعكس ذلك على السلوك الفردي حيث لا يراقب الفرد إلا نفسه ، وعلى السلوك الاجتماعي بدرجاته المختلفة (أسرة .. قبيلة .. جماعة ..شعب .. امة .. إنسانية) . بما تتجلى معه إمكانية التأثير للوجود الذاتي الإلهي على الوجود الذاتي الإنساني ليصبح

الإنسان ذاته إيجابي التاثير على نفسه وعلى الدوائر الاجتماعية التي ذكرناها سالفًا وهوما يفهم من : ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ ، ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ . من هنا فإن موقف الإنسان الفرد من الإله سيمتد إلى موقف له من الكون بكل كائناته ومن المجتمع بكل أفراده يمكن معه أن تتبلور وتنطلق إيجابيه الإنسان لتبدع وتطور وترقي ، كما سيبلغ الإنسان اطمئنانه وامانه حين يفرض على نفسه نظام الله الأخلاقي ، ليعيش في سعادة ووفاق مع هذه النفس أولاً ثم مع سائر الناس في المجتمع ، وأخيرًا مع الإنسانية جمعاء في العلاقة بين الشعوب والأمم لأن ذكر الإله يؤدي إلى الأمان والطمأنينة والسلام النفسي الذي ينعكس أثره حتى على الكيان العضوي الإنساني ذاته .كما ينعكس على علاقة الإنسان بكل الناس غيره .

إن الإنسان سيمكنه أن يدرك قدرات أو صفات أو أسماء الإله إذا بحث في الطاقات والقوى الكونية ، وهو سيجد أي يخضع حتمًا لله هداه عقله إلى معرفة الحقائق حول هذه الطاقات والقوى لنها عظيمة ، مخيفة ، فيها من مظاهر الجمال ما يدهش ، وفيها من مظاهر الجلال ما يحيره وهي حالات لا يعرفها إلا العلماء الذين يحتمل أن يكون قد فاتهم الإيمان بالقرآن نتيجة عدم دراسته ، أو دراسته سطحية بغير لغته العربية أو الإهمال نتيجة النظر إلى واقع المسلمين المتخلف ، أو إضمار سوء النية للقرآن ونبي القرآن ودين القرآن دين التوحيد .

يكرر القرآن في الآية ٤١ من سورة فاطر :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ وهو يشير بذلك إلى السنن والقوانين في الطبيعة وهي التي يثبتها القرآن جنبًا إلى جنب مع حقيقة الطاقات والقوى . إن الأمر بذلك هو أمر القوانين الطبيعية التي تتحكم في ، أو تحكم هذه الطاقات والقوى الكونية كلها في نظام . كل شيء يخضع للإمساك الإلهي أي

الإمساك بواسطة الطاقات التي تعمل في إطار قوانين وسنن محددة التي لولاها لتضاربت المخلوقات كلها في فوضى ، ويزول معها النظام وتحتل وتتضارب وتتناقض فيها القوانين ،وهي الحالة التي يصورها القرآن في تقريره :﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[الأنبياء:٢٢] .

ويمكن لأي عالم أن يتصور النتيجة التي تحدث في الأرض لو سادت الفوضى محل النظام في المجتمع الكوني .. إنها نتيجة رهيبة من التدمير والفساد والخراب ، إن تحققت فمن ذا الذي يمكنه أن يعيد إلى المجتمع الكوني الهائل نظامه المفقود؟: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾[فاطر:٤١] إن الإنسان على الأقل لا يستطيع ذلك .

والإنسان يعلم ان الذرة هي التركيب الأولى لمادة الكون كله ، أي السموات والأرض كما يذكر القرآن .فما هو السر وراء إمساك الذرة أو توازنها ؟؟إن العلم يخبرنا أن النواة الذرية تركيب متماسك تماسكًا شديدًا لا يتفكك إلا تحت ظروف طاقة عالية جدًا .

ويخبرنا أن هناك ذرات مستقرة وذرات غير مستقرة إن عدم الاستقرار في نوى الذرات من عدم امتداده بالطاقة من الخارج ، يتصل بقوى التي تعمل بين مكونات النواة وتحفظها متماسكة مع بعضها البعض تامًا ، كما يخبرنا العلم أن تماسك الجسيمات النووية داخل النواة يرجع أصلاً إلى النقص في كتلتها في الحقيقة عن المجموع الكلي لكتل جسيماتها .وكلما زاد هذا النقص زاد استقرار النواة وتماسك جسيماتها ،وتسمى الطاقة المكافئة لهذا النقص بطاقة الربط ، وقد قاس العلماء كتل أغلب النوى المستقرة وغير المستقرة وحسبوا نقص الكتلة وطاقة الربط في كل منها ، وكانت النتيجة التي وصلوا إليها أن متوسط طاقة الربط التي تخص الجسم الواحد في نواة ، أي طاقة الربط مقسومة على مجموع البروتونات ،

تتراوح دائمًا بين ٩.٦ مليون إلكترون فولت .

والقوة التي تربط الإلكترونات في نواة الذرة هي «قوة جذب الكهربية الساكنة» ELECTROSTATIC .

إن العقل الذي يثبته القلب المؤمن سوف يصل إلى مدراك من الحقيقة عن طريق وجهها الكوني فقط ، بالضبط كما أنه سيصل إليها عن طريق وجهها القرآني فقط .ومعارج الحقيقة «علوم» وسبيلها «التجريب والتجريد الرياضي» أو«المشاهدة والاستقراء والاستنتاج » .. إلخ .

والعقل عندما يصل إلى الحقيقة في الصورة التي تتطابق فيها أجزاؤها في الكون من خلال الوحدة ومع القرآن من خلال التوحيد فإنه سيكون قد وصل إلى المعاني الحقيقة للإيمان بالله وبالكتاب «القرآن» و«بالرسول الخاتم » الإنسان ويبقى على العقل أن يدرك تطابق الحقيقتين حتى يُؤمن بوحدة الحقيقة ذاتها كما جاء بها الكتاب المقروء قرآنًا ، فيؤمن به وبآياته .والإيمان ينتج ويزداد بالبحث العقلي الذي يتوصل إلى إدراك تطابق الحقيقة في الكون مع الحقيقة في القرآن ،وهي تعني كما ذكرنا «وحدة الحقيقة في الكتابين المسطور (القرآن) والمنظور (الكون).

ولما كانت الحقيقة في ذاتها واحدة ولها مظهران ، كوني وقرآني ، فإن إدراك هذين المظهرين المتماثلين تمامًا لا ياتي بالدرجة الأولى إلا عن طريق البحث العقلي وترقي هذا البحث في صورة المعرفة الإنسانية .

ولما كان الكون حديثه هو حالته ، وتعبيره هو وجوده في الصورة الطبيعية (المادية الطاقية) وتسبيحه هو منطوقه غير المعلوم لنا ، فإن الإنسان يظل – وهو في دوره العاقل- في حاجة إلى حديث بياني بالأسلوب الذي يناسب ميزته العقلية ليدرك بهذا الحديث الحقيقة الكونية في صورة منطوقة ميسرة يمكنه أن يفهمها من حيث مخاطبتها لعقله .ويكون هذا الحديث مكتملاً في النظرة المعرفية ، اكتمال

الكون في النظرة الخلقية ، فيدرك الإنسان به أن الأمر كله هو الحق من عند الله ، وعندئذ تثبت الصلة بين الكون وبين مكونه ، وبين القرآن وبين منزله ، وبين الإنسان وخالقه :﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج:٥٤] .

إن الذي يتناول مفهوم الإلوهية في القرآن – مع التفاوت في قدر الفهم – يتعين عليه أن يتناول موضوع الزمان ونسبيته وصلته بالمكان من خلال النتائج الصحيحة للعلم الإنساني في مداركه المستمرة الترقي نتيجة النظر العقلي الدارس للكونيات والإنسانيات حتى إذا ما انكشفت ظاهرة نسبية الزمان وصلتها بالمكان – بما فيه الفضاء – فإنه يمكنه أن يترقى إلى الحقائق والأبعاد والخصائص الرياضية المحددة التي تصنف أو تفسر تصرفات الطبيعة وما فيها بما يفتح المجال لفهم توفيق عالم الروح الذي يشهد تجليات الإلوهية من زوايا إدراكية أخرى تنتج عنها علوم ومعارف لها طبيعة قد تختلف عن علومنا وتجاربنا مع العالم الطبيعي .

إن علينا أن نفهم كيف يتصرف العالم الطبيعي حتى نفهم كيف يتصرف ربنا سبحانه وتعالى في هذا العالم حتى تتضح لنا آيات الله ، خاصة فيما يضربه القرآن من أمثال كي يعقلها الإنسان ويتدبرها ويفهم معناها ، ولابد أن ندرك جيدًا أن هناك عالم روحي يسميه القرآن بعالم الأمر يختلف تمامًا عن هذا العالم الفيزيقي المتصل بالإنسان ، ومعلوماتنا بالنسبة لتصرف ربنا في هذا العالم الروحي ما زالت قليلة ، ومن ثم يكون الاعتماد على الوحي الإلهي ضروري لفهم هذا العالم بالقدر المتاح من المعلومات التي ينقلها إلينا هذا الوحي . وليس يمنع ذلك من أن نجتهد بقدر ما يتوفر لنا من وسائل ومعلومات لفهم هذا العالم الروحي – عالم الأمر – فهمًا أكبر من خلال التعامل مع هذا العالم نظريًا أو اتصالاً واختبارًا بالقدر الذي تسمح لنا به علوم مثل الباراسيكولوجي والإدراك الزائد عن الحواس وما وراء الطبيعة وبعض التجارب الروحية الحديثة بالإضافة إلى علم السحر .

كما أن الذي يتناول مفهوم الإلوهية في القرآن ينبغي عليه أن يتناول مفهوم ، التعبير القرآني الذي ورد في سورة النور والذي يقرأ :﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[النور:٣٥] .

وهو تعبير يحوي معاني وحقائق عميقة جدًا في بيان مفهوم الإلوهية القرآني .ومنه نعلم أن الله سبحانه وتعالى هو موجد السموات والأرض ،وأنه سبحانه وتعالى مصدر الماديات والطاقات والقوى في السموات والأرض ، وأنه سبحانه وتعالى عليم ومحيط بالسموات والأرض وما فيهم ومن فيهم ، وأنه سبحانه وتعالى هو الموجد لمصادر الضوء أو النور في السموات والأرض ، وأنه لولا الله سبحانه وتعالى لانعدام ضوء أو نور السموات والأرض وانعدم كل ما فيهم من ماديات وطاقات وقوى حتى يصير الكون عبارة عن فراغ في ظلمة .

لقد تحدثت الآيات في سورة النور عن مثل الله يقرب الأمر إلى عقولنا تيسير للفهم.

فالمشكاة والمصباح والزجاجة هم منافذ الوعي والإدراك العقلي والروحي لدى الإنسان .

المشكاة = الجمجمة .

الزجاجة = المخ .

المصباح= العقل أو القلب .

والزجاجة أو المخ توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية أي أنها شمالية جنونية في إشارة إلى الطاقة الكهرمغناطيسية التي يعمل بواسطتها مخ

الإنسان عن طريق الكهربية الموجودة في خلايا المخ المعروفة بالنيورونات .

وزيت الزجاجة التي هي المخ كما قلنا يضيء من طاقة أو قوة غير النار بحيث يكون الزيت أو الوقود هو الكهرباء بينما الإضاءة أي العمل العقلي أو الروحي مصدره نور رباني من النفخة الروحية ، أي طاقة ربانية لا نعرف عنها شيئًا حتى الآن هي التي تتصل بها وتستمد منها الروح نشاطها الواعي بعد موت الإنسان وتوقف عمل المخ وانعدام الاتصال بوقود الشجرة الذي هو الطاقة الكهربائية .

وتعتبر الشجرة مباركة لأن الذي أنبتها هو الله سبحانه وتعالى ، كما أنها زيتونه لأنها أساس السلام الكوني كله في ذراته المتعادلة سلبًا وإيجابًا بما تتضمنه الذرة من قوة ربط أو طاقة ربط لمكوناتها هي التي عبر عنها القرآن بقوة الإمساك في قول الله تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا﴾ . والنور في الآية :﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يحتوي على خصائص تزيد أو تعلوا على خصائص النور الفيزيقي أي الضوء .

فالنور الفيزيقي خاصيته الأساسية هي الإضاءة فيما نعرف من الكهرباء وما يتصل بها من مغناطيسية كما أن النار مصدر للنور أو الضوء .

أما النور الوارد في سورة النور فهو إلى جانب خاصيته في الإضاءة الشديدة له خاصية الوعي والإدراك فيما نعرف من الوعي العقلي أو الروحي ، ونقصد بالوعي العقلي وعي الإنسان المتصل بالجمجمة والمخ ووقودهما من الزيت الذي هو الكهرباء أو الشجرة المباركة الزيتونة في اتصال بالحواس ونقصد بالوعي الروحي الوعي المتصل بالمخلوقات الروحية الصرفة كالملائكة والروح القدس ، وكذلك أيضًا الوعي الإنساني العقلي عندما يتجرد من الحواس ويعلو عليها (E.S.P) أو عندما يتصل بالقلب والبصيرة وأخيرًا هو يعني (الهداية) من الله أي نور الهدى والهداية إلى الحق ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ .

الوعي العقلي لدى الإنسان هو نور من النفخة الربانية الروحية ويظهر نشاطه عند الإنسان بتفاعل مختلف أجهزته الجسمية في اتصال بطاقة الكهرباء وفي استمداد من طاقة نورية ربانية لا نعلم عنها شيئًا .

فهناك علاقة بالنسبة للإنسان بين الكهرباء بنورها أو ضوئها الفيزيقي وبين إشراق خصائص ونشاط أو عمل النور الرباني الروحي الذي هو معجزة العقل [(١)] لدى الإنسان ، بحيث تظهر الطاقة العقلية لدى الإنسان وهي ذات الخصائص الروحية النورية ، من خلال ذلك التكوين الهيكلي المسوي الذي تتصل به الطاقات الكونية المعروفة في الكون ، وعندما يصل الإنسان إلى مستوى الوعي الروحي فإنه عندئذ لن يحتاج على وساطة الكهرباء لإظهار نشاط هذا الوعي لديه.

كما أن العوالم الروحية الصرفة لا تحتاج لأي طاقة فيزيقية – كهربية أو غير كهربية – لأداء وظائفها ونشاطها .

إن إدراك الله سبحانه وتعالى للكون هو إدراك كلي بالكليات والجزئيات وهو غير محدود ومن هذا الإدراك الكلي غير المحدود تكون هبة الإدراك الجزئي المحدود للإنسان فالله سبحانه وتعالى :﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه:٩٨] ، أما علم الإنسان الجزئي فهو مواهب جزئية محدودة من الكل الشامل المحيط غير المحدود : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[البقرة:٢٥٥] .

ولما كان البقاء الأولى الأخرى ، أي البقاء الذي لا بداية له ولا نهاية ، هو من خصائص الإله وحده ، فإن كل كائن يتميز بنوع من الإدراك الواعي ، والذكاء لابد أن يكون فانيًا أي يدركه الموت ويكون الفناء من طبيعته التي خلقه الله عليها ، وهو المعنى الذي يمكن أن يشمله النص القرآني : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ

(١) اللب باعتباره مركز المخ ومتحكم في النشاط المادي للإنسان ، والفؤاد باعتباره مركز القلب ويتحكم في النشاط الروحي للإنسان .

ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن :٢٦، ٢٧] .والكـون لا يحـد الله سـبحانه وتعـالى لأن الكون دائم التغير في اتساع وامتـداد بعـد انكمـاش ، وكـان مركـزًا في كـرة النـار ، والغازات ذات كثافة عالية كانت هي نواة كل المادة والطاقة في الكون الـذي كـان لا صوريًا في الأصل وصوري بعد مراحل تطوره في الزمان (١) .

كيف نعرف الله في التوحيد القرآني ؟

ومع هذا النظر العميق في آلاء الله من خلال عمق الصنعة الكونية ومـا بـث الله فيها من دابة وما قد يبدو معه الأمر من صعوبة في فهم قدر الإلـه سـبحانه وتعـالى ، فإن الأمر يعود في حقيقته ليكون بسيطًا أشد البساطة (٢). ولعلنـا يمكـن أن نقـول :إن أعظم شيء في مفهوم الإلوهية القرآني أن الذات غير المدرك يمكـن أن يكـون واضحًا بشكل بسيط وميسر . أو بعبارة أخـرى إن بلـوغ «الإلوهيـة» في القـرآن في فهمنا لها لدرجات من الصعوبة العلمية الشديدة لا يتنافى مع أن يبـدو الله سـبحانه وتعالى في نهاية الأمر في مفهوم بسيط وواضح أشـد الوضـوح ،وهـذا هـو المعنـى الذي قصد إليه رسول الله ﷺ حين قال فيما روى عنـه في كتـب الحـديث (اللهـم ارزقني إيمان العوام) أي إيمان البسطاء من الناس ، أولئك الذين قال أحدهم : إن البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير أفـلا يـدل هـذا الكـون العظـيم عـلى الخالق سبحانه وتعالى ؟) أو كـالمرأة التـي سـئلت عـن ربهـا فنظـرت إلى السـماء وقالت هو في السماء)مستهدفة نفس المعنى الذي قاله الأعرابي السابق .

---

(١) هذا ما تقرره نظرية «الدوي الكبير» (BIBANG) العلمية الحالية تمشيًا مـع المفـاهيم القرآنيـة ومفهوم النظرية باختصار غير مخل هو الآتي : إذا كان الكون يتسع بصفة مستمرة ورتيبة فإنه يكون من المنطقي أن نفترض أنه كان أصغر .

(٢) ونفس الشيء بالنسبة للكون وتفسيره الفيزيائي .فرغم أن الكون يبدو في طاقاته وأسـاليب تكـوين وتصرف هذه الطاقات شديد الصعوبة في فهم تركيبة وطريقة عمل وتكوين طاقاته فإن أعظم شيء في هذا الكون ذاته هو إمكانية فهمه في النهاية في صورة مبسطة واضحة أشد الوضوح .

إن البساطة الكائنة في فهم الأسماء الحسنى وصفات الإله المعبود في المفهوم القرآني التوحيدي تنأى بالناس عن تعقيدات وألغاز وطلاسم معتقدات التثليث وقد أشار إلى الحاجة إلى البساطة في فهم الإنسان لصفات الله توماس جيفرسون ثالث رئيس للولايات المتحدة الأمريكية الذي قال بلغته [(١)]:

When we shall have done away with the incomprehensible jargon of the Trinitarian arithmetic. That three are one, and one is three; when we shall have knocked down the artificial scaffolding. Reared to mask from view the very simple structure of Jesus; when, in short, we shall have unlearned every thing which has been taught since his day, and got back to the pure and simple doctrines he inculcated, we shall then be truly and worthily his disciples.

القرآن يخبرنا على سبيل المثال بأن الله يقترب من الإنسان بقدر اقتراب الإنسان منه . إن الله يوجه الإنسان في سلوكه بقدر ما يتوجه الإنسان إليه .وهو الذي يستشعره الإنسان في كل نفس من أنفاسه خلال تجربته في الحياة التي يلتقي فيها في كل تجربة مع الله بأسمائه الحسنى التي تحيط بالكون كله بما فيه الإنسان من خلال الحب والرحمة والتسامح الإلهي مع الخلق المفتقرين دائمًا إلى هذه النعم التي تميز العطاء الإلهي للإنسان . كل واحد حسب استعداده ومستواه من الحب لله والتقرب إليه والاستمداد منه والإسلام له والتنزيه لمقامه .والإله يعلن عن نفسه بأنه قريب من كل إنسان قربًا هو أقرب من قرب أعضاء الإنسان للإنسان . قربًا يشمل كل إنسان فرد في سره وعلنه .. في فكره وسلوكه .. منفردًا كان أم في جماعة الله قريب من الفرد ومن الأسرة ومن المجتمع ومن الشعب ومن الأمة ومن العالم بكل من فيه وما فيه من مخلوقات ..ومن الكون كله ، ولذلك لا يحتاج الإنسان إلى وساطة كهنوتية للتعامل مع الله والتقرب إليه والاقتراب منه من خلال علاقة بين الفرد وربه تقوم على الإسلام والإيمان والإحسان واليقين والمحبة والإخلاص والطاعة والصدق .. إلخ .

---

(١) الرئيس المريكي توماس جيفرسون وهومن أتباع الموحدين Unitarians

وتستند إلى فهم لصفات الله الواحد الأحد أو أسمائه الحسنى والاستشعار العقلي والروحي لوجوده وإحاطته ،وإحاطة علمه ، وسمعه ، وبصره ، وحياته ، وقربه ، وعدم غفلته لحظة زمان ، وديمومته ، وقيوميته إلى سائر أسماء وصفات الله سبحانه وتعالى علوًا كبيرًا عما يصفون ، والتي يمكن للإنسان أن يفهمها ويدركها من خلال التشبيهات والأفعال والحكم في اتصاله بالكون والمخلوقات فيه ، والنفس الإنسانية وتجاربها في الحياة في نسبية الفرق بين الخالق والمخلوق .

وقد روى عن النبي ﷺ قوله : (تفكروا في آلاء الله ، ولا تفكروا في ذات الله ، فأنكم لن تقدروه قدره) وهو ما يعكس معنى النص القرآني : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧] ، فذات الله سبحانه وتعالى من الغيب الذي لا يمكن إدراك بالحواس: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣] ، ومن هنا يعجز العقل عن إدراك كنهه ، ولذلك يسلم العلماء اليوم – أو كثير منهم – بأن قدرة الإنسان على الملاحظة لا تستطيع أن تمتد لغير جزء ضئيل نسبيًا من الحقيقة الكلية ولذلك يقول روبرت موريس بيج[(١)] : « إن الإله الذي يسلم الإنسان بوجوده لا ينتمي إلى عالم الماديات ولا تستطيع حواسنا المحدودة أن تدركه باستخدام العلوم الطبيعية لأنه يشغل دائرة غير دائرتها المحدودة الضيقة » .

ولكن للذات الإلهية أسماء كلها حسنى لا يتصف بها في كمالها غيره سبحانه وهذه الأسماء تنعكس في المخلوقات كلها المعروف منها لنا وغير المعروف ، المنظور منها وغير المنظور ، ومن هنا تكون معرفتنا بالإله الذي تعبده . فهذا الإله في ذاته المجهولة لنا يمكن التطلع إليه باعتبار أن له أسماء أو صفات معلومة يكون إدراكنا لها من خلال آثارها الناتجة عنها . هذه الآثار هي كل ما يدخل في دائرة

(١) مكتشف الرادار عام ١٩٣٤ Robert Morris Page .

المخلوق ، المادة والطاقة والنبات والحيوان والإنسان والملائكة والروح والجن وما قد يكون في الكون من عوالم ذكية لا نعلمها . هذه الآثار كلها – أي المخلوقات – تدخل في إطارها القوانين السارية في الكون أو السنن كما يسميها القرآن . وبقدر الإحاطة أو الإحصاء لما هو مخلوق تكون الإحاطة أو الإحصاء لأسماء الله الحسنى ، ولما كان العلم لا يمكنه أن يصل إلى درجة الإحاطة النهائية بكل ما هو مخلوق فإنه لا يمكن بالتالي الإحاطة بالأسماء كلها فضلا عن ذات الله وهو المعنى الذي يقول فيه القرآن في سورة طه :﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١] ، وهذه الكثرة المخلوقة في صورتها الحالية تعكس في حقيقة النشأة الأولية وحدة مخلوقة هي كرة النار المبدئية التي هي مصدر كل المادة والطاقة الكونية وهذا إذا اعتبرنا أن نظرية الانفجار الكبير (Big Bang) صحيحة .وذلك أمر مفهوم لأن الأسماء الكثيرة تعكس وحدة واحدة خالقة هي الذات المعبر عنها بلفظ الجلالة (الله) وإذا كان علماء الفيزياء يحدثوننا اليوم عن القوى الأربعة التي يتكون منها البنيان الكوني كله وهي الجاذبية والكهرومغناطيسية والقوة النووية الشديدة والقوة النووية الضعيفة فإنه من غير المستبعد أن تكون هذه القوى الأربعة مرتبطة فيما بينها ارتباطًا وثيقًا وتعكس قوة واحدة تربطها جميعًا ، وتعتبر هذه القوى الأربعة مظاهر متعددة لحقيقتها الواحدة وعلم الفيزياء المعاصر قد أثبت لنا وحدة القوة الكهرومغناطيسية والقوى النووية الضعيفة فيما سمى بنظرية (The Electro Weak Forces) . وإذا كان علماء الفيزياء يحلمون بتحقيق (نظرية التوحيد للقوى) (Grand Unified Theory) على أساس الوصول إلى الاحتمال الذي قلناه سالفًا من توحيد القوى الأربعة في قوة واحدة – وهو الأمر الذي يجدر بنا أن نشير إلى أن واضع نظريتي النسبية كان يعمل على الوصول إليه ولكنه مات دون أن يحققه – فإنه من غير المستبعد أن يجيء اليوم الذي يتحقق فيه هذا الذي يرجوه علماء الفيزياء ، ومن ثم تنعكس القوى

الأربعة الأساسية في البنيان الكوني كقوة واحدة في الحقيقة تعكس بدورها الإله الواحد الذي نؤمن به ونعبده وتكون هذه القوة الواحدة المخلوقة عاكسة القوة الواحدة الخالقة ويكون المخلوق كما سبق أن قلنا انعكاسًا للأسماء وأثرًا من آثارها مخلوق وخالق .

ولما كانت هناك موجودات مخلوقة في العالم الفيزيقي ما زالت لا ترى حتى بأدق وسائل الرؤية ومثالها كما ذكرنا في غير هذا الموضع (Quarks)داخل البروتون والنيوترون في نواة الذرة وهي الموجودات التي أمكن لعلماء الفيزياء اكتشافها مع إمكان أن تكون هناك أنواع من الحبيبات الأخرى أكثر صغرًا لم يكتشفها العلماء بعد ولا يمكن أن تكون محل ملاحظة في المعمل ، نقول لما كان ذلك كله فإنه يكون من البديهي أن نؤمن بصحة ما يقرره القرآن عن استحالة إدراك الله سبحانه وتعالى بالبصر ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣].

ويصبح الأمر أكثر بداهة إذا أدخلنا البعد المكاني إلى جانب هذه الحقائق الفيزيائية ، فالكلام في زمان بداية الخلق – وبالتالي نظرية علمية تتحدث في هذا الشأن – يصعب أو يستحيل تصوره – مثل لحظة الزمان في البداية عشرة أس خمسة وأربعون من الثانية يعتبر أبعد وأعلى مما يستطيع أن يعالجه الفكر الإنساني الذي يعالج زمانًا حول عشرة أس ستة وعشرين من الثانية فقط أما فوق ذلك من لحظات الزمان فلا يمكن تصوره ولا إخضاعه للتجربة [(١)].

ويبدو أن كل هذه الترتيبات في القوى الكونية قد خلقت بطريقة تمكن لحياة الإنسان بعد ظهوره ولولا هذا الترتيب الهادف المقصود لما كنا نحن هنا الآن

(١) يحاول العلماء جاهدين أن يصلوا إلى أقرب بعد زماني من لحظة الخلق الأول الذي حدث فيها الانفجار الكبير ، ولكنهم لم يستطيعوا حتى الآن أن يصلوا إلى هذا البعد الزماني للصعوبة البالغة التي تكتنف تلك المحاولات النظرية التي لا يمكن إخضاعها للتجربة .

لنقول ما نقول عن هذا الكون وعجائبه . والسر في ظهور النوع الإنساني هـو تلـك الصفوة المختارة منه لتكون الواسطة في هداية البشر نحو القانون الـذي يضـعه الله سبحانه وتعالى للإنسان ليعيش به في نظام أخلاقـي واجتمـاعي قـائم عـلى أسـاس التوحيد بالضبط كما وضع الله سبحانه وتعالى القانون للسماوات والأرض ليعيش الكون بقواه المختلفة في نظام أساسه التوحيد . وصـفوة المختـارين هـو الرسـول الخاتم الذي ظهر في صورة بشرية وحقيقته نورية في ذاتها الممدة بالنور لغيرها مـن الذوات ، وقد وصفها القرآن بأنها سراج منير .

وهناك أمور غيبية كثيرة لا يزال العقل البشري عاجزًا عن الوصول إلى أبعادهـا الحقيقة رغم التقدم الهائل في علوم الكون وعلى سبيل المثال فإن الحـد المعاصـر للعلوم الفيزيائية لا يزال عاجزًا – ربما لطبيعتـه ذاتهـا – عـن الوصـول إلى حقـائق الغيبيات التي لا تخضع لمقاييس الحس البشري بطبيعتها والتي مع ذلـك تضـفي عليها العلوم الرياضية أضواءًا أكثر وضـوحًا في البيـان .فالرياضـيات تعتبـر أعـلى درجات العلوم في الصحة والدقة ، وبالتالي أقدر العلوم عـلى التغلغـل النظـري إلى أبعاد تعلو الأبعاد التي يعالجها علم الفيزياء وعلم الفلك الفيزيائي وفيزياء الكم .

الحديث في الله والكون في القرآن يجيء من منطلق الترابط اللازم بـين الخـالق والمخلوق ، وهي الحقيقة التي يبرزها القرآن ويكررها عبر آياته من خلال سوره . وذلك أن الكون كله متحقق بمشيئة الذات الإلهية وإرادته وحدها دون شريك أيـا كان . وسر البداية الوجودية هو في الحقيقة سر البداية الإيجادية بالأمر المعبر عـن الإرادة[1] والمنقـول إلينـا بالكلمـة وبيانهـا الميسـر للـذكر في القـرآن هـو: ﴿كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٣] . ولما كانت الحيـاة لا تـزال قائمـة ، ولا تـزال العمليـات

(١) أي أن هذا الوجود أوجده الله سبحانه وتعالى بإرادته وتكون لهذا الكون بداية ناتجـة عـن امـر الله الذي توضحه كلمة «كن فيكون» التي وردت في القرآن .

الكيميائية والطبيعية تسير في طريقها فإننا يمكن أن نقول بالمفهوم العلمي : إن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليًا وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط في الوجود ، ويكون الأمر أنه لابد أن يكون لهذا الكون بداية ،وهو المعنى الذي يقول فيه أحد كبار علماء الحيوان والحشرات [(١)] : «إن العلوم تثبت وجود الله لأن ماله بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ بنفسه ولابد له من مبتدئ أومن محرك أول أومن خالق ، هو الإله » .

والحركة – ويمكن التعبير عنها بالسلوك أيضًا – هي نتاج الإرادة والمشيئة لذات الإله والحركة والسلوك المتصلان بكل أنواع المخلوقات وعلى اختلاف المراتب – المادية أو الطاقية غير العاقلة (السموات والأرض) ، الطاقية العاقلة (الملائكة والروح) ، والمادية الطاقية العاقلة (آدم) ومع الأخذ في الاعتبار لحقيقة الحرية والاختيار فمشيئة الذات الإلهية سابقة بالضرورة على مشيئة الغير من الذوات سواء بالنسبة للمخلوقات العاقلة أو غير العاقلة : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[الإنسان:٣٠] . ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف:٢٣، ٢٤] . ما يمكن معه أن نقول : «إن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن». أما الأمر الذي تنتج عنه الحركة أو ينتج عنه السلوك فيختلف من حيث المخلوقات ذات العقل المكتمل والأخرى غير ذات العقل . الأخيرة تسير وتتحرك وفق قوانين موضوعة لها لا تحيد عنها ، هي السنن في التعبير القرآني . والملائكة والروح يدخلون في هذا الإطار المطيع للقوانين والسنن وتتصل بالخلق كله اتصال تأديه دور معين أو مهمة معينة لا تحيد عنها وهو ما ينطبق أيضًا على سلوك المادة والطاقة في الكون والأولى لها الحرية والاختيار .

وهناك الإرادة ثم الأمر ثم الأشياء أو المتحققات الوجودية أو الخلق :﴿إِنَّمَآ

(١) Edward Luther Kessel

أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢] ، وآدم المسوي العاقل كما علمنا القرآن أي الإنسان العاقل الذي سواه الله ونفخ فيه من روحه هو المخلوق الذي أردا الله له أن يكون حرًا مختارًا يتحرك أو يأتي سلوكه في إطار من توجيه العقل الحر ، أو الاختيار في إطار عريض من قانون موضوع من الذات الإلهية اتخذ شكل كتب موحى بها عن طريق الروح جبريل إلى مختارين من بني آدم خاتمهم الأكمل هو محمد وكتابه الخاتم هو القرآن ودينه هو الإسلام . وتعبير كن فيكون هو الكلمة العربية التي جاءت في القرآن العربي . وهو تعبير بياني ميسر للذكر غايته تفسير المتحققات الوجودية ذاتها أو ما يحب أن يسميه البعض «الطبيعية» أي الخلق الموجود والشئون المتجددة الظاهرة والباطنة .ولذلك كان العلم بالمتحققات الوجودية كلها في الظهور والبطون – بما فيها الإنسان في ظاهره وباطنه – من صفات الله سبحانه وتعالى بالضبط كالإرادة ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[البقرة:٣٣] .

ولما كان العلم والإرادة من صفات الذات فهما سابقتان على متعلقهما الخلفي الذي هو سر الكلمة[١] . ثم يدخل هذا المتعلق الخلقي ضمن الأمر الإلهي بالإيجاد والخلق ، فيكون حينئذ من الطبيعي أن يعلم الله ما خلق ، وهو الأمر الذي يقرره القرآن فعلا في تقريره :﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك :١٤] .

وبالنسبة للإنسان بالذات كنوع مخصوص من الخلق عامة فإنه من الطبيعي أيضًا أن تجيء التقريرات القرآنية مؤكدة للعلم الإلهي بحركته أو سلوكه ، وبباطن معقولة فيما عبر عنه بالسر والخفاء وما هو أخفى ، وهي دوائر متفاوتة العمق في القوى الإدراكية للإنسان : ﴿يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾ [التوبة:٧٨] . ﴿وَأَعْلَمُ مَا

(١) المقصود بمتعلقهما الخلقي هو الوجود الناتج عن الكلمة التي عبر عنها القرآن بلفظ (كن فيكون) .

تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة:٣٣] . ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه :٧] .﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩].

إن القرآن يقول لنا إن الله سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد لم يكن اله كفوًا أحد بمعنى أن شيئًا لم يتوالد عنه أومنه ، وأنه سبحانه وتعالى لم يتوالد من شيء غيره ، فهو أزلي أبدي أو هو أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى لم يتولد من شيء غيره لأنه الأول بلا ابتداء فإن كل شيء غيره قد خلق بفاعليه أسمائه وصفاته بأمره المعبر عن إرادته ومشيئته بسر الكلمة أي كن فيكون ، والتي شرحنا معناها قبل ذلك في الكتاب .

فالكون كله . بمادته وطاقاته وسائر كائناته العاقلة الذكية الطينية والنارية والنورية قد خلق بفاعلية الأسماء الحسنى والصفات ونشاطها المستمر في الخلق والإيجاد والتصوير فيما يظهر من اشكال وصور كثيرة للمادة والطاقة باعتبارها آيات دالة على الله موجدها لأن القرآن يخبرنا بأن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء وقدَّره تقديرا .

إن المدخل الأصيل للتوحيد [١]. هو الأسماء التي يقرر بإزائها القرآن : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الإسراء:١١٠] .﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف:١٨٠] . ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه:٨] .

والأسماء الحسنى تنقسم إلى أسماء جمال ، وأسماء جلال ، وأسماء كمال ، وقد أورد القرآن تسعة وتسعين اسمًا هي التالية :

الله . الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ،

(١) أي توحيد ذات الله . وفي معناه قول النبي ﷺ «سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» .

العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، القهار ، الواحد ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، القوي ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ن اللطيف ، الخبير ن الشكور ، الحليم ، القيوم ، العلي العظيم ، الغفور ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الباقي ، ذو الجلال والإكرام ، الغني ، الكريم ، الرقيب ، القريب ، المجيب ، الواسع ، المبتدئ ، المعيد ، الودود ، المجيد ، الماجد ، الحق ، الباعث ، المحصي ، الشهيد الوكيل ، الولي ، الحميد ، المغني ، الهادي ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، المحي ، المميت ، الوالي ، الكبير المتعال ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، المقسط ، الجامع ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، البديع ، ، الوارث ، الرشيد ، العليم ، الصبور .

ولما كان الله سبحانه وتعالى كما يقول القرآن العظيم واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا احد لا يتغير فإن علمه أيضًا وهو صفة قديمة له من اسمه (العليم) علم كلي وكامل وشامل ومحيط بكل شيء في كل شيء لا يتغير ولا يتجزأ فإن القرآن العظيم في مستواه في علم الله الذاتي (قرآن الذات) أو في قضائه المنفذ لقدره وكما هو في علمه فيما يخلق ويصنع ويوجد ويفعل وينشيء في كتابه المنظور (الكون العظيم) وفيما نزل بالبيان العربي في كتابه المسطور (القرآن العظيم) ، أقول القرآن العظيم هوهو واحد لا يختلف ولا تتغير فيهما الحقائق وإنما تتحد في (وحدة الحق) الممثلة للحق الواحد الأحد الذي خلق وأوجد كل شيء بالحق . إن الله الحق واحد وإن تعددت أسماؤه وصفاته فهي متحده ومتوحدة في المعنى الطاقي الأسمائي وإن كانت مختلفة في التأثير .فالذات الإلهية كما يقول لنا القرآن العظيم لا تعدد فيها ولا في صفاتها ولا في أفعالها فالله سبحانه واحد في ذاته واحد في أسمائه وصفاته واحد في أفعاله وقد قال الله تعالى مشيرًا إلى تفرده سبحانه وتعالى في الذات وعدم الشريك والمعين له سبحانه :﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا

فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢] . وآيات كتاب الله الحكيم الخاتم لكل الكتب كثيرة في بيان وحدانيته وتفرده سبحانه وتعالى بالإيجاد وبصمدانيته (الصمد) [١] وتنزيهه عن المكافئ والمماثل والشريك والوالد والولد لا يماثل المحدثات ولا تماثله المحدثات والحادثات فليس كمثله شيء في أي شيء وكل شيء ويقول لنا القرآن العظيم في :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد :١٩] . وهو سبحانه يقول لرسوله في كتابه الحكيم الخاتم :﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [الفتح:١ – ٣].

والقرآن يقول في الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور أن (الله نور السموات والأرض ...) ثم يضرب مثلاً لهذا النور في بقية الآية فيه الشجرة المباركة الزيتونية اللاشرقية واللاغربية (أي الشمالية الجنوبية) قطبًا المغناطيس المتصل بالطاقة الكهربائية) وهي شجرة الطاقة الكهربائية المغناطيسية التي من نورها يوقد المخ (الزجاجة) ثم يكون العقل (المصباح) في المثل الذي ضربه القرآن العظيم لنور الله نور السماوات والأرض ويضيف الدكتور محمد عادل الحلو معنى ومفهوم الآية القرآنية في فهمه فيقول : في كتابه : «رحلة العلم من الإلحاد إلى الإيمان» «إن النظام «النوراني» الكهرومغناطيسي المنشيء للذرات (وهي مكهربة) يدفع عملية تجاذبها وتكاملها في مجموعات طبقًا لقواعد «ثابتة» منظمة وغير عشوائية نشأت بذلك كل مادة من المواد الموجودة في هذا الكون كمجموعة مترابطة من الذرات» انتهى .

إن الكون يتألف من جسيمات دقيقة فائقة الصغر هي الذرات والذرة تتألف

---

(١) الصمد : هو المقصود في الحوائج .

مـن نـواة مـن البروتونـات والنيوترونـات تحيطهـا الكترونـات تـدور حولهـا . والبروتونات ذات شحنة كهربائية موجبـة بينمـا شـحنه الإلكترونـات الكهربائيـة سالبة ومعادلة أما النيوترونات فعديمة الشحنة الكهربائية . ونخلص بنتيجة مفادها إن الطاقة الكهربائية والموجـات الكهرومغناطيسـية سـارية في الكـون كلـه وبمـا يمكننا فيه أن نفهم ونتفهم شيئًا عن الآية ٣٥ من سورة النور في القرآن العظيم التي ذكرناها سـابقًا وهـي أن :﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ويكـون تسلسـل الوجـود الكوني بكل من فيه وما فيه كالتالي حسب الآية القرآنية :

﴿ٱللَّهُ ـ نُورُ ـ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (أي الكون) وتكون حقيقة الكـون والوجـود هي (الموجات).

الفتح الخامس:

القرآن ودولة المدينة المنورة

أنبتت الدولة الإسلامية الأولى التي أقامها رسول الله ﷺ في المدينة المنورة بعد الهجرة إليها على مبادئ من القرآن العظيم وعلى سننه ﷺ المهتدية بهذه المبادئ والقواعد والتوجيهات فقد كانت الدولة نموذجًا في وقتها حديثًا بكل المقاييس للدولة المدنية القانونية دستورها هو القرآن والقانون فيها شريعة القرآن الشريعة الإسلامية التي آمن بها وارتضاها المسلمون باعتبارها القانون الذي ينظم علاقات الناس بعضهم مع بعض ويبني جسور الثقة بينهم باعتبارات الإيمان والأخوة والتعاون. والتكافل وضمان الحقوق يتمتع بها كل الناس في الدولة.

وكان من أهم المبادئ التي دعا إليها القرآن العظيم وأسس الرسول عليها بنيان الدولة في المدينة . ما يمكن إجماله واختصاره فيما يلي :

١-التوحيد في المعتقد الديني للمسلمين وفي التجمع الإنساني في الدولة لكل الناس.

٢-الشورى .

٣-مكارم الأخلاق .

٤-سيادة القانون(الشريعة) .

٥-المساواة في المواطنة وأمام القانون للجميع (عهد المواطنة) .

٦-اختيار الحاكم على أساس البيعة أي الانتخابات بعد ذلك .

٧-احترام حقوق الإنسان وحرياته خاصة حرية التدين والرأي والتعبير .

٨-تقدير دور المرأة في المجتمع والدولة .

٩-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

١٠-التسامح والقبول للآخر والعمل المشترك معه .(صحيفة المدينة) .

١١-نظام في الإدارة وفق المتطلبات يعتمد على الكفاءات الشخصية للناس وقدراتها الإدارية .

فبالنسبة لمسئولية الولاية لإدارة أمور الناس في الدولة فقد كان رسول الله ﷺ لا يولي للإدارة من يسأل المنصب ويسعى إليه أو يحرص عليه دون أن يكون كفؤًا وعدلاً وأمينًا وصادقًا وقادرًا ومؤهلاً ومخلصًا وكان يقول : «إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها » .

إن رسول الله ﷺ قبل أن يبني ويؤسس الدولة في المدينة المنورة قام طوال الفترة المكية التي سبقت ببناء وتأسيس الإنسان إيمانيًا وفكريًا وعقيديًا وأخلاقيًا ليلتزم الإنسان الذي سيكون نواة الدولة ولبنتها الأساسية مستقبلاً بنهج سلوكي قائم عليى الوحدة الإيمانية والمحبة والإيثار والتعاون . والتكافل وعمل الخير والنافع والصالح المفيد .. إلخ .

وقد عاد رسول الله ﷺ إلى مكة فاتحًا بعد أن اضطره أهلها إلى مغادرتها مهاجرًا إلى واقع جديد يدعو فيه بحرية إلى الدين ويستطيع فيه أن يُقيم الدولة على أساسه مؤيدًا في ذلك بالله والمؤمنين كما يقول القرآن العظيم :﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٢-٦٤] .

إن الأديان السماوية كلها تفرز قيمًا مشتركة للأخلاق ومفاهيم أخلاقية نظرية وتطبيقية (سلوكية) متشابهة . لأن الأديان السماوية مصدرها كلها واحد يهمها الإنسان الذي يبنيه الدين ويحترمه ويحترم كرامته وحريته وشخصه وحقوقه ويدعم ويبني أخلاقه ويصحح سلوكه ويضمن له حقه في العمل وعائده ومعيشته اللائقة بإنسانيته وحاجاته وبما يعتبر في النهاية وفي كل الأديان السماوية وفي كل

دولة ووطن عامل (ضم) و (توحيد) لا سببًا في (فرقة) و(الانقسام) ، فالإنسان يرتقي ويرتفع إلى مرتبة الإنسانية فوق الحيوانات والأنعام البهيمية بركائز أساسية هي التوحيد الخالص في الإيمان والتقوى وفي الألفة والتآلف في المجتمع القائم لتقوم صفاته ومواصفاته في مجتمعه ووطنه ودولته على العلم النافع والعمل الصالح والأخلاق الكريمة الفاضلة .

ونتيجة هذه التربية نشأ جيل صدر الإسلام الذي احتضن القرآن فتشرب تعاليمه وقيمه الأخلاقية وعاش حياته في عصره قرآني التوجه ، توحيدي المعتقد ، أخلاقي السلوك ، مراقب لربه وعلى صلة وتواصل قوي معه سبحانه وتعالى وقد احتضنه القرآن العظيم بالتوجيه والإرشاد والتعليم والهداية ، جيل رباه النبي أحسن تربية ، جيل لم يتكرر عبر أجيال المسلمين وحتى وقتنا الحالي على أكتافه قام الدين ، وأنبتت الدولة الأولى في مدينة الرسول ومن بعدها في عهد الخلافة الراشدة وإلى أن تحولت الخلافة إلى ملك عضود وانهارت الأسس التي حددها القرآن العظيم لقيام دولة المسلمين المؤمنين وضعف المسلمين أنفسهم وضعفت صلتهم بالله وخشيته وتقواه. وضعف تمسكهم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ وتغيرت بعد ذلك أحوال الدنيا وواقعها ونظمها وتوازنات القوى فيها وفي دولها .

إن ذلك الجيل الأول[1] هو جيل الصحابة وتابعين لهم، جيل (خير القرون قرني) الذي حدَّث به رسول الله وجيل (محمد رسول الله والذين معه) الذي حدَّث به القرآن العظيم في ختام سورة الفتح (الآية ٢٩).إنه جيل مجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس جيل الاستقامة وجهاد أعداء الله وجهاد أعداء المؤمنين وجهاد

(١) ولا يمنع ذلك من وجود شخصيات فردية متميزة أي أفراد في كل جيل من الأجيال المتعاقبة متميزين في صلتهم القوية بالله وبكتاب الله وبسنة رسول الله أي بدين الله .

أعداء دولتهم وجهاد ظلمة وظلام الضلال وجهاد الظلم والاستبداد وجهاد الكافرين وكفرهم وجهاد المشركين وشركهم وجهاء المنافقين ونفاقهم وجهاد عبيد المال وعبيد المادة وجهاد المتعالين المستعبدين للناس وجهاد الذين لا يعلمون والذين لا يتواصون بالحق ولا بالصبر وكل الذين هم في خسر في أي وكل عصر .

جيل إعلاء قيم الدين ومثله العليا وقيم التدين الحق وتقوى الله قيم الأخوة والمحبة والإيثار والتعاون والتكافل والتسامح وسائر مكارم الأخلاق والتعايش السلمي وفي سلام مع الله ومع النفس ومع المؤمنين ومع سائر وكل الناس في إحقاق للحق ودعوة إليه وحرية كل إنسان في اعتقاده الديني .. وفي رأيه والتعبير عنه بحرية دون أي ضغوط .. إلخ ... جيل المؤمنين العاملين في كل أوجه الصلاح والإصلاح والنفع والمصلحة والخير متواصلين بالحق وبالصبر على ما يعملون ولا يحيدون عن تعاليم دينهم الذي يتوخى مع الإيمان العمل للدين والدنيا في إطار الصلة القوية بالله وقرآنه والتواصل والتبعية لرسول الله وسنته ﷺ .. ولذلك كان الله يقول في كتابه الكريم : ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩] ويقول :﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر:١- ٣]] .

وإنه على الأساس التربوي الأخلاقي لإنسان ذلك الجيل المطيع لأوامر الله وأحكامه في قرآنه بالاستقامة والمتبع لرسول الله وسنة رسول الله قائدًا وقدوة وأسوة قامت وانبنت الدولة وقتها والتي ما كانت لتقوم وتنبني وتستقيم وتقوى وتتسع إلا بالمواصفات التي تحلى بها إنسان ذلك الجيل المسلم والأخلاق التي تخلق بها . إن المثالية الأخلاقية التي يقيمها دين الإسلام قرآنًا وسنة وكذلك كل دين سماوي إلهي آخر سابق عليه في أصول كتبه التي تنزلت ودعا لها رسل الله قبل محمد صلوات والله وسلامه عليه ، هذه المثالية في الأديان الإلهية كلها هي

مناط التقييم الصحيح والسليم لمقدار ومستوى كل إنسان ومواطن في دولته ولقدر تمدنه وتحضره في شخصه وفي سلوكه وفي معاملاته وتعامله مع كل إنسان آخر وفي أي دولة أخرى ، لأنه شريك في الإنسانية وفي حق المساواة فيها دون أي فرق أو تفرقة بين إنسان وآخر . كما حدَّث بذلك محمد رسول الله ﷺ المبعوث إلى الإنسانية ورحمة الله لها وللعالمين .. الشاهد والمبشر والنذير والداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير ومقامه ﷺ ليس بالنسب الإنساني الأرض (الطيني) وإنما بالنسب الإلهي السماوي (الروحي الاصطفائي) كما يقول الله تعالى في خاتم كتبه القرآن العظيم : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠] ولهذا النسب الإلهي والرسولي والنبوي الاصطفائي يقول الله تعالى أيضًا في القرآن العظيم :﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦] . وقد وصفت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها رسول الله القائد والقدوة والأسوة بأنه كان متواصلاً ومتصلاً مع القرآن العظيم في حياته في سيرته كلها ووصفته بأنه صلوات الله وسلامه عليه كان (قرآنًا حيا) وكان (خلقه القرآن) ووصفه ربه في القرآن العظيم بقوله :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] .

إن الظاهر القرآنية التي حملها واختلط بها الرسول ﷺ ظاهرة لا تتكرر لا في الشكل ولا في المضمون وهي مستمرة في الزمان وصالحة في المكان لا يدركها الموت ولا تدركها النهاية التي تدرك الإنسان ومن هنا فإن بقاء الظاهرة القرآنية أمر يدركه الإنسان المؤمن في نوعه الممتد في الوجود وهي ظاهرة لا يحتكرها جيل بعينه من الأجيال البشرية المتعاقبة . فالأجيال البشرية تتعاقب في تطور وترقي للمعرفة بينما تظل الظاهرة القرآنية في الأفق الأعلى للمعرفة تتجدد تفسيراتها ومفاهيمها بتجدد الخلق الجديد والفيض المديد على الإنسان في نشاطه العقلي والروحي ، في الفكر والنظر البصري والبصيري والتجريب ، وكما تختلط

شخصية الرسول بالقرآن الكريم فإنها والقرآن يختلطان بالفرد وبالمجتمع اللـذان يتفاعلان معهما ويؤمنـان بهمـا .فالبيـان القـرآني في آياتـه وفي حـق رسـول الله ﷺ سينعكس في حياة الإنسان فردًا كان أو في أسرة أو في مجتمع أوفي دولة .لقـد غفـل عن هذه الحقيقة كثيرون من الناس ، وفطن إليها بعض الناس ، رأوا أنوار الرسول ﷺ وقد امتزجت بأنوار القرآن ، وتخطوا حواجز المكـان في أرض شـبه الجزيـرة العربية كما تخطوا حواجز الزمان الممتد من وقت البعثة وحتـى عصـرنا الحـالي ، يدركون في كل عصر من عصور البشـرية في الأرض عبـر تطورهـا الفكـري ونمـو معارفها وعلومها وتطبيقاتها ، وعبر حضارات الإنسان في الأرض يدركون عناصـر الإعجاز والعظمة في هذا القرآن ،وعناصر الطاقة والبناء في هذا القـرآن ،وعناصـر الإيمان والتسامح والحرية والإخاء والمحبة والمساواة والكرامة الإنسانية في هذا القرآن ، أن الذين ينظرون إلى رسول الله ﷺ فلا يـرون إلا ذلـك الهيكـل البشـري الذي كان يعيش في الصحراء ويركب الإبل ويسكن الخيام وينزل المنازل البدائيـة ويأكل الطعام العـادي ويمشـي في الأسـواق للتجـارة متـدثرًا بـدثار الأميـة ،هـم محجوبون عن رؤية النور المحمـدي الهـادي ، نـور الرسـول في حقيقتـه وطاقتـه الروحية ونوره في أخلاقه ونوره في رجاحة عقلـه وفكـره ونـوره مـن حيـث حملـه للقرآن الكريم ونوره من حيث تخلقه بأخلاق هذا القـرآن ونـوره في كـل أحـداث ومواقف سيرته ونوره في جهاده مـن أجـل أن تكـون مبـادئ دينـه مشـرقة بـالخير والسعادة للبشرية كلها في كل بقاع الأرض .

وأقرب من كان يجاور المسلمين في المدينة من غيـر المسـلمين هـم اليهـود ، الذين كانوا يبطنون العداوة للمسلمين ولكن لم يكونوا أظهروا أية مقاومة أو عداوة أو خصومة بعد ، فعقد معهم رسول الله معاهدة قدر لهم فيها النصح والخير وترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين وإقامـة شـعائرهم وفي المـال ولم يتجـه إلى سياسـة الإبعاد والإقصاء أو المصادرة أو الخصام وإنما ما فعله كان يعتمد عـلى (الوحـدة

في إطار التعددية الدينية) وكانت بنود هذه المعاهدة وقد وردت في سيرة ابن هشام [(١)] وأوردها الشيخ عبد الرحمن المباركفيوري في كتابه «الرحيق المختوم» يمكن الرجوع إليها لمن يريد .

وبإبرام هذه المعاهدة صارت المدينة وضواحيها دولة وفاقية يرأسها رسول الله ﷺ والكلمة النافذة والسلطان الغالب فيها للمسلمين ،ولتوسيع منطقة الأمن والسلام عاهد النبي قبائل أخرى بعد ذلك يمثل هذه المعاهدة حسب ما اقتضته الظروف واقتضاه الواقع وضروراته واحتياجاته في وقته .

وبذلك كانت العلاقة بالآخر في دولة المدينة المنورة تقوم على عهد المواطنة والتعايش والسلام .وقد ألزمت صحيفة المدينة المنورة المعاهدة لليهود الزمت المسلمين والآخرين من سكان دولة المدينة بالدفاع عنها ضد العدوان عليها في التزام بعهد المواطنة والوحدة للناس من خلاله ولكن بالخيانة ونقض عهد المواطنة .. تجج ساسة اليهود وقادتهم[(٢)] في تأليف أحزاب الكفر على النبي ﷺ وعلى المسلمين وعلى دولتهم في المدينة ، فتحركوا نحوها للهجوم بجيش كبير وقد نقلت استخبارات المدينة إلى قيادتها فيها أخبار هذا الزحف الخطير فأعدَّ الرسول والمسلمون للدفاع عن المدينة خندقًا أشار به الصحابي سلمان الفارسي إلا أنه في النهاية فشل أحزاب الكفار والمشركين من غزو المدينة والقضاء على المسلمين وقيادتهم ودولتهم فيها ، وكان للرسول وللمسلمين شأن آخر بعد ذلك مع اليهود الذين خانوا وخالفوا العهد ونقضوه ، يمكن الرجوع إليه في كتب السيرة.

***

(١) كذلك في سيرة ابن هشام وكتاب «الرحيق المختوم » لفضيلة الشيخ عبد الرحمن المباركفيوري وغيرهما .

(٢) بنو قينقاع ثم بعدهم بنو النضير.

قاعدة الاعتقاد الأساسية في القرآن العظيم

إن قاعدة الاعتقاد الأساسية في التصور القرآني والتي تتمثل في ربط الدنيا بالآخرة والبعث والحساب والجزاء بالثواب والعقاب ، لها أثرها على الفرد (المواطن في الدولة) من حيث إتقان العمل وإجادة الإنتاج في كل مواقع العمل والمسئولية ؛ لأن هذه العقيدة تذكر المسلم بالجزاء على العمل الذي يؤديه ، ومدى إخلاصه وإتقانه في أدائه ، وهو يعني نوعًا من الرقابة الداخلية من الفرد على نفسه من منطلق الإيمان بمراقبة الله للعبد في كل مكان وفي كل وفت وزمان . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] . ومن هنا فإن العمل والإنتاج اللذين يلقيان القبول عند الله هما العمل النافع والإنتاج النافع : ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾ [الأعراف:٥٨] .

وأنه مما ذكره ودعا إليه القرآن العظيم ودعت إليه معه سنة خاتم المرسلين يمكن أن نستخلص النتائج الإيجابية المفيدة التالية التي يستفيد فيها المؤمنون في كل عصر وزمان :

١-إخلاص الإنسان (المواطن) في عمله المنوط به وبحيث تتوفر في محتواه وفي نتائجه شروط ومعايير الجودة والإتقان فيه .

٢-إخلاص الإنسان (المواطن) العامل للمنشأة التي يعمل بها يعطيها من جهده وإمكاناته وعلمه وخبرته ما يستطيع .

٣-إخلاص الإنسان (المواطن) في عمله في كل مجالاته وقطاعاته المختلفة في دولته ووطنه.

٤-الحساب الذاتي من جانب كل إنسان (مواطن) عامل يراعي ربه ودينه ومصلحة وطنه في عمله ويحاسب نفسه قبل أن تحاسبه القوانين واللوائح الموضوعة .

٥-إحسان الصلة بكل الناس (قدوة واقتداء) في العلاقة بهم والتعامل معهم داخل وخارج مواقع العمل والمسئولية مع تدعيم القبول للآخر والتعاون المشترك معه والتسامح في العلاقة معه كما يأمر الدين.

أخلاقيات في جوانب من الفكر الاقتصادي في القرآن العظيم

كما يمكننا أن نستخلص أخلاقيات في جوانب من الفكر الاقتصادي في القرآن العظيم فيما جاء في السور التالية :

١-سورة البقرة :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٥- ١٥٧].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ١٦٨].

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٨] .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢١٥] .

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٥].

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة ٢٦١].

﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ

عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [البقرة : ٢٧١] .

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٤] .

٢-سورة المائدة :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥].

٣-سورة التوبة :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴾ [التوبة : ٣٤-٣٥].

٤-سورة هود :

﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾ [هود: ٨٤-٨٦] .

٥-سورة النحل :

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ [النحل : ٧١] .

٦-سورة الزخرف :

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣١-٣٢] .

٧-سورة قريش :

﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش : ٣-٤] .

٨-سورة الفرقان :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] .

هذا وقد جاء القرآن الكريم في آياته محدثًا عن أمور اقتصادية ومالية أخرى مثل حب المال ومفهوم البر والزكاة وتحريم الربا والإنفاق في الخير والمصلحة والبناء والتطوير والتعمير وتحقيق العدالة الاجتماعية .

أخلاقيات التعامل المالي في الآيات القرآنية

كذلك يمكننا أن نستخلص أخلاقيات التعامل المالي في الآيات القرآنية التالية كنموذج ومثال :

١-إبرام العقود منعًا للاختلاف : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ [البقرة:٢٨٢] .

٢-ثم الالتزام والوفاء بنصوص العقود : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة:١] . حتى تكون الثقة سببًا في استقرار ونمو المعاملات التجارية في المجتمع .

٣-تجنب الكسب غير المشروع :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ ﴾[النساء:٢٩] .

٤-تحريم الربا:﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة:٢٧٥] .

٥-تحريم الكذب والخداع والخيانة:﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾[النحل:١٠٥] .

٦-تحريم قول الزور والتدليس :﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴾[الحج:٣٠] .

٧-النهي عن سوء إدارة الأموال بالإسراف والتبذير :﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف:٣١] .

٨-التوسط في الإنفاق : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾[الفرقان:٦٧] .

٩-الإنفاق سرًا وعلانية : ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾[إبراهيم :٣١] .

١٠-الإنفاق على الوالدين والأقربين واليتامى ، ثم على عامة المحتاجين والمستحقين من المواطنين بما يحقق التكافل الاجتماعي القائم على مبدأ الأخوة وإحسان القادرين بمعاناة غير القادرين :﴿قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾[البقرة:٢١٥] .

١١-الإنفاق من الطيب المحبب إلى النفس : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن

طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾ [البقرة:٢٦٧] .

١٢-النفقة مدخرة ولا تضيع هباء : ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٢] .

١٣-الإنفاق ينبغي أن يكون على قدر السعة والاستطاعة : ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾ [الطلاق :٧] .

١٤-النفقة من الخبيث غير مقبولة ؛ لأنها عن نفس غير مخلصة في عمل الخير والإصلاح : ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ ﴾ [البقرة:٢٦٧] .

١٥-مراعاة شعور ونفسية المنفق عليه ، بالنهي عن إبطال النفقة بالمن والأذى :﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٣-٢٦٤] .

كلمة الأستاذ الدكتور والشيخ علي جمعه :

أما عن القرآن الكريم الذي نتحدث عنه على قدرنا المتواضع فيقول أستاذنا الدكتور على جمعة مفتى مصر الأسبق[١] :

«إن المنطلق الصحيح لكل عمل هو كون القرآن المرجع لعقيدة المسلم وسلوكه واختياراته ومواقفه ونموذجه المعرفي ورؤيته للكون والإنسان والحياة

(١) في تقديمه لكتابي عن«المرجعية الإسلامية – تحديد المفاهيم » . المنشور من مكتبة الشروق الدولية .

وما قبل ذلك وما يعده وإدراكه لوعيه ووظيفته التي خلقه الله من أجلها : عبادة الله، عمارة الأرض ، تزكية النفس ، وتعني المرجعية القرآنية أن نجعل القرآن :

١-محددًا لحياتنا .

٢-متممًا لأعمالنا ووصلها بالمدح أو القدح ، بالقبول أو الرد .

٣-مخدومًا لعلومنا ، فمنه البداية وإليه المنتهى ، وهو احد طرفي المعرفة عند الإنسان ، وهما الوحي والوجود .

والقرآن هو لكل زمان وكل مكان ، ولكل الأحوال ولجميع الأشخاص ..ولذلك فخرافة تاريخية القرآن محض وهم ، وأنه يصلح لعصر النبي محمد ﷺ ولا يصلح لغيره هو محض افتراء مضحك وسخيف في نفس الوقت .. انتهى .

كما يقول أيضًا فضيلته [(١)] .

«إن علوم القرآن» من أجلِّ وأشرف علومنا الإسلامية – التي أسَّسها علماؤنا وأئمتنا وبنوا مبادئها ومسائلها عبر القرون ؛ لتكون وسائل تعين «الأمَّة المسلمة» على استجلاء معاني القرآن ، وتلاوته حق التلاوة ، وفهمه وتدبُّره ، وصياغة حياتهم به ، وإقامة مجتمعاتهم على بينَّة ونور منه .والقرآن كتاب الله – تعالى – وكلامه لا تنقضي عجائبه ، ولا ينضب معين معانيه ودلالاته .وقد أنزله الله على خاتم النبيِّين ليقوم بعد ختم النبوات به مقام الأنبياء والمرسلين ؛ فهو الكافي والشافي والمغني عن تتابع النبوّات وتتالى الرسالات . وعلوم خدمة ذلك الكتاب المعجز لا يمكن أن تقف عند جهود جيل واحد من أجيال الأمَّة أو قرونها ؛ لأنّ هناك وسائل غير ثابتة ، وفي دائرة تلك الوسائل المتجددة تتنافس الأجيال بحيث يكون لكل جيل

(١) في تقديمه لكتاب «أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها » للدكتور طه جابر العلواني .

نصيب من شرف خدمة القرآن وسبيل للانضمام إلى حملة لواء القرآن .

وإعادة صياغة «علوم القرآن » ،وتقديمها لأجيالنا الواعدة بأسلوب يلائم مداركها ،ويناسب قدراتها ، أمر في غاية الأهميَّة في عصرنا الحاضر .ولا يجيد القيام به إلا من أخذ من علوم القرآن وعلوم المقاصد والوسائل الإسلامية بنصيب وافر. وأخذ – كذلك – من معارف العصر والتيَّارات والتوجهات البارزة فيه بمثله » انتهى .

الفتح السادس:

العلاقات الدولية في القرآن(١)

(١) من كتاب «المعجزة الكبرى – القرآن» لفضيلة العالم الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة عليه رحمة الله، بتصرف بسيط جدًا استبدلنا فيه كلمة (قرآن) بكلمة (إسلام) والمعنى واحد.

-القرآن يذكر أن الإنسانية كلها أمة واحدة ويقول سبحانه وتعالى في ذلك : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[البقرة:٢١٣] .

وإن النصوص القرآنية تدل على وحدة الإنسانية في خلقها وأصلها ، فالله تعالى يقول :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١] .

فالرحم بين بني الإنسان موصولة ، وإذا كانت الألوان مختلفة والألسنة مختلفة والأجناس متباينة ، فإن الأصل واحد ، ويجب أن تكون العلاقات مبنية على الأصل الموحد لا على التخالف الظاهر ، ويجب أن تبني الأمور على الجذع لا على الغصون المتفرعة .

ولقد حد الله تعالى في كتابه الكريم حدود العلاقة الإنسانية ، فقال سبحانه وتعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:١٣] .

فبهذا النص يبين القرآن الكريم أن العلاقة التي يجب أن تكون السائدة هي التعارف ، والتعارف تكون معه المودة ، والتعاون وإقرار السلام وإحياء التراحم .

-وإذا كان التعارف هو الأصل الجامع للشعوب والقبائل والأجناس ، والسلام لازم من لوازمه وهو الأساس لكل تعارف ، فلا تعارف يوجب المودة مع الخصام والتناحر والتحارب .

ولذلك كان الأصل في علاقات الدول بعضها مع بعض السلم لا الحرب ،

فالمسلم ينظر إلى من يخالفه نظرة الود الراحم ، لا العداوة القاطعة ، ولذلك يقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٨- ٢٠٩] . كما وأن ممارسة الإنسان المواطن لكافة حقوقه وواجباته في مجتمعه الوطني (دولته) يتحدد ويتوقف على تحقيق (السلام) وانتشار الأمن داخليًا وخارجيًا .

وقد تربت النفس المؤمنة على المحبة ، فكانت تكره القتل والقتال إلا أن يكون ذلك جهادًا ، ولذلك قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١٦] . وكان القتال بالجهاد لدفع الشر وتعميم الخير ، لأن الإسلام يدعو إلى الخير ، وإلى الفضيلة ، وفضيلة الإسلام إيجابية وليست – سلبية فهي تدافع الرذيلة ولا تستسلم وتصد العدوان ولا تجاهد إلا المعتدين .

وإذا كان الوجود يتنازع فيه الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، فإنه لابد من دفاع الخير ، لقد أراد الإسلام للناس المحبة ، ولكن أراد إبليس لهم البغضاء ، فكان لابد من النزاع بين المحبة والبغضاء ، وإلا يُدفع الشر ساد الفساد ، وعمت الرذائل ، لذلك شرع مبدأ الجهاد لدفع الشر ، ومنع الفساد ، ولقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة:٢٥١] .

لذلك شرع الجهاد في الإسلام ، وأول الجهاد كان عقب الاعتداء وفتنة المسلمين وإيذائهم ليرجعوا عن دينهم .عندئذ أذن الله تعالى بالجهاد وأوجبه فقال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ

لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٣٩، ٤٠] .

ولقد قال تعالى آمر المؤمنين بالقتال : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠- ١٩٣] .

ويقول سبحانه وتعالى مبيناً أن القتال لأجل الاعتداء ، وأنه ينتهي بنهايته :﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأنفال:٣٨- ٤٠] .

فما كان الإسلام ليستبيح دماء المخالفين لأجل المخالفة . بل يستبيحها لأنهم استباحوا دم أهله ،ولأنهم أرادوا حمل المؤمنين على تغيير دينهم ، وفتنوهم في ذلك والفتنة كما قال تعالى أشد من القتل .

-ولأن القرآن في مشروعية الحرب هو دفع الاعتداء ،والفتنة في الدين فإن الإسلام أباح الهدنة إذا أرادها المخالفون ، وحسنها ،ودعا إليها ، وقال تعالى في ذلك وقد أذن بالقتال العام :﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:٣، ٤] .

وفرض القرآن هدنة إجبارية على المسلمين إن التزم بها المخالفون ، وهـي إلا

يكون قتال في الأشهر الحرم ،وهي ذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان .

والقرآن إذ يقر الهدنة والعهود والمواثيق ، يحترم هذه المواثيق ما احترمها المخالفون المناوئون واستقاموا عليها .

-ولا يبيح القرآن القتل ولا القتال بالنسبة لمن يريد السلام ، والله تعالى يقول في ذلك :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء:٩٤] .

كما أن القرآن الكريم يقرر نظرية الحياد ، ويحترم المحايدين ، فلا يرفع عليهم سيفًا .

وقد فهم بعض الذين لا يدرسون المسائل دراسة فاحصة مستقرية أنه لا موضع للحياد في الفقه الإسلامي ، وذلك كلام من لم يمحص الحقائق لأن القرآن الكريم جعل للحياد موضعًا ، وهم الذين يعتزلون الحرب مع المسلمين أو ضدهم ، فقال إنه لا سبيل عليهم ، فكان الحياد ثابتًا بنص القرآن الكريم .

وليس قتال المؤمنين ليكون باب الدعوة إلى الإسلام مفتوحًا بعد اعتداء من المؤمنين ، بل هو رد للاعتداء ، لأن القتال لأجل الدعوة لا يكون إلا بعد أن يرسل المؤمنون دعاة للإيمان ، فإن أجاب بعضهم ، ولم يضطهد في اعتقاده فإنه لا قتال ، ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها .وإن اضطهد كان ذلك هو الاعتداء بالفتنة ، فوجب القتال ردًا للاعتداء بمثله .

وقد جاء الإسلام في عصر الملوك المتجبرين الذين كانوا يؤذون رعاياهم فكان منهم الاضطهاد لكل من تبلغه الدعوة ويؤمن ،وما أرسل النبيﷺ الجيوش

إلى الشام إلا بعد أن اضطهد الروم المسيطرون المسلمين الذين أسلموا في الشام وقتلوهم ،وما حارب الذين جاءوا من بعد الفرس إلا لأن كسرى حاول أن يرسل من يقتل النبي ﷺ .

ويلاحظ من يتلو آيات الأمر بالقتال أن فيها النهي عن الاعتداء . فالله تعالى يقول : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠] .

وإن من مقتضى هذا النهي عن الاعتداء عدم مقاتلة المؤمنين من لا يقاتل ، وألا يقطعوا الأشجار، وألا ينتهكوا الأعراض، وألا يستبيحوا الأموال بغير حقها .

إنما الحرب لمن يحادون الله ورسوله ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [المجادلة:٢٢] .

وأولئك الذين يحادون الله ورسوله هم الذين حاربوا المسلمين ، وأعلنوا العداوة وأخذوا يتربصون بهم الدوائر لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة .

وما عدا هؤلاء فإن السلم هو العلاقة والمودة إن وجدت مقتضياتها .وقد نص القرآن الكريم عن ذلك ، فقال تعالى : ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة:٨ ، ٩] .

فالمودة موصولة ما لم يكن الاعتداء إذ عسى أن تعود الصلة حتى بين الأعداء

كما يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة:٧] .

القرآن والعلاقة في السلم والحرب

المستخلص من القرآن العظيم في آياته يتلخص في أن القرآن وهو دستور الدولة المسلمة يدعو إلى إقامة التعايش السلمي مع كل دولة لا تعتدي أو تؤذي أو تهاجم فكل من لم يقاتل المسلمين في دينهم ولم يخرجهم من أرضهم أو وطنهم ولم يظاهر غيره على ذلك فله من أهل القرآن المودة الخالصة والتعاون الوثيق وعلى العكس فكل من يقاتل المسلمين في دينهم ويخرجهم من أرضهم ووطنهم أو يظاهر على ذلك فليس له من أهل القرآن مودة أو صداقة أو تعاون ، والقرآن واضح في ذلك حين يقول :﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة:٨ ، ٩] . أما الهيئات الدولية والدول المرتبطة بمواثيق ومعاهدات فيجب حسب القرآن العظيم احترام المواثيق والوفاء بالعهود وتطبيق أحكام المعاهدات طالما احترمها وطبقها الآخرون ، والقرآن يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾[المائدة:١] . ويقول :﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٤] .

وإن أول آية نزلت من القرآن آمرة بالقتال والجهاد كانت : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج:٣٩] فقد كان المظلومين والمضطهدون ممنوعون من القتال لدفع الظلم دفاعًا عن أنفسهم حتى جاءهم الإذن من الله الذي هو سبحانه على نصرهم لقدير بعد أن فشا فيهم الظلم واشتدت عليهم وطأته ، كما وأننا حين نتتبع غزوات رسول الله ﷺ لا نجده قد خرج في

واحدة منها بادئًا بقتال .

فإن النبي ﷺ قاتل الكفار الذين اعتدوا عليه وعلى أصحابه وأخرجوهم من ديارهم والسبب في القتال ليس أنهم كفار وإنما هو كونهم معتدين ومن هنا فإن الأصل في العلاقات وفقًا للقرآن هو السلم وحتى يكون سبب وقوع الحرب وهو الاعتداء ولذلك أيضًا كانت شرعية عقد المعاهدات المؤقتة والدائمة وهي واجبة الوفاء . أي أن القرآن جعل سبب قتال المسلمين للكفار هو الاعتداء والعدوان وليس لمجرد الخلاف الديني ، ولذلك يقول القرآن العظيم : ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٦١] .إن الإسلام يتعايش ويتعاون مع الملل والنحل الأخرى وحقائق الوحي القرآني والهدي النبوي يحثان على قيام المعاملات بين المسلمين والآخرين على أسس المودة والبر والعدل والرحمة والتسامح.

وقد أباح القرآن العظيم للمسلمين أن يحسنوا ويقسطوا مع الذين يخالفونهم في الدين ما داموا لم يقاتلوهم ولم يخرجوهم من ديارهم وأوطانهم . وتاريخ المسلمين لا يشمل حالة واحدة قاد فيها رسول الله هجومًا عدوانيًا .

وسجلات تاريخ المسلمين تظهر أن كل قبيلة حاربها المسلمون كانت إما لأنها هاجمت المسلمين أو أنها ساندت مثل هذا الهجوم أو حرضت عليه كما أن الرسول ﷺ لم يطلب في أي وقت من قبيلة مجاورة سالمة أن تختار بين الخضوع لحكمه أو الحرب وكل قرارات الرسول الحربية والسياسية كانت دائمًا متوافقة مع النهي الذي فرضه القرآن على العدوان غير المبرر ولذلك كان يدعو ﷺ إلى السلم ويقول «أأفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» ، والحديث رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد والدارمي وابن أبي شيبة وصححه الألباني في الصحيح من حديث عبد الله بن سلام.

إن القرآن يقيم الأصل والأساس بين كل الناس في الدنيا على (السلام) وهو يسمع كل الناس توجيهه وتوجهه للسلام حين يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة:٢٠٨] . فالشيطان في الشر والعدوان للإنسان يريد أن يخرج الناس من الانضواء تحت واقع السلام لينشر بينهم الاقتتال والنزاع والحروب التي تعكر صفو وصفاء السلم والسلام لأسباب يتبعها الإنسان للإفساد وقطع ما أمر الله به في أديانه أن يوصل نتيجة أسباب كثيرة مختلفة واستراتيجيات مختلفة تزدوج فيها المقاييس والمكاييل وبالتالي الأحكام والأفعال وأهدافها . وإذا كان من فقهاء المسلمين من كان يحدثنا في وقته في ظروف وواقع الزمن الماضي عن دار الإسلام ودار الحرب فإن القرآن العظيم يحدثنا في سعته وشموله ومواكبته لكل وقت وزمان وعصر عن (دار السلام) وهي الدار التي تتوخى فيها الدول الوطنية المستقلة وذات السيادة في عالم متغير وجديد (معاصر) تتوخى السلام العالمي والإقليمي والمحلي والسلام المجتمعي داخل كل دولة ووطن دون تفرقة بين مواطنيها لأي سبب .

وأؤكد أخيرًا أن القرآن العظيم وسنة خاتم المرسلين وهما المصدران الأساسيان للدين يقيمان السلام ويدعوان إلى السلام ويمجدان السلام ويوضحان القيم الأخلاقية البناءة عند سيادة واقع السلام وعلاقات السلام بين كل الناس ، أما نور القرآن ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[المائدة:١٦].

هذا وإن واقع السلام الذي يقيمه ويدعو القرآن إليه الناس له مظاهر من السلوكيات والأحوال في الدنيا والآخرة معًا . فتحية المسلمين لبعضهم ولكل الناس غيرهم هي السلام والمقترن برحمة الله وبركاته كما وأن المنطق القولي للمسلمين من عباد الرحمن هو السلام الذي يواجهون به جهل وانفعالات

الجاهلون .

أما حضرة النبي محمد ﷺ فقد حث المسلمين على إلقاء السلام عند أي لقاء مع كل الناس «من عرفت ومن لم تعرف» كما جاء في نص الحديث . وليلة القدر العالي الذي تنزل فيها القرآن العظيم جعلها الله سلام حتى مطلع الفجر وألقى الله السلام على عباده الذين اصطفى . وفي الآخرة أمثلة كثيرة لواضع السلام ، فتحية الملائكة للبشر في الآخرة سلام ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد:٢٣-٢٤] ، ومستقر عباد الله الصالحين دار الأمن والسلام ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[الأنعام:١٢٧] ، والمنعمون في الجنة لا يسمعون من القول ولا يتحدثون بأي لغة إلا لغة الخير والسلام ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة:٢٥-٢٦] وغير ذلك ..

الفتح السابع :

الأخلاق في القرآن الكريم

القرآن هو المرشد الحقيقي الذي حفظه الله لنا وحفظه بيننا هو إمامنا وموجهنا وهادينا ودليلنا إلى النهضة الشاملة والتقدم المدني والحضاري والسمو الأخلاقي والتعاون الأخوي والتعامل عن محبة والتكافل عن إيثار . القرآن يحتوي على الحقيقة المطلقة باللغة العربية التي تنسق بين الشريعة وقوانينها وبين الكون الطبيعي وقوانينه ؛ والعالم الروحي وقوانينه لأن الله واحد في الكلمة الصادرة عنه في الكون الطبيعي والعالم الروحي والكلمة القديمة وهي القرآن الكريم .

القرآن كتاب هداية وإرشاد ، وبيان وتوجيه ، وهو دعوة وحجة يحتوي على حقائق كاملة شاملة تحكم علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى وعلاقته بالكون والطبيعة ،وعلاقته بأخيه الإنسان (الفرد- الأسرة- المجتمع – الدولة – الأمة – تجمعات الشعوب والأمم) . إنه منهاج يقيم حياة الإنسان في الأرض وفق أسسه في العقيدة وفي العبادة وفي الأخلاق وفي المعاملات الفردية والاجتماعية والدولية أسسها من السلام.. إنه اعتقاد عن علم وشريعة للعمل ، وهو يدعو الإنسان – الخليفة في الأرض – ليبني صرحًا من المعرفة دائم الترقي يستند إلى العقل والإيمان .ولذلك فهو حجة ودعوة ترتبط به وفيه الدنيا بالآخرة .. الدنيا هي دار العمل والكد والابتلاء ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤] والآخرة عنده هي دار الجزاء والثواب أو العقاب .. والحياة في الدنيا إلى فناء والحياة في الآخرة إلى خلود وبقاء .والإنسان الذي يبحث دائمًا عن الحق سيجده كاملاً متكاملاً في القرآن وهو كتاب ، كما أنه سيفسر حقائق القرآن من خلال الكون أو الطبيعة وظواهرها والنفس الإنسانية وأسرارها حتى يدرك تطابق الحقائق في القرآن الكريم المُنزل بالوحي مع الطبيعة المخلوقة وأسرار فسيولوجيا الإنسان وقدراته العقلية والروحية في إطار الحواس (S.P) وما زاد على الحواس (E.S.P). .

ومن هنا يكون النتاج الفكري للإنسان ، تابعًا بالضرورة للحق الكامل المكتمل في القرآن الكريم ، وهو جامع للكلمات التامات بحيث يكون هذا النتاج الفكري بكل مناحيه ، عاملاً مفسرًا للحقائق في القرآن الكريم ،وهو جامع للكلمات التامات بحيث يكون هذا النتاج الفكري بكل مناحيه ، عاملاً مفسرًا للحقائق القرآنية ، وليس حاكمًا عليها ؛ لأن النتاج الفكري دائم التغيير ، حتى ولو كان في زيادة وترقي ، والمجهول يبدو أكثر اتساعًا كلما ازداد الفكر الإنسان في علومه ولعل هذا هو المعنى الذي قصد إليه القرآن في تقريره :﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٧٦] .؛ لأن اتساع مناحي العلم تجلب معها اتساعًا أيضًا في المجال غير المعلوم.

ولهذا السبب سيظل الذكر المنزل محفوظًا من أن تشوبه شائبة قصور أو اختلاف ؛ لأن الحق واحد في الكلمة الصادرة عنه ، المخلوقة والمكتوبة على السواء ، والقرآن بالحق ومن الحق نزل ،وبذلك تزداد عظمته بالنسبة للرؤية الإنسانية بازدياد النتاج الفكري الإنساني في مجالاته المختلفة ووسائله المختلفة .

إن القرآن يقيم بوجه حضارة الإنسان على أساس الربط بين الابتكار والتقدم وترقي ونمو واتساع نتاج الفكر الإنساني وبين توجيهات المثل والقيم والأخلاقيات النابعة من الدين والإيمان بما يمكن من قيام مجتمع هو خير المجتمعات في الأرض تعيش فيه أمة هي خير أمة أخرجت للناس ، ولذلك كان من الضروري أن يوجه الدين الإنسان في الأرض في وجوده الاجتماعي والمتخذ شكل علاقات بسائر مجتمعات البشر فضلاً عن البيئة المحيطة فذلك وحده هو الذي يحقق سلامة وسلام المسيرة المعرفية والعلمية وسلامة وسلام البناء المجتمعي والاجتماعي العاكس لهذه المسيرة ومستواها في الجيل المعين ويخطو بالفكر الإنساني خطوات كبيرة نحو اكتشافات جديدة للوجود واستغلالها الاستغلال الأمثل لصالح الإنسان في وطنه والإنسانية جمعاء ويسلك نفس

الخطوات في فروع المعرفة المتصلة بنظام الحياة في كل وكافة مجالاته في كل المجتمعات .

وبغير هذا فإن السلوك الإنساني في الأرض نتيجة تقدمه العلمي والتكنولوجي سوف لا يخضع لقيم الدين والإيمان ومثلها وأخلاقياتها وإنما سيخضع لما يضعه البشر للبشر من قيم مادية نتيجة عوامل مادية بحته ومصالح ضيقة أو موقوتة فالإنسان ليس مجرد عنصر من عناصر الإنتاج شأنه شأن الأرض أو الآلة ، كما أنه ليس مجرد وسيلة للتنمية ، لكنه غاية التنمية وهدفها ، وإذا كان من الممكن الحصول من الأفراد على جهد كبير وتحملهم تضحيات كبيرة لبعض الوقت خاصة في غيبة المشاركة النيابية ، في صنع القرارات المؤثرة على حاضرهم ومستقبلهم وتوزيع ثمار عملهم ، فليس من الممكن السير على هذا المنوال فترات طويلة إلا باللجوء إلى أساليب القمع والإرهاب ، أي بسلب حقوقهم وحرياتهم . وفي كل الأحوال يكون ذلك على حساب فتورهم وتراخي جهودهم وتضاؤل استعدادهم للتضحية وتكون النتيجة خسارة مزدوجة خسارة في الإنتاج والنمو الاقتصادي من جهة وخسارة في عملية بناء الإنسان والعلاقات الإنسانية في المجتمع من جهة أخرى.

لقد اعتبرنا القرآن الذي أوحى إلى النبي المصطفى سيدنا محمد ﷺ هو صورة الحقيقة المطلقة المنزلة إلى الإنسان ليدركها في صورة نسبية من خلال هذا الشكل للكتاب[أ] أو الشكل الكوني المخلوق (مادة – طاقة) باعتباره أيضًا كتابًا ، وقلنا إن الآيات في الكون وفي القرآن متطابقة بالضرورة لأن مصدرهما واحد هو الله الأحد سبحانه وتعالى الذي فصَّل في القرآن الكريم كل شيء تفصيلا وقال جل وعلا : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[الأنعام:٣٨] .

وفي الآية ٥٤ من سورة الكهف : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ . وتلك الأمثال يضربها الله للناس لعلهم يتذكرون ولا يكفرون (١).

والقرآن في الحقيقة طاقة أو نور أو روح ، والله سبحانه وتعالى يمنحنا من هذه الطاقات أسباب الحياة المتسامية في روحها ونورها نخرج بهما من ضيق الظلمات وشدتها كما في قوله ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ وهو الليل (بكل معانيه) إذا اشتد ظلامه إلى سعة الأنوار عقيدة وعبادة وأخلاقًا ومعاملة :﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢] .

لقد وجهنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن نتعوذ من شرور الظلمات الجاهلية إذا اشتدت علينا في الزمان والمكان ومنحنا سبحانه القدرة على اختيار طريق الحياة المستقيم الذي تحيط به أنوار الحق ونحن نستطيع أن نسمو بأنفسنا من خلال ذكر أسماء الله الحسنى لنجد فيها سمو أرواحنا في مقام عبادتنا لله كأننا نراه وان نزيد من هذا السمو لنتحقق بأنه إذا كنا لا نرى الله فإن الله يرانا .وقد روى عن رسول الله ﷺ أن من أحصى تسعة وتسعين اسمًا من أسماء الله الحسنى دخل الجنة ، والإحصاء هنا ليس بمعنى العد أو الحفظ وإنما هو بمعنى التحمل أو الاطاقة من خلال جهاد النفس للتخلق بحسن معانيها وما تؤتيه من أثر في طمأنينة النفس وراحة البال واستقامة السلوك مع الله ومع الناس .

وأقول للإنسان : أسماء الجمال بك عناية وأسماء الجلال لك هداية وهي الكمال بلا بداية ولا نهاية «من أمر الوجود في الآفاق» «وفي نفسك بسر الوفاق ومن أجل نور الأسماء فيك» «سجد الملائكة لآدم أبيك» «وهم عليك يصلون ولك يدعون» «فاذكر تجلي المولى عليك «بأسماء تضيء لك فيك وحواليك»

(١) كما في الآية ٢٧ من سورة الزمر والآية ٨٩ من سورة الإسراء .

«وأمشي في الناس بنور في محياك» «به يكون ربك قد أحياك » «وأخرجك من شرور الظلمات »« وأسلمك لنور القرآن ورسول الهاديات » «حتى تقيم المنهج في نفسك بإخلاص »وتنفذ أحكام الشريعة والمقاصد دون إنقاص » عندها أنت المحسن الولي والله بالفضل حياك» «وهو وليك ومولاك» .

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[البقرة:٢٥٧] .

بيان بالأخلاق في القرآن :

أولاً : الأخلاق العملية [1]

١-الأخلاق الفردية :

أولاً :الأوامر :

تعليم عام :﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣] .

تعليم أخلاقي : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة :١٢٢] .

جهاد أخلاقي :﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٤-١] .

---

(١) اعتدنا في اختيار وترتيب رءوس المواضيع في هذا الفصل وينصرف على كتاب : «دستور الأخلاق في القرآن» للأستاذ الدكتور عبد الله دراز الذي ترجمه من الفرنسية الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين .

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨] .

طهارة النفس :﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٧- ١٠] .

الاستقامة : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾[فصلت:٦] .

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[هود:١١٢] .

العفة – الاحتشام – غض البصر :﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[النور:٣٠- ٣١] .

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:٣٢- ٣٣] .

التحكم في الأهواء:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠- ٤١] .

﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[ص:٢٦] .

الامتناع عن شهوتي البطن والفرج: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ [البقرة:١٨٣- ١٨٥] .

﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَا ﴾[البقرة:١٨٧] .

كظم الغيظ: ﴿ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣- ١٣٤] .

الصدق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[التوبة:١١٩] .

الرقة والتواضع : ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان:١٩] .

الـتحفظ في الأحكـام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴾ [الحجرات:١٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[الحجرات:٦] .

اجتناب سوء الظن : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء:٣٦] .

الثبات والصبر : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ [المدثر :٧] .

﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[النحل:١٢٧] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠] .

القدوة الحسنة : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ ﴾[الأحزاب:٢١] .

الاعتدال : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[الفرقان:٦٣-٦٧] .

﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾[الإسراء:٢٩] .

الأعمال الصالحة: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف:٧] .

﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا ﴾[الملك:١-٢] .

التنافس: ﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾[البقرة:١٤٨] .

حسن الاستماع والإتباع : ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ ﴾ [الزمر:١٧- ١٨] .

إخلاص السرائر: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَـٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٤] .

ثانيًا : النواهي :

انتحار الإنسان ، وبتره لعضو من أعضائه وتشويهه : ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥] .

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[النساء:٢٩] .

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[الروم:٣٠] .

الكذب: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾[النحل١٠٥] .

النفاق: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة:٢٠٤- ٢٠٦] .

أفعال تناقض الأقوال: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[البقرة:٤٤] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[الصف:٢-٣] .

البخل: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر: ٩] .

[النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ [٣٦- ٣٧] .

الإسـراف: [الإسـراء : ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [٢٦- ٢٧] .

الرياء: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء:٣٨] .

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون:٤– ٦] .

الاختيال : ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨] .

الكبر والتعجب،والتنفخ : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٣] .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٩] .

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم:٣٢] .

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر:٨٣] .

التعلق بالدنيا: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٢٨] .

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٣١] .

الحسد والطمع : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:٥٤] .

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢] .

الأسى على ما مضى ، والفرح بما يأتي : ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٣] .

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد:٢٣] .

الزنا: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢] [1] .

تعاطي الخمر والخبائث : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠- ٩١] .

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة:١٠٨] .

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر: ٤- ٥] .

تعاطي الكسب الخبيث : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [النساء :٢٩] .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٨٨] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ

---

(١) وينبغي هنا فضلا عن هذا الجزاء المفروض على الجريمة المقترفة أن نتذكر الإجراءات الوقائية التي اتخذها القرآن في مواجهة هذا الانحلال الأخلاقي .

١-الحث على الزواج «النور:٣٢» .

٢-إباحة الزواج شرعًا بزوجة أخرى في ظروف معينة «النساء:٣» .

٣-تحريم ارتداء المرأة لأي ملابس كاشفة إلا أمام الزوج «النور:٣٧- والأحزاب:٥٩» .

٤-الأمر بغض البصر أمام مفاتن النساء :«النور ٣٠» .

٥-تحريم القذف بما لم يثبت من الفاوحش ، وفرض قاسٍ للقذف «النور: ٤ ، ١٥، ١٩ ، ٢٣، ٢٥» .

٦-النهي عن الدخول على بيوت الآخرين دون استئذان أهلها : «النور: ٢٧، ٢٩» .

٧-وأخيرًا : تحريم الخمر .

ولتذكر من ناحية أخرى أن الطريقة التي يتحدث القرآن بها عن الفساد الأخلاقي تدل على أنه يعتبره نوعًا من القتل المعجل ، ومن ثم يذكره غالبًا بين نوعين من جرائم القتل «المائدة : ١٥١، الإسراء : ٣١- ٣٣» .

سَعِيرًا ﴾ [النساء:١٠] .

سوء الإدارة :﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [النساء:٥] .

ثالثًا: مباحات :

التمتع بالطيبات :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [المائدة:٨٧– ٨٨] .

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[الأعراف:٣١-٣٢] .

رابعًا : المخالفة بالاضطرار:

﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾[الأنعام:١١٩] .

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[البقرة:١٧٣] .

٢-الأخلاق الأسرية :

أولاً : واجبات نحو الأصول والفروع :

الإحسان إلى الوالدين ، خفض الجناح لهما ، طاعتهما : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء:٢٣– ٢٤] .

احتـــرام حيـــاة الأولاد :﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣١] .

التربية الأخلاقية للأولاد وللأسرة بعامـة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ

ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾[الأحزاب:٥٩] .

ثانيًا واجبات بين الأزواج :

أ-دستور الزوجية :

علاقات محرمة :﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء:٢٢] .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾[النساء:٢٣- ٢٤] .

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٢١] .

علاقات محللة : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النساء:٢٤- ٢٥] .

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ

مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة:٥] .

خصال «مأمور» بها ومستحبة: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء:٣٤] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٨- ٢٩] .

الصداق: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء:٤] .

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [المائدة:٥] .

شروط تعدد الزوجات: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ [النساء:٣] [1] .

(١) ومن ذلك يتضح لنا كيف حاط القرآن إباحة تعدد الزوجات بالكثير من التحفظات ،ومع ذلك فليس في ألمر حظر مطلق لأن مثل هذا الحظر مناقض للفطرة .والواقع أننا نجد في كل زمان ومكان من حق الرجال من يكتفون بزوجة واحدة وآخرين أكثر اشتهاء للنساء بفطرتهم ، أليس منع هؤلاء من التزوج بأخرى في ظل شروط عادلة وشرعية إثارة لمشاعر الحقد على زوجاتهم ، حتى يتمنوا لهن الموت ؟

أليس هذا دفعًا لهم إلى خيانة خادعة ومنافقه لهن ؟ ومن ثم نسمح لهم بأن يتخذوا من الآدمية في شخص النسوة الخارجات عن الشريعة – مجرد وسيلة ، وأداة تمتع ، لا حق لها في شيء ، فتصبح باختصار من العبيد ،ومع ذلك فيبدو لنا أنه لم يحدث أن جاءت آية أخلاق موحاة بمنع متشدد في هذا الصدد ، بل لقد وجدنا العكس مباحًا ومطبقًا لدى كثير من القديسين والأنبياء في الكتاب المقدس .

ومن المحتمل أن الشعوب التي ألغت (التشدد٩ قد أخذت هذا التحريم من تقليد عنصري أكثر من دينيًا ، ولكن هل يسري هذا الإلغاء للكلمة على الواقع حقًا ؟هذا أمر مشكوك فيه ، ودعك=

ب-الحياة الزوجية :

روابط مقدسة ومحترمة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١] .

غايات الزواج:

١-سلام داخلي ، ومودة ، ورحمة :﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً ﴾ [الروم:٢١] .

٢-انتشار النوع:﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ ﴾ [النحل:٧٢] .

=من القول بأنه قد ازداد انتشارًا من الناحية العلمية ، وبطريقة أكثر ظلمًا ، وأشد انحرافًا .لدى المجتمعات التي تدينه ، بعكس المجتمعات التي تقره شرعًا .

بيد أنه مما ينطق بالتناقض أن أولئك الذين يمنعون زواج الرجل بأخرى يسمحون في الوقت نفسه بصورة عامة بالمسافحة وباتخاذ الرفيقات ، وبكل صنوف الوصال الطليق ، شرطة ألا يوقع الطرفان عقدًا رسميًا يضفي الشرعية على العلاقة .

أليس الانخفاض التدريجي في معدل المواليد ، والعدد الهائل من الأمراض الجنسية والأطفال المجرمين والعاهرات علنًا وسرًا والكثير من ضروب البؤس الماثلة – أليس هذا كله نتيجة منطقية لهذا الشذوذ في التشريع ؟

ولا ريب أننا ينبغي أن نعترف بمساوئ التعدد ، كالغيرة والمنافسة الحاقدة التي يثيرها لا بين الزوجات فحسب ، بل بين الأولاد من زيجات متعددة .

ولكن ، أليس هذا الدليل مما ينبغي أن يثار أيضًا ضد التعدد غير المشروع ؟ .. ثم ألا يحدث هذا الشقاق في الأحوال العادية جدًا بين الأولاد من زيجات متتابعة ، بل بين الأخوة والأخوات من أب وأم؟

الحق أن هذه العيوب كلها ذات طابع عاطفي ، وبوسع التربية والتأديب أن يعالجها إلى حد ما ، وهي عيوب غاية في التفاهة ، إذا ما قيست بالعقوبات الأخرى التي تشقى المجتمعات الحديثة وهو موضوع يدعو المصلحين على التفكير .

المساواة في الحقوق والواجبات: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة:٢٢٨].

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[النساء:٣٤].

تعامل إنساني: ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق:٦].

معاشرة بالمعروف، حتى في حال الكراهية: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩].

معاودة الإصلاح في حال النزاع: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[النساء:١٢٨].

التحكيم: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾[النساء:٣٥].

ج- الطلاق:

الافتراق شر مذهب: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٦- ٢٢٧].

فترة انتظار: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ [البقرة:٢٢٨].

السكنى، والمعاملة بالمعروف على أمل الصلح: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٦].

لا عدة للمرأة المطلقة قبل الدخول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ [الأحزاب:٤٩].

وبعد العدة ، فإما الإمساك بمعروف : ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾[البقرة:٢٣١].

وأما الافتراق الذي يسمح بالزواج مرة أخرى : ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[البقرة:٢٣٢].

لا غصب لشيء من المرأة المطلقة :﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء:٢٠].

لا يكون الطلاق بائنًا إلاَّ في المرة الثالثة :﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٢٩- ٢٣٠].

تعويض للمطلقات بعامة : ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢٤١].

ثالثًا: واجبات نحو الأقارب :

عطاء الغير : ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الروم:٣٨].

الوصـــــــــية: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:١٨٠] .

رابعًا : الإرث :

حق لا يقتصر على الذكور ، أو الكبار ، أم الأولاد الوحيدين :﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء:٧] .

وقد بين القرآن بعد ذلك قواعد القسمة في الآية ١٢ من سورة النسـاء وفي آخـر آياتها .

٣-الأخلاق الاجتماعية :

أولاً : المحظورات :

قتل الإنسان :﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الأنعام:١٥١] .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ﴾[النساء:٩٢] .

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣] .

السرقة :﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة:٣٨] .

الغش: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المطففين :١– ٢] .

القرض بفائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ

وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٨- ٢٧٩] .

أي اختلاس: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [الأعراف:٨٥] .

كل تملك غير مشروع: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾[النساء:٢٩] .

أكل مال اليتيم : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾[النساء:٢] .

﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ﴾[النساء:٦] .

خيانة الأمانة والثقة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٧].

الإيذاء بلا داع : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾[الأحزاب:٥٨] .

الظلم: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه:١١١] .

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[الشورى:٤٠] .

﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾[الفرقان:١٩] .

التواطؤ على الشر : ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[المائدة :٢] .

الدفاع بالأمانة وبالوعد: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾[النحل:٩١] .

الغدر والخداع: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ

وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:١٠٧– ١٠٨] .

غش القضاء وإفسادهم :﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٨٨] .

شهادة الزور:﴿ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج:٣٠] .

كتمان الحق :﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ [البقرة:٢٨٣] .

قول السوء:﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء:١٤٨– ١٤٩] .

سوء معاملة اليتيم والفقير:﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى :٩–١٠] .

السخرية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات:١١].

التجسس :﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [الحجرات:١٢] .

افتراء والغيبة :﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [الحجرات:١٢] .

سوء القصد وسرعة تصديقه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات:٦] .

القذف: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[النور:٤– ٥] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النور:١٩] .

التدخل الضار: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥] .

ثانيًا: الأوامر :

أداء الأمانة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء:٥٨] .

﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ [البقرة:٢٨٣] .

الوفاء بالعهد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة:٣٤] .

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٤] .

أداء الشهادة الصادقة: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام:١٥٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ [النساء:١٣٥] .

إصلاح ذات البين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات:١٠] .

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال:١] .

التشفع: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء:٨٥] .

التراحم المتبادل: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩] .

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٥٤] .

الإحسان:،ولا سيما إلى الفقراء: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾[النساء :٣٦] .

تحرير العبيد: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ [البلد :١٢- ١٣] .

العفو: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾[آل عمران:١٣٤] .

﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى:٣٧] .

دفع السيئة بالحسنة :﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد:٢٢] .

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت:٣٤] .

الدعوة إلى الخير ،والنهي عن الشر : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[المائدة:٢] .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

نشر العلـم : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة:١٢٢] .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران:١٨٧] .

الأخـــوة والكـــرم : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ [الحشر:٩] .

العـــدل والمرحمـــة والإحســـان: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠] .

العطاء وحب عام: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق:٧].

شروط الإحسان:

١-مصارفه: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة:٢١٥].

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠].

٢-غايته: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٢].

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة:٢٦٥].

٣-نوع العطاء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢٦٧].

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢].

٤-طريقة العطاء:

أ-الأفضل أن يكون خفية: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١].

ب-عدم الإساءة إلى آخذه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ

أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٢ - ٢٦٤].

توجيه إلى السخاء: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣].

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [البلد: ١١ - ١٦].

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِىُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

ثالثًا: قواعد الأدب:

الاستئذان قبل الدخول على الغير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُواْ فَارْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا

تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [النور :٢٧-٢٩] .

خفض الصوت وعدم مناداة الكبار من الخارج : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات:٢- ٣- ٤] .

التحيـة عنـد الـدخول : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[النور:٦١] .

رد التحيـة بأحسـن منهـا : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء:٨٦] .

حسـن الجلسـة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾ [المجادلة:١١] .

أن يكون موضوع الحديث خيرًا : ﴿ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [المجادلة:٩] .

استعمال أطيب العبارات: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء:٥٣] .

٤-أخلاق الدولة

أولاً : العلاقة بين الرئيس والشعب

أ-واجب الرؤساء:

مشـاورة الشـعب : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ

حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

إمضاء القرار النهائي :﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران :١٥٩].

إمضـاء لقاعـدة العدالـة :﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء:٥٨] .

إقرار النظام: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة :٣٣- ٣٤] .

صون الأموال العامة وعدم المسـاس بهـا : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٦١] .

للأقليات داخل المجتمع الإسلامي حريتها القانونية : ﴿ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ

ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[المائدة:٤٢ – ٤٨] .

ب–واجبات الشعب:

النظـــــام: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[الحشر:٧] .

الطاعة المشروطة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩] .

الاتحـاد حـول المثـل الأعـلى :﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣] .

﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[الروم:٣١– ٣٢]

التشاور في القضايا العامة :﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى:٣٨] .

تجنب الفساد: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾[الأعراف:٥٦] .

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة:٢٠٥] .

إعداد الدفاع العام:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٦٠] .

تجنب موالاة العدو أو التعامل معه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الممتحنة:١] .

﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة:٨- ٩] .

﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ ﴾[المجادلة:٢٢] .

﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ ﴾[آل عمران:٢٨] .

***

ثانيًا : العلاقات الخارجية :

أ-في الأحوال العادية:

الاهتمام بالسلام العام:﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة:١٢٨] .

موعظة بدعوة السلام:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥] .

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٦] .

دون إكراه:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[البقرة:٢٥٦] .

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية:٢١- ٢٢] .

ولا إثارة الكراهية : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:١٠٨] .

ترك الاستبداد والإفساد: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣] .

ترك المساس بأمن المحايدين : ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء:٩٠] .

حسن الجوار –العدالة –البر : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة:٨] .

ب–في حال الخصومة :

ترك المبادرة بالشر: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة:٢] .

عدم القتال في الأشهر الحرام: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة:٣٦] .

أو في الأماكن المحرمة : ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾ [البقرة:١٩١] .

للحرب المشروعة حالتان : ﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ

فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:٩١] .

٢-مساعدة المستضعفين : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء:٧٥] .

قتال المقاتلة وحدها : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠] .

لا هروب من ملاقاة المعتـدين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال:١٥] .

الثبات والوحدة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال:٤٥- ٤٦] .

الصـــبر والمصـــابرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

لا خوف من المـوت ، فسيأتي في أجلـه : ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران:١٥٤] .

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[النساء:٧٨] .

الخوف من مكائد الكفار ومؤامراتهم : ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة:١٩١] .

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا

وَٱلْآخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٢١٧] .

الوفاء بالمعاهدات المبرمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾[المائدة :١]

مواجهة الخيانة بحزم : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال:٥٨] .

الوفاء بالشروط ، وإن كانت مضرة غير مواتية : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل:٩١- ٩٢] .

الأخوة الإنسانية :

رباط مقدس فوق اعتبار الجنس والنوع : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات:١٣] .

٥-الأخلاق الدينية : «واجبات نحو الله»

الإيمان بالله وبما أنزل من حقائق : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ ﴾ [البقرة:١٧٧] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا

بَعِيدًا ﴾[النساء:١٣٦] .

تدبر آياته :﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] .

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص:٢٩] .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[محمد :٢٤] .

وتدبر صنعه :﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات :٢٠- ٢١] .

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف:١٨٥] .

شكره على نعمائه :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[النحل:٥٣] .

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[الواقعة:٦٣- ٧٤] .

الرضا بقضائه :﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[البقرة:٢١٤] .

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[العنكبوت:١- ٣] .

التوكل عليه : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٠] .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النور:١٢٩] .

عدم اليأس من رحمته : ﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧] .

﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجرات:٥٦] .

أو الأمن من بأسه : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف:٩٧- ٩٩] .

تعليق كل فعل مستقبل بمشيئته : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف:٢٣- ٢٤] .

عدم رد سباب المشركين : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام:١٠٨] .

تجنب مجالسة الخائضين في آيات الله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨] .

احترام اليمين متى حلف : ﴿ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ [المائدة:٨٩] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤١] .

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف:٣٦] .

تسبيحه وتكبيره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب:٤١- ٤٢] .

أداة الصلاة المفروضة : ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء:١٠٣] .

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء:٧٨] .

﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة:٢٣٨] .

حج البيت (على الأقل مرة في العمر) : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ (٩٦) فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٦- ٩٧] .

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة:١٩٧] .

دعاء الله بين الخوف والأمل: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴾ [الفرقان:٧٧] .

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠] .

التوبة إلى الله والتماس مغفرته : ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٣١] .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١١٠] .

وأخيرًا حب الله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤] .

وأن يكون حبه فوق كل شيء : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة:١٦٥] .

الفتح الثامن :

القرآن والكون والإنسان

الوصف القرآني للكون دليل على عظمة الخالق – سبحانه وتعالى – وآية عظمى على صدق هذا الكتاب الذي :﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت: ٤٢] ، وقد وجهنا القرآن إلى أن نتأمل ما خلق الله وأبدع وصوَّر لنرى في عظمة المخلوقات دليلاً على عظمة الخالق .

وهذا الكون الفسيح الذي نعيش في جزء ضئيل منه مليء بالحقائق وآيات القدرة ، قال الله تعالى :﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر:٥٧] .

والتأمل في الكون للوقوف على أسراره ونواميسه سبيل قويم للإيمان ، قال تعالى :﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية:٣- ٦] .

ولفت القرآن انتباه الإنسان إلى حقائق هذا الكون ومعالم القدرة الإلهية في أنحائه ، من ذلك قوله تعالى :﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام:٥٩] . والغفلة عن حقائق الكون ومعالمه وآياته جهل يعيبه القرآن ، لأنه دعانا إلى بناء المعرفة على البصر العميق في الكون ، والبحث المتواصل فيه ، قال الله تعالى :﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت :٢٠] .

وعشرات الآيات التي تتعلق بالكون وما فيه تلفت انتباه الإنسان إلى تأمل آيات القدرة والانتفاع بأسرارها ، فحديث القرآن عن نزول الماء بقدر ، وأنه آية من آيات الله ، يوجب على المسلم أن يقف متأملاً هذه الحقائق باحثًا عن كنهها ،

وهكذا جعل الله منه كل شيء حي في شتى المخلوقات التي تحت سمعنا وبصرنا في الكون ، قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ [النحل:٤٨] ، وقال الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١- ٢٢] .وقال تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان:١٠- ١١] .

إن على الإنسان أن يزيد من معارفه عن الكون ومادته وطاقاته ، عن كواكبه ونجومه ، عن مجراته وسدمه عن قوانينه ونظامه في الأفلاك والذرات ، عن الكائنات الحية فيه ، عن الكائنات الحية العاقلة ، عن الإنسان وبنائه العضوي والعقلي .. إلخ . على الإنسان أن يسلك طريقًا معرفيًا – نظريًا وتجريبيًا – من خلال الكون الذي يحيا في كوب من كواكبه في مجموعة من مجموعاته في مجرة من مرجاته ، فيما هو منظور له ، من أفق المنظور واللامنظور لتزداد معرفته بالمخلوقات وبالتالي بالخالق . يقرأ آيات الكون المسطورة بأحرف من نور في كتاب الوجود ، يلج بعقله وبروحه آفاق هذا الكون الفسيح الممتد وآفاق نفسه من كونه ، ليرتقي في معارج المعرفة والعلوم ويقترب من معرفة معاني الإله الحق بتجليه في صفاته بعيدا عن الأوهام والتخيلات والتصورات القاصرة ، وعلى أساس من الحقائق المقررة بواسطة النشاط العقلي المؤمن المستمر في تعامله مع قوانين المادة وقوانين الطاقة وقوانين الأحياء التي وضعها الله بيقين العلم والشهود .

ما ذكرناه هو أمثلة فقط من الموضوعات التي تناولتها آيات القرآن العظيم

والتي تشمل مسائل وموضوعات وأمور أخرى كثيرة غيرها من مثل رفع السماء بغير عمد (الجاذبية) وإمساك السماوات والأرض أن تزولا (طاقة الربط)ونظام المجموعة الشمسية وموقع كوكب الأرض التي وضعها الله للأنام وسبح أي سير الشمس والكواكب في أفلاكها بانتظام في نظام محكم ومنازل القمر وتأثيره في المد والجزر واعتباره نور لا يضيء بذاته أي بطاقة ذاتية وإنما يستمد من الشمس السراج المنير .وأبواب السماء ما هي وما معناها ؟ وقدرات الإنسان العقلية وصلتها بالحواس والإدراك وصلتها بالحواس والإدراك الزائد على الحواس وظواهره المختلفة (E. S.P) والخلق والخلق الإنساني كيف بدأ وكيف يكون عن طريق التكاثر الجنس والتكوين الخلوي من النطفة من المني عند الذكر ..والعلق الذي يلعب الدور الأساسي في عملية حمل المرأة وعملية التكون الجنيني للطفل داخل رحمها (بداية سورة العلق أول ما نزل من القرآن) وكما يقول الدكتور المهندس محمد الحسيني إسماعيل في كتابه «الحقيقة المطلقة» (فعلقة يعني الحيوانات المنوية للرجل فهي كالعلق أي الدود الرفيع «هذه حقيقة علمية»وعندما يتثبت الحيوان المنوي ببويضة الأنثى فقد «علق» بها «وهذه حقيقة علمية ثانية» وعندما تتثبت البويضة الملقحة بجدار رحم المرأة فقد «علقت» به «وهذه حقيقة علمية ثالثة» وعندما تبدأ البويضة الملقحة في الانقسام تأخذ شكل قطعة الدم الغليظ أو الدم الجامد وهذه «علقة أيضًا» « وهي حقيقة علمية رابعة » وهكذا فالقرآن المجيد يستخدم الكلمات الجامعة التي تنطبق على الجزئيات والكليات معًا وهذا هوالفارق بين الفكر البشري المحدود والفكر الإلهي اللامحدود) .. انتهى .

وتناولت الآيات القرآنية التطوير في الخلق الجنيني حتى (الخلق الآخر) فيما هو ممنوح للإنسان من قدرات وطاقات (اللروح) ولكن وما هي الروح ؟ ..

لا نعلم على الوجه الكامل الصحيح والدقيق لأن علومنا مازالت قليلة لا ترقى إلى المستوى الذي يؤدي بنا إلى المعرفة بذلك .. ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥] .

ثم الظاهرة الخاصة (بالبحر اللجي) أي العميق وما فيه من أمواج مرتفعة ارتفاعًا هائلاً في أعماقه وما يعلو ذلك من أمواج سطحية ، وكما ذكر القرآن العظيم :﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور:٤٠] . وفي وصف للنبي ذكر حقيقة أن تحت البحر نار وتحت النار بحر في أعماق المحيط كما في المحيط الهادي في أعماقه البعيدة جدًا على سبيل المثال.

وأذكر الحالات التي يتعرض لها الإنسان الذي يحضره الموت الفيزيقي أو الإكلينيكي ..وهي حالات لا تنطبق عليها القوانين الفيزيائية المعروفة للعلماء ..وقد عرفها الدكتور / رايموند مودي[1] في كتابيه «الحياة بعد الموت» (LIFE AFTER DEATH) «والحياة بعد الحياة» (REFLECTIONS ON LIFE AFTER LIFE) ويقول عنها القرآن العظيم.

وكما في يوم الوعيد الذي يكون فيه النفخ في الصور – وحقيقته غير معروفة –: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق:٢٢] [2]. ثم أذكر باختصار ما يقوله القرآن العظيم عن (الذرة –)أساس البنية الكونية المعروفة .

القرآن والذرة :

تناولت آيات القرآن المجالات التي تبحثها ميكانيكا وفيزياء الكم

(١) (RAYMOND MOODY) في تجارب الموت الإكلينيكي .

(٢) تحدثنا عن الظواهر المصاحبة للموت الإكلينيكي كما ذكرها الدكتور : رايموند مودي في كتابه ، وذلك في كتابنا «الإسراء والمعراج وعلوم العصر» وناشره دار الكتاب المصري اللبناني .

والمجالات التي تبحثها النسبية العامة ،وهي الكائنات والأشياء اللامتناهية في الصغر والكائنات والأشياء اللامتناهية في الكبر وكلاهما أساس البنية الكونية وكلاهما داخل في محتوى علم الإله الخالق الشامل الواسع والمحيط الذي يسع كل شيء جملة وتفصيلا في جزئياته وكلياته ، فقد استعمل القرآن العظيم حقيقة «الوزن الذري» في سورة الزلزلة حين يقول : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، وذلك عند ميزان أعمال كل إنسان التي يحاسب عليها يوم القيامة ،وكذلك أشارت الآيات إلى الجزئيات والحبيبات الدقيقة الأصغر من الذرة المكهربة في تكوينها الداخلي في أعماقها فيما مثلاً مالا كتلة له كالفوتون وغيره وفي نفس الوقت أشارت الآيات إلى الكائنات والأشياء الامتناهية في الكبر نذكر في سورة لقمان مثلاً : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:١٦] . ، وذكر في سورة الأنبياء: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧] . وذلك أنه إذا نسبنا مثقال حبة الخردل فيحجمها ووزنها إلى (صخرة) فإ، الأمر قد يمكننا قياسه أو غدراكه أما إذا نسينا مثقال حبة الخردل في حجمها ووزنها إلى (الأرض) فإن الأمر يصعب أن لم يكون يستحيل قياسه أو إدراكه .

أما إذا نسبنا حجم وزن مثقال حبة الخردل إلى (السماوات) أي الكون في اتساعه الشاسع فإن المر يكون فوق كل قياس أو إدراك أو تصور أو تخيل أو افتراض نظري وتفسيره حينئذ لا يخضع لاعتبارات فيزيقية بحتة .

وفي كل ما سبق يقول القرآن العظيم : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ يونس:٦١] . ، فالآية تشير

إلى موجودات أصغر من الذرة من مثل ما اكتشفناه مؤخرًا فقط من البروتون والنيوترون والفوتون والكواركس وغيرها مما يدرس في ميكانيكا وفيزياء الكم (Quantum) وضمن (Highenergy – Particle Physics) فيما تخصص وتفوق فيه العالم الكبير مؤلف كتاب «موجز تاريخ الزمن»[1] وترجع فكرة أو مفهوم الذرة إلى الفيلسوف اليوناني ديموقريط (Democritus) (٤٦٠– ٣٧٠ ق . م) الذي كان يعتقد أن الجسم يتألف من أجزاء صغيرة لا تنقسم أي ذرات لا تتجزأ ولا ترى بالعين .

وأقول عن كوننا الذي نعيش فيه ونعايشه أنه يختلف عن الكون الذي تعايشه الكائنات الروحية النورية أو يعايشه الإنسان في البرزخ بروحه الطليقة أو ربما المقيدة حسب أعماله في الدنيا وذلك لاعتبارات الاختلاف بين المادي وبين اللامادي الروحي أو النوري وما يتعامل فيه كل منهما من ماديات وقوى وطاقات وخواص وخصائص النور المختلف عن المادي والمغاير لوجودنا وأن كنا لا نرصده أو نراه كما في حياة البرزخ : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠] ، والبرزخ هو الحاجز بين الحياتين والوجودين الدنيوي والأخروي ..

وعلى ذلك فقد استعمل القرآن العظيم «الذرة» كوحدة قياس في الصغر ووحدة قياس في الوزن فذكر أن رمز الصغر المطلق في الكون هو الذرة وهو رمز عام أو شامل أو مشترك أو مطلق في القياس في الكون كما في الوزن الذري هو المقياس الرمزي للإحاطة بسلوك الإنسان كله ، وكل تفاصيله ساعة الحساب يوم القيامة . وأخيرًا يحدثنا القرآن العظيم عن جزئيات الذرة الأصغر من وحدتها الكلية وذلك عند الحديث عن الحجم الذي وقوله :﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ في

(١) البروفسور الراحل عن دنيانا «ستيفن هوكنج».

سورة يونس أي من مثقال الذرة . فالعلماء كانوا عاجزين عن رؤية الـذرة مباشـرة ولكن أمكن للعلماء فقط إدراك صفاتها وفهم مميزاتها وتفاعلاتها مع الضوء ولكن في مرحلة زمنية سابقة أسيء فهم مقاصد وغايات النظرية الذرية (Atomism) مـن قبل البعض الذين اعتبروها مقابلة للإلحادية المادية ولم يتم بحث النظريـة الذريـة أو إحياؤها بصورة جدية إلا في العصور الحديثة (القرن ١٦ عـلى وجـه التقريـب) وإذا كان العلماء لم يتمكنوا من رؤية ورصد الذرات وهي في حالة حركة وفي النهاية ثبت أن مفهوم ترابط الجزئيـات والـذرات مفهـوم أساسـي في علـم الفمتوكيمـاء باعتباره المفتـاح الرئيسـي في التعـرف عـلى دنيـا الجزئيـات والـتحكم فيهـا عـلى المستوى الذري واكتشف عندها الدكتور أحمد زويـل أن ذلـك يكـون باسـتخدام تقنيات تعتمد على استخدام الليزر وتمكن بكاميرا معينة أدق من اجهزة ليزر بيكـو ثانية (وهي جزء من ألف بيكو من الثانية) من رصد الذرات وهـي في حالـة حركـة وهكــذا ولــدت علــوم جديــدة مثــل «الفيمتوكيمــاء» و«الفيمتوبيولوجيــا» و«الفيمتوثانية» التي ساهمت في تـرويض المـادة وقيـاس الـزمن ، وبرهنـت هـذه العلوم أن الجزئيات يمكنها أن تتحرك حركة مترابطة ومنتظمة لا تشـوبها شـائبة . وتعتبر فكرة قياس الزمن وتسجيل الأحداث وترتيبها ومراقبـة ديمومتهـا في العـالم الطبيعي إنجاز علمي .

وأنه مع التسليم بأن الآيات الكونيـة في القـرآن العظـيم قـد وردت في معـرض التذكير بقدرة الله وبديع صنعه فإنها تبقى بيانًا مـن الله تعـالى خـالق الكـون ومبـدع الوجود وهي لذلك كلها (حق مطلق)يؤمن به الراسخون في العلم ، كما هو يقول، ولذلك فإن قوانين الطبيعة وسننها في الكون تنسجم معها ،وكـذلك تنسـجم معهـا معطيات العلوم الحديثة فيما تفيد الآيات من (اليقين) عـن حقـائق الكـون وفيمـا تتميز به من الدقة المتناهية في التعبير والثبات في الدلالة والشمول وبحيـث تتميـز الدلالات القرآنية بالسبق إلى الحقيقة الكونية قبل أن تدرك الكشوف العلمية شـيئًا

منها قرونًا طويلة مع العلم أن العلماء يتحدثون عن نظريات (THEORIES) يصوغونها بينما القرآن يتحدث عن حقائق (FACTS) تصوغها آياته . فإذا تحدثنا –مثلا– عن النظريات الفيزيائية فإنها يجب أن تكون دائمًا متسقة مع نفسها – (SELF CONSISTENT) لأنها إن لم تكن كذلك أي كانت غير متسقة مع نفسها (SELF INCONSISTENT) أو بها مضامين متناقضة فوفقًا للفيزياء العامة والرياضيات فإن هذه الأمور هي العامل الذي يقضي على النظرية الفيزيائية مهما كانت صحة النتائج الجزئية الناتجة عنها .

هذا وأنه ليست هناك حقيقة علمية مطلقة تثبت باليقين الحق إلا وهي متفقة ومتوافقة مع نظيرها الذي تشير إليه آيات القرآن العظيم بل إننا نقول باليقين أن آيات القرآن العظيم تضفي الثبات والشمول والحق في المحتوى والحقيقة في المعنى المعلوماتي على المعلومة العلمية المتكشفة في الطبيعيات والكونيات والإنسانيات في معناها العام ودلالاتها وذلك لسبب بديهي وطبيعي بسيط قلناه من قبل وهو أن مفردات الكون والطبيعة ركبها الله تعالى الخالق على أساس علمه الذاتي في قرآنه الذاتي (قرآن الذات الإلهي) الشامل والمحيط بكل ما هو مخلوق وكائن وموجود في هذا الكون بسماواته وأراضيه ما ندركه منه وما لا ندركه ، فيما ترصده فيه وما لا نرصده ،ويمكننا أن نقول مع ذلك أن الإعجاز العلمي هو أحد أوجه الإعجاز العديدة في كتاب الله الخاتم ، القرآن العظيم .

ومع ذلك أحب أن أكرر أن القرآن العظيم لا يتناول تفصيلات كل علم بما يتناوله من حقائق وتفاصيل ونظريات ومسائل وفروض ودقائق ، إذ ليس من طبيعة ذلك باعتباره دعوة وحجة فهو يهيئنا نحو الحق ويدعونا في ذلك إلى الأخذ بالعلم واحترام العلم والعلماء والاستزادة من العلم ، كل أنواع ومجالات العلم ، والمستخدمة في إطار عقائد وأخلاقيات الدين وقيمه الروحية وفيما ينفع ويفيد ولا يضر أو يفسد .

وحينما نزلت الآيات الكونية في القرآن العظيم منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة تتكلم عن السماوات والأرض وطبقاتها وجبالها وحيواناتها ونباتاتها ..إلخ والنجوم والكواكب والذرات وجزئياتها وعن بدء الخلق وعن خلق الجنين وتكوين الإنسان .. إلخ لم تكن علوم الفلك (الحديث) معروفة ولا علوم الذرة ولا علوم البيولوجيا والتشريح ولا علم الأجنة والفسيولوجيا والإنثروبولوجيا وغيرها إلخ .. معروفة كما هي معروفة حاليًا في عصرنا ولذلك يقول المرحوم الدكتور مصطفى محمود في كتابه «حوار مع صديقي الملحد» في فصل عنوانه «القرآن لا يمكن أن يكون مؤلفا»[١] . «لم يتعرض القرآن لهذه الموضوعات بتفصيل الكتاب العلمي المتخصص لأنه جاء في المقام الأول كتاب عقيدة ومنهج وتشريع . ولو أنه تعرض لتلك الموضوعات بتفصيل ووضوح لصدم العرب بما لا يفهمونه .. ولهذا لجأ إلى أسلوب الإشارة واللمحة والومضة لتفسرها علوم المستقبل وكشوفه بعد ذلك بمئات السنين وتظهر للناس جيلا بعد جيل كآيات ومعجزات على صدق نزول القرآن من الله الحق » وهو الذي يقول : ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص:٨٨] .انتهى

الدراسة التي أعدها موريس بوكاي

وأختتم هذا الفتح بالإشارة إلى الدراسة المتعمقة والموضوعية التي أجراها الطبيب الفرنسي موريس بوكاي (MAURIECE BUCAILLE) رحمه الله وأخرج بها كتابه الشهير «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم» (LEBIBLE LECORANET ET LA SCIENCE)[٢] متضمنًا دراسة موضوعية للقرآن العظيم في ضوء

(١) يمكن للقارئ الرجوع إليه إن شاء .

(٢) الذي ترجم من الأصل باللغة الفرنسية إلى اللغات العربية والإنجليزية الصربكرواتية والإندونيسية .

المعارف العلمية الحديثة ، وباللغة العربية التي درسها وأجادها الدكتور / بوكاي وخرج من دراسته بنتيجة أساسية وهي أن القرآن يثير وقائع كثيرة ذات صفة علمية وأنه لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن ، العلمية من وجهة النظر العلمية ويقول في كتابه : «ويفضل الدراسة للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العهد الحديث » انتهى ..

ومن الضروري أن ننوه أن القرآن الكريم كتاب منزل من خالق الكون العليم بأسراره وقوانينه وسننه ونواميسه لأنه هو الذي أبدعها وأوجدها وجعلها فاعلة ولذلك فمن العبث أن نعقد سباقا لا معنى له ولا يصح بين القرآن العظيم وبين علوم البشر لأنها حتى وإن بلغت في زماننا شأنًا عظيمًا ومبلغًا عاليًا وآفاقًا شاسعة فهي ليست إلا (شيئًا) ضئيلاً وبسيطًا من علم الله الشامل الكامل والمحيط بكل شيء وكما يقول القرآن ذاته :﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ آية الكرسي .وكذلك كان السير جيمس جينس (الفلكي الكبير صاحب كتاب «الكون الغامض» متعجبًا ومندهشًا بما جاء في القرآن العظيم : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ وقال بشأنه : «شهادة مني أن القرآن كتاب موحى من عند الله .لقد كان محمد أميًا ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه ولكن (الله) هو الذي أخبره بهذا السر .. مدهش .. وغريب وعجيب جدًا »[1] .

(١) عن مجلة (نقوش) الباكستانية وكما جاء في كتاب «كيف نتعامل مع القرآن العظيم» لفضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي .

الفتح التاسع:

من آفاق التفكير العلمي في القرآن

العلم يقوم على الحقائق ، ويصل الإنسان إلى الحقائق حين يتمكن من أداوت المعرفة والبحث العلمي ، وحيث يكدُّ عقله في قوة الملاحظة ودقة المشاهدة ، وعمق التفكير ، وداوم التدبر والتأمل .

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يظهر له بوضوح أنها أسست للتفكير العلمي ، وحثت عليه ، وكذلك ألسنة النبوية المظهرة ، ولنا أن نتأمل المحاور القرآنية التالية التي يظهر فيها أسس التفكير العلمي .

***القرآن يعرض الحقائق بأسلوب علمي واضح :**

فكثير من آيات القرآن جاءت في صورة مقدمات تؤدي إلى نتائج ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل:٩٧] .

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق:٢].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[الطلاق:٣] .

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾[التغابن:١١] .

﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾[النساء:١٢٣] .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾[الزلزلة:٧] .

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[الشمس :٩- ١٠] .... إلخ .

***محاربة القرآن للتقليد الأعمى :**

قال الله تعالى :﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ

كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٠] .

وقال تعالى : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة:١٦٦] .

***الواقعية والموضعية :**

فالإسلام دين الفطرة ، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم :٣٠] .وقال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

***اعتماد القرآن على أسلوب الحجة المنطقية والإقناع العقلي حتى في أعظم ما في الوجود ، وهو الذات الإلهية :**

وذلك فيمثل قوله تعالى :

﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف:٥٩] .

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان:١١] .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم:٤٠] .

***الآيات التي تعدد مظاهر القدرة الإلهية لتكون دافعًا للإيمان بالله مثل :**

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر:٤٠] .

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[النمل:٦٠] .

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾[الملك:٢١] .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان:٤٥] .

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص:٧١] .

***تزكية القرآن للعقل :**

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣] .

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤] .

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد:١٩] . أي الذين يتعمقون في لب الأشياء .

***حث القرآن على التفكير والتأمل والتدبر :**

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:٣، ٤] .

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١] .

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢] .

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد :٢٤] .

***يثير القرآن في النفس روح التأمل والملاحظة العلمية لقراءة مظاهر القدرة في كون الله المفتوح :**

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت:٢٠] .

﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ ﴾ [الملك:٤] .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [النحل:٤٨] .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [الرعد:٤١] .

***القرآن يلفت انتباه الإنسان إلى أدوات الحس والبحث والإدراك ؛ السمع والبصر والفؤاد:**

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء:٣٦] .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦] .

***القرآن يحارب الخرافة ويستبدلها بالعلم :**

وذلك حين أراد الله – عز وجل – أن يظهر تأييده بالمعجزات لسيدنا سليمان – عليه السلام– فكانت الغلبة لمن عنده علم الكتاب ، قال تعالى :

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل:٣٩– ٤٠] .

***القرآن يحارب العشوائية :**

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩] .

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق:٣] .

ومن ذلك تقدير النبي ﷺ لعدد من المشركين في غزوة بدر من سؤال الغـلام : كم ينحرون في اليوم ؟

إن القرآن العظيم لم يتنزل من الله بالرسالة الخاتمة على النبي الخـاتم داعيًـا إلى إنكار أو رفض أو تجاهل أو إغفـال دور القـوانين الماديـة في الطبيعـة (الفيزيائيـة وغيرها) لأنها قـوانين وسـنن وضـعها الله الخـالق وأعطاهـا فعالياتهـا وتأثيراتهـا ولذلك فهي لا تتغير ولا تتبـدل ولا تتحـول وتؤكـد آيـات القـرآن ثبوتهـا وثباتهـا ومتصالحًا معها لا متحديًا لها فيقـول : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب:٦٢] ويقول : ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر:٤٣] فالله كما يقول القرآن العظيم هـو :﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى:١ – ٣] . وهي حجـة موسـى النبـي عليـه السـلام التـي حـاج بهـا فرعـون مصـر في وقتـه :﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه:٥٠] .وهذا الهـدى مـن الله في خلقـه يلاحـظ واضـحًا في الخلايـا في الإنسان وهي التي تعرف الوظائف المطلوبة منه وتؤديهـا مـن تلقـاء نفسـها كمـا هداها إليها ربها الله المتحكم والمسيطر والموجـه والهـادي بسـر منـه لا زلنـا لا نعرفه. ربنا : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه :٥٠] .

كما وأن القرآن العظيم لا يحدثنا فقط عن قوانين الله وسـننه في الطبيعـة وإنمـا يحدثنا أيضًا عن قوانينه وسننه في الناس والأمم وآجالهم والأحداث المتعلقة بهـم

إيمانًا وكفرًا فيتحدث مثلا عن (سنة الأولين) كما في سورة الأنفال والحج والكهف والأحزاب وفاطر والفتح ويتحدث عن :﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦ﴾ [غافر:٨٥] وعن﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُ ﴾ [الفتح :٢٣] وعن :﴿سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [النساء:٢٦] . يبينها الله لنا ويهدينا إليها لمعرفتها والاتعاظ والتدبر كما يقول :﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران :١٣٧] .

إن الوجود الطبيعي المخلوق يسير وفق سنن وقوانين نافذة وفاعلة ودائمة بأمر ربها وموجدها لا يغيرها الله ربها أي لا تحويل ولا تغيير لها ولا تبديل إلا في حالات يقضيها الله الخالق متى شاء وكيف شاء كما في معجزات الرسل لأن الوجود الطبيعي المخلوق لا يوجد ولا يتحقق ولا يكون ولا يسير في أحداثه وفي إيجاد كائناته ومخلوقاته من خلال عشوائية أو صدفة أو حظ أو فوضى أو تضارب أو تعارض أو اختلاف يمنع أو يوقف أو يبطل أو يعطل فاعلية القوانين والسنن وقواها وطاقاتها الفاعلة بأمر الله والتي هي تعبير عن إرادة وأمر وقدرة وحكمة وتدبير وتوجيه وتصريف وسيطرة وإمساك من الله الأكبر الخالق لكل شيء بتصميم ذكي وحكمة بالغة بادية وبرهان بشرى وفاعلية إيجابية صانعة وموجدة وخالقة من تجليات طاقات وقوى الأسماء الحسنى والصفات العلى لله الجامع لها في وحدتها وتوحدها والمتصف بها في أحديته وواحديته ووحدانيته وحيث كل حادث يحدث بقضاء من قدر مقدور وعلم أزلى أبدي مستور ويتحقق وينفذ بسر الكلمة (كن) فيما كان وما هو كائن وما سيكون بإرادة وأمر وقدرة وطاقة لا تحدهم أبعاد ولا يعوقهم أنداد ولا يعجزهم صنم أو وتن في إلحاد ولا شركاء في الخلق والإيجاد .. ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ [القمر:٤٩] . ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢] . فالوحدة في الوجود والموجودات وسلوكها هي السمة الواضحة البادية والثابتة وهي حقيقة (التوحيد)

في العقيدة في الله وفي كل شيء وكافة رسالاته الدينية التي بعث الله بها أنبياء ورسله وختمها محمد رسول الله وما أوحى إليه ربه من القرآن العظيم خاتم الكتب الإلهية لهداية الناس بالحق والنور والفرقان وهو: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩] .

ولكن هذه السنن والقوانين في الكون التي وضعها الله الخالق تحكم الكون وتنظمه بإرادة موجدها وأمر خالقها الذي حدد لها بسر الكلمة الآمرة فعالياتها وخواصها وتأثيراتها المستمرة الدائمة وفق إرادته وأمره .

كونيات وإنسانيات في القرآن :

لقد تناول القرآن العظيم الكثير جدا من المسائل والموضوعات التي لا زالت تحتاج إلى تفسير وتوضيح وتأويل بالتعمق في أسرارها ومعانيها وحقائقها الظاهرة والباطنة لإلقاء المزيد من ضوء المعلومات عليها وربما يعاون في تبينها ما يتوفر حاليًا من معلومات في علوم عند العلماء المؤمنين أو ما قد يتوفر لديهم من معلومات وعلوم في المستقبل ، واذكر من هذه المسائل والموضوعات التي تناولتها آيا القرآن العظيم وعلى سبيل المثال فقط وليس الحصر الذي يصعب جدًا ما يلي :

١-حالة وواقع عدم الموت وعدم الحياة .. كما في جهنم التي (لا يموت فيها الإنسان ولا يحي) كما يقول القرآن العظيم .

٢-بيان التفاوت في السرعات والمقدرة على الانتقال والحركة .. والزمان في مجيء يوم القيامة وأمر الساعة كلمح البصر أو هو أقرب .

٣-ما يقرره القرآن من اختلاف الزمان والتوقيت والواقع في سورة أهل الكهف ..وقد خصصنا لها كتابًا مستقبلاً ينشر قريبًا إن شاء الله .يوضح توافق

النتائج في مفارقة التوأم لأينشتاين (TWIN PARADOX) مع دلالات آيات أهل الكهف في أحد مفاهيمها العديدة .ثم مفهوم ومعنى﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ أي أهل الكهف النيام .

٤-الذاكرة وكيف ولما يتذكر الإنسان شريط حياته عندما يأتي الله بجهنم .. وأسرار العقل المصاحب للمخ ومصدره الروحي (النفخة) .

٥-الكتاب الذي يلقاه الإنسان منشورًا عند الحساب يوم القيامة لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .. إلخ .. ما هو وكيف يكون .. وصلته بالمخ والذاكرة .. إلخ .

٦-سر ظهور الإلوهية والربوبية عند (الطاقة) كما حدث مع نبي الله موسى الذي رأى نار ونورا في سيناء مصر وعند الشجرة . وأسرار تجلي الربوبية والإلوهية عندها : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾[طه:٩- ١٤] .

٧-معاني الآية ٣٥ من سورة النور ..﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ ؟ والتي تشير إلى المخ والعقل القلب (CORE) والوعي والإدراك (وسنتحدث عنها لاحقًا) والشجرة الموقدة وهي الكهرومغناطيسية حسب علمنا .

٨-الوفاة حين الموت وحين النوم.. وصلتها بالوعي الإنساني .. وما هي أسرار النوم وكيف يقترب من الموت .. وكيف يقترب الاستيقاظ من البعث ؟ وكيف يكون الإمساك والإرسال للنفس؟ وصلتهما بالعقل والوعي وانعدام الوعي واللاوعي وصلة ذلك بالنفس .

٩-طبيعة الإعصار .. والإعصار الذي فيه نار .

١٠-ما هي النفس الواحدة وهل هي النطفة من المنى .. وهـي الخليـة الحيـة الواحدة وهي النطفة من الذكر ؟ .. والتناسل الإنساني والإخصاب وطبيعة السائل المخصب والبويضة التي تعشش في جهاز الأنثى التناسلي وظهور الجنين في الرحم .. إلخ .

١١-منطق الطير .. ما هو..كيـف يكـون .. ومـا أصـله أو مصـدره ؟ ومنطـق الحشرات من مثل النمل ، ونحن نعلم الآن أن عـالم الحشـرات حافـل بدراسـات مستفيضة عن لغة النمل ولغة النحل والهداية عند الطيور والحيوانات مثل الثعلب والكلب والذئب والقرد والفئـران .. إلـخ . وهـم أمـم أمثالنـا كمـا يقـول القـرآن العظيم.

١٢-تصريف الرياح .. كيف ثقل السحاب الثقال ثم كيف تنـزل المـاء الـذي يُخرج من كل الثمرات وكيف يكون ذلـك دلـيلاً عمليًـا عـلى قـدرة الله في البعـث وإخراج الموتى من القبور ؟

١٣-فالق الحب والنوى ..كيف يكون ؟وفلق الإصباح ..وإخراج الحـي مـن الميت وإخراج الميت من الحي ..ما هو وكيف يكون ؟

١٤-مجموعتنا الشمسية وبنيتها والظواهر الطبيعية في كوكب الأرض وما هي بنيته ؟وكيف وضعه الله للأنام ؟ وكيف وضعه في مكانه المناسب وبعده المناسـب عن الشمس.

١٥-زيادة البسطة في الخلق للإنسان ..كيف يكون وما هـي العوامـل الوراثيـة التي تؤدي إليه ؟وكبر العمر وأرذله وتأثيراتـه عـلى المـخ والعقـل ، وعـلى نشـاط الإنسان .

١٦-مواقع النجوم وأنواعها وطاقاتها ومجموعات نظمهـا في كوننـا وأبعادهـا

وخواصها وخصائصها .. وكل شيء عنها .. في حياتها وموتها .. والثقوب بأنواعها وموقعها والتي يشير القرآن إلى واحد منها في (النجم الثاقب) أي الذي يحدث ثقبًا.

١٧-الذرة .. والجزيئات الأصغر منها التي تدخل في تكوينها .ز خصائصها وخواصها وطاقتها عند الالتحام أو الانشطار .. إلى غير ذلك .

١٨-ما هو موضوع .. «لو يعمر الإنسان ألف سنة »الذي جاء في الآية ٩٦ من سورة البقرة ..وما هو علم الهندسة الوراثية .. الذي ربما قد يمكنه إطالة عمر الإنسان .. ولكنه لا يقضي على الموت وقد تؤدي نتائج تجارية إلى الأحسن أو إلى الأسوأ .

١٩-ما معنى «الخلق».. وهل يمكن خلق شيء من العدم ؟كما يخلق الله من العدم؟وهل من يخلق كمن لا يخلق ؟

٢٠-إمساك الله للسماوات والأرض أي الكون من أن يزولا أو يزول .. وما هو سر الإمساك ، ومعناه وأسبابه .. ؟ وقوة أو طاقة الربط في الذرة .

٢١-جهنم لا تبقي ولا تذر .. ما هو معنى ذلك ؟ وكيف يكون .. وهل لذلك مظاهر في حياتنا الدنيا والكائنات فيها ذات الطاقة على الإحراق والانصهار والذوبان للأشياء .. بما فيها الإنسان ؟

٢٢-الخلود .. والزمان معه .. كيف يكون ..وحقيقة الموت والحياة في الدنيا وسماته في البرزخ وفي الآخرة .. والتنكيس في الخلق عند بلوغ أرذل العمر .. وتناقص القدرات العقلية والعلمية والجسدية في مراحل من الشيخوخة وتقدم السن.

٢٣-الآيات في المجموعة الشمسية ..السماوات والأرض .. والسماوات العُلى .. واختلاف الليل والنهار .. والظل والحرور ..وما هي إمكانيات الأرض

فيما وضعها الله للأنام ..وحياة البشر وسائر المخلوقات فيها ..

٢٤-الانفعالات والمشاعر والأحاسيس مثل الضحك والبكاء (وأنه أضحك وأبكى) كيف ولماذا تكون ؟ وكيف ترجع إلى الله كما يقول القرآن العظيم من خلال (مثل نوره) الذي ورد في سورة النور عن الإنسان ..وإلخ .وما يتصل فيه بالكهرباء والمغناطيسية بقطبيها الشمالي والجنوبي وهي (الشجرة) وقود المخ من نور لم تمسه نار يضيء الزجاجة (وهي المخ) بمصباح هو(العقل) والمذكورة في السورة بأنها لا شرقية ولا غربية .. إلخ (جيمز ماكسويل والكهرومغناطيسية) .

٢٥-الخلية الحية .. والخلية الجنسية والخلايا العصبية .. تكوينها ومنشأها وخواصها ونموها وتكاثرها وتخصصها ودورها في إكمال البنية الإنسانية ..وهي النفس الواحدة في القرآن .

٢٦-خواص وخصائص وفوارق القلب (CORE) والفؤاد واللب والنهى بالنسبة للعقل والوعي والإدراك ..

٢٧-مساكن وبيوت النمل والنحل .. نظامها وما توفره من حماية وعمل مشترك جماعي وغذاء نافع ومفيد (النحل / العسل) حسب الأماكن والظروف المناخية المختلفة في المواسم .

٢٨-أضرار البرودة التي يقول عنها القرآن بالنسبة لإبراهيم عندما ألقى في الخندق ليحرق .. (بردًا وسلامًا على إبراهيم) ..وكيف يكون السلام ضروري مع (البرودة) الشديدة .

٢٩-البعد الكامل لحقيقة كون الله نور السماوات والأرض (الآية ٣٥من سورة النور) ومثل نور الله ..و يشمل هذا البعد كيف يوقد أو يضيء (المصباح) وهو(العقل) في الزجاجة الهشة وهي (المخ) ثم (الشجرة) التي يوقد منها

المصباح أي العقل وكلها في (المشكاة) وهي الدماغ .. إلخ .. وكيف يتولد الوعي والعقل من خواص طاقة النفخة الروحية من مصدرها الرباني ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ بعد التسوية الهيكلية للإنسان في كل مكوناته الخارجية والداخلية والظاهرة والباطنة وأهمها (المخ والقلب والجهاز العصبي المركزي وسائر الخلايا العصبية... إلخ) والأساس (الخلوي) لذلك وصلة الحالات النفسية والعقلية للإنسان بالمخ وسلامته وصحته وما يترتب على اعتلال المخ من أضرار مرضية تؤثر على الإنسان في التكيف مع البيئة الاجتماعية وعلى أنماط التفكير والسلوك والتصرفات في الواقع والعلاقات بالآخر (الهلوسة والجنون والسفه والعته .. إلخ) .

٣٠-كيف يتكيف الإنسان مع الليل والنهار (الليل لباسا) (ونومكم سباتا) (الليل لتسكنوا فيه) و(النهار مبصرا) و (النهار معاشا) ..إلخ.

٣١-تأملات القرآن في السماوات وتعددها والسماوات العُلى والخلق الوسط بين السماوات والأرض .. وهو ما دلَّ العلم الحديث على وجوده ..وكيف٥ تم ترتيب نظم النجوم والكواكب والموضوعة في مراكز توازن .. وشرح إسحق نيوتن الثبوت الدائم لهذا التوازن في قانونه عن جاذبية الأجرام (سورة :ق ولقمان والرعد والحج ويونس .. وغيرها في القرآن العظيم).

٣٢-الفرق بين ضوء الشمس ونور القمر والكواكب ..ومدارات النجوم والقمر والكواكب ..واكتشاف كوبرنيكوس في القرن السادس عشر عن خطأ (مركزية الأرض) وهو المفهوم الذي كان سائدًا بالخطأ منذ بطليموس .

٣٣-توسع الكون وامتداده وابتعاد المجرات عنا بسرعات هائلة .. (الآية ٤٧ من سورة الذايات) في القرآن العظيم .

٣٤-الآيات التي تتحدث مثلاً عن :

١-دورة الماء والبحر (ومختلف النظريات العلمية ومنذ القرن السابع قبل الميلاد) والتوافق بين معطيات علم الهيدرولوجيا الحديث وبين كثير من الآيات القرآنية ، (كما مثلا في الآية ٢١ من سورة الزمر والآية ٤٣ من سورة النور والآيات من ٦٨ حتى ٧٠ من سورة الواقعة) ، هذا وليس في القرآن أي آية عن البحار ترجع إلى معتقدات أو أساطير أو خرافات كانت سائدة في عصر تنزيل القرآن العظيم وقبله .

٢-تضاريس الأرض :

وتقول آيات القرآن العظيم أن الطريقة التي خلقت بها الجبال موائمة للثبات وذلك يتفق تمامًا مع معطيات علم الجيولوجيا (سور نوح والذاريات والغاشية والنبأ والنازعات .. وغيرها)

٣-الطبقة الجوية المحيطة بالأرض – الظاهرات التي تحدث في الجو ويتفق معها العلم الحديث (سور الأنعام والرعد والنور غيرها) .

٣٥- ظاهرة ضيق الصدر للإنسان الذي يصعد ويرتقي في السماء .. لماذا تكون ؟كما في «سورة المائدة الآية ١٢٥» .

٣٦- تفسير الرؤى والمنامات .. والرؤى الصادقة .. والرؤى التي تنبئ بمستقبل الأحداث .. كما في «سورة يوسف/ ٤٧» .

٣٧- المساحات الشاسعة الهائلة في الكون .. تقديرها وحسابها .. كما في «سورة الحجر/ ٥».

٣٨-انتقاص كوكب الأرض من الأطراف .. معناه وكيفيته.. كما في «سورة الرعد/ ٤٩» .

٣٩-الجبال الراسيات التي تحفظ توازن الأرض .. كيف تكون .. كما في

«سورة النحل / ٢٥» .

٤٠-خلق البشر .. التراب ثم النطفة ثم العلقة ثم المضغة المخلقة وغير المخلقة .. كما في «سورة الحج/ ٥» ثم العظام ثم اللحم الذي يكسو العظام كما في «سورة الحج/ ٥ والمؤمنون / ٣٤» ثم طور الخلق الآخر ، وكيف يتحدد عامل الجنس (DETERMINA TION FACTOR) .

٤١-بيوت الحشرات وبنايتها وأوهنها بيت العنكبوت ..كما في «سورة العنكبوت/ ٤١» .

٤٢-كيف يجعل الله من الشجر الأخضر نارا ..وعملية البناء الحيوي التي يقوم بها النبات الأخضر .. وماهية عملية التمثيل الضوئي أو عملية البناء الضوئي.

٤٣-كيف هي بنية السماء بأيد أي بقوة واتساعها وامتدادها المستمر .. كما في «سورة الذاريات/ ٤٧».

٤٤-الحديد من أين جاء أو أنزل ..وما يحويه من بأس شديد ومنافع للناس ، كما في «سورة الحديد/ ٢٥» .

٤٥-اختلاف بنان أصابع يد الإنسان .. البصمة .. سر عدم تسوية الناس بها وأثار ذلك في حياة الإنسان وسلوكياته ، كما في «سورة النبأ/ ٤».

٤٦-النجم الثاقب .. أي الذي يحدث ثقبًا في السماء .وما هي أنواع الثقوب .. السوداء والدودية والدوارة وغيرها ..خواصها وخصائصها وهل هي فعلا سوداء فيما لم يذكره القرآن ؟

٤٧-العناصر المشتركة المقترنة بالوعي والعقل والإدراك من سر خواص وطاقات العطاء الرباني من (روحه) وهو سر من أسرار النفخة : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجرات:٢٩] .ومستويات العقل والفقه .. المخ والقلب والفؤاد

واللب والنهي والإدراك الحسي (S.P) وفوق الحسي (E.S.P)...

٤٨-علوم ومعارف النفس .. في الصحة والاعتلال والمرض والتوازن والتوافق والسلوك (السوي والمنحرف) والاستقامة والانحراف أو الضلال .. والغريزة والعقل .. وحالات ومستويات النفس (المطمئنة واللوامة والأمارة بالسوء) وما هو سر ومعنى (إلهام النفس) بالفجور أو التقوى أي الشر والخير ..وكيف يكون .

٤٩-سبح الجبال في الفضاء أي حركتها في أفلاكها المرسومة ، وذلك لأن الأرض كلها تسبح بجبالها حيث هي والجبال كتلة واحدة .. كما في «سورة النمل / ٨٨» .

٥٠-ما طبيعة (السقف المرفوع) السماء ؟ وكيف تمت بنيتها بأيد (بقوة) ..وما هوسر توسعها وامتدادها المستمر والسريع كما في الآيات (٣٢) من سورة الأنبياء و (٤٧) من سورة الذاريات .

٥١-ما معنى وكيف جعل الله من الماء كل شيء هي كما يقول القرآن في «سورة الأنبياء / ٣٠» .

٥٢-أسرار وطاقات (قدرات) العوالم اللامادية غير البشرية ، النارية كالجن والنورية كالملائكة والروح .. وكيف يروننا من حيث لا نراهم ؟

٥٣-معنى (الرتق) و (الفتق) للسماوات والأرض في بداية خلق الكون وما يشير إليه المعنى ويتفق ويتوافق مع نظرية الانفجار العظيم (BICBANG) التي يكاد يجمع العلماء على صحتها .

٥٤-الدورة الدموية في أجسام الأحياء كيف ؟ ولماذا ؟

٥٥-مغناطيسية الأرض والإنسان وكفاته في حياته ومماته واستقرارها في

مجموعتها الشمسية .

٥٦-حقيقة الروح وهي من أمر رب العالمين ونحن ما أوتينا من العلم بها إلا قليلا لا يمكننا معه أن ندرك حقيقة وكنه وماهية الروح .

٥٧- غريزة الجنس المرموز إليها بالشجرة في قصة آدم وما هو سر الانجذاب المتبادل بين الذكور والإناث عند البشر وعند غير البشر وقول القرآن ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦] فليست دعوة لترك العلم وإنما هي لمقتضى ما يمكننا إن نعلمه وليس لما لا يمكننا أن نعلمه كما ومثلا في (الروح) : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥] .

النفس الواحدة في القرآن العظيم

يقول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [النساء:١] ، وكذلك في سورة الأنعام الآية ٩٨ وغيرهما من الآيات القرآنية ، إن القرآن الكريم يخبرنا في آية سورة الأعراف الآية ١٨٩ عن خلقنا في رحم الأم عن طريق (النفس الواحدة) والمقصود منها والله أعلم نطفة الرجل التي هي خلية حية واحدة تعلق ببويضة الأنثى ليتكون منها زوجها فيصبحوا اثنين أي خليتين ومنها يبدأ انقسام الخلية وتكاثرها ليبث الله منها خلايا أخرى ذكرية أو أنثوية أي رجالاً كثيرًا ونساء . ومن هنا يأمرنا الله سبحانه وتعالى بتقواه في الأرحام وصلاتها عند الناس بقوله في القرآن الكريم :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [النساء:١] . وقد استعمل القرآن الكريم النفس الواحدة هنا بمعناها الخلوي الذي ذكرنا .

أن (النفس الواحدة)في الاستعمال القرآني ليست لها صلة بآدم وزوجه كما يذهب إلى ذلك كثير من المفسرين ، وإنما صلتها في الاستعمال القرآني هي في التطور الإلهي الموجه لمراحل خلق الجنين وتعلق النطفة الذكر ببويضة الأنثى فالنفس الواحدة في فهمنا هي النطفة الذكرية وهي خلية حية واحدة تنقسم بمعنى الزوجية عبر مراحل تخليقها ، وتدل على ذلك الآيات التي أشرنا إليها في مواضعها.

استعمالات النفس الواحدة في القرآن

استعمل القرآن الكريم النفس الواحدة في الآية / ١ من سورة النساء والآية ٩٨ من سورة الأنعام والآية ١٨٩ من سورة الأعراف والآية ٢٨ من سورة لقمان والآية ٦ من سورة الزمر ، على النحو التالي :

١ -﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١] .

٢ -﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٨] .

٣ -﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٨٩] .

٤ -﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان:٢٨] .

٥ -﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِى ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ [الزمر:٦] .

وكما ذكرنا فإن المقصود بالنفس الواحدة في فهمنا هو النطفة الذكرية التي هي خلية واحدة حية تعلق ببويضة الأنثى لتنقسما بعد ذلك إلى زوجين من الذكورة والأنوثة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾ حتى يستكمل الله سبحانه وتعالى تكوين هذه النطفة أو الخلية لتصير جنينًا في رحم الأم يظل ينمو ويتطور خلقًا بعد خلق كما جاء في الآية ٦ من سورة الزمر حتى اكتمال حمل المرأة لتلد بعده أنسانًا ذكرًا أو أنثى ، وهي معجزة خلق الجنين في رحم الأم عبر مراحل تكوينه حتى ينفخ الله فيه من روحه وتدب فيه الحياة ويصير (خلقا آخر) كامل البنية والتكوين والتركيب ليولد في هذه الدنيا إنسانًا جديدًا مكتمل الوعي والإدراك والعقل والحواس . يحمل تبعات الخلافة عن غيره في الأرض ويتحقق معه التكاثر الناتج عن التزاوج الجنسي الذي كانت تمثله في الجنة شجرة الخلد ويمثله المُلك الذي لا يبلى في الأرض إلى حين قيام الساعة وحساب الناس يوم القيامة .وقد تنزلت بذلك التطور الجنيني آيات القرآن الكريم على محمد رسول الله ﷺ منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام من سنين الأرض ، تذكر النفس الواحدة أو الخلية الواحدة أو النطفة الذكرية الواحدة التي تعلق ببويضة الأنثى ، آيات قرآنية تنطق بالحق في هذا الحدث الواقع في خلق الإنسان في رحم الأنثى والذي عرفه الأطباء والعلماء بعد ذلك بهذه الدقة وهذه التفصيلات بمختلف وسائل المعرفة والمشاهدة وعن هذا المثال وغيره كثير ، قال الطبيب الفرنسي موريس بوكاي[1] بعد الدراسة والبحث :

(إن من جوانب إعجاز القرآن البالغ أنه هو الكتاب السماوي الوحيد الذي لا يوجد به خطأ علمي واحد) وعلل ذلك بان القرآن الكريم لم يتورط في التفاصيل بل عرض الحقائق بأسلوب عام يسع كل الأفهام ويفتح الباب للاجتهاد وليظل

(١) في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث) المترجم من الفرنسية إلى العربية ولغات أخرى .

بذلك متفقًا مع الحقائق العلمية الثابتة ..

أما عن النفس الواحدة فقد كان الإمام محمد عبده عليه رحمة الله يقول (وكما جاء في تفسير المنار لرشيد رضا) : « إذا كان المفسرون فسروا «النفس الواحدة» بآدم فهم لم يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسالة المُسلَّمة عندهم وهي أن آدم أبو البشر بالرغم من أنه ليس في القرآن الكريم نص أصولي قاطع على أن جميع البشر من ذرية آدم» وفي تفسير الإمام للآية (٢١) من سورة الروم : ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ والآية (١١) من سورة الشورى : ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ يقول الإمام أن المقصود في الآيتين هو أن أزواجنا من جنسنا الجنس البشري ومن ثم لا داعي من ترديد فكرة أن حواء خلقت من ضلع أدم الأيسر وهو نائم كما جاء في الفصل الثاني من سفر التكوين أو جاء في بعض الأحاديث المنسوبة إلى السيد الرسول والتي تحتاج صحتها إلى مراجعة ولولا ذلك ما كان ليخطر على بال قارئ القرآن ذلك المفهوم والتفسير التوراتي .

القرآن العظيم ومفاهيم في الزمان في آيات الكهف

أهل الكهف ومفارقة التوأم (TWIN PARAOOX) [1]

فكرة العزلة في الكهف :

الأمر بالنسبة إلى أهل الكهف أمر عزلة تامة في المكان وفي الإدراك ينتج عنهما اختلاف في حساب الزمان لاختلاف النظام القياسي للزمان بين أهل الكهف والمراقبين في الخارج ، فالعزلة تعني وجود نظامين مختلفين تمامًا في أبعادهما المكانية والزمانية والقياسات المتصلة بهما وكذلك في الحالة . كما ينتج عن هذه العزلة اختلاف في حساب عدد السنين بالأرقام الحسابية بالنسبة للمراقب من

(١) كما شرحها وقال بها ألبرت أينشتاين .

الأرض خارج الكهف يعد أو يحصي عدد مرات طلوع الشمس وغروبها ، سواء بالنقص أو الزيادة .

كما ينتج عنها اختلاف بزيادة الرقم تسعة على الرقم ثلاثمائة إذا ما قارنا المدة التي لبثها الفتية في الكهف بين القياس الشمسي وبين القياس القمري . وإذا كانت نظرية النسبية التي وضعها ألبرت اينشتاين قد تناولت المفاهيم الزمنية بالنسبة للعالم الفيزيقي ، فإن آيات أهل الكهف قد تناولت المفاهيم الزمنية من الزاوية نفسها ، كنا تناولت آيات أخرى من كتاب الله تعالى المفاهيم الزمنية التي لا تتصل بالعالم الفيزيقي .وإنما تتعداه إلى عالم الروح وتأثيراته في المادة وحركتها وبالتالي زمانها الذي تتحرك فيه بحسب تكوينها كما في الآيات القرآنية التي تناولت عروج الملائكة والروح : ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ونقل الذي عنده علم من الكتاب لعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين في الزمن الذي حدده القرآن : ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[النمل:٤٠]أو ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ بالنسبة لقدرات عفريت الجن .ونورد أولا التقريرات القرآنية التي تشير إلى فكرة الزمان كما تصورها آيات سورة الكهف التالية : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ [الكهف:١٢،١١] . ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَـٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[الكهف:١٩] . ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[الكهف : ٢٥- ٢٦] .

وتتضح فكرة تباطؤ الزمان نتيجة السرعة من خلال هذه الآيات :فحالة أهل الكهف كانت أشبه بحالة الوفاة ،وهي الحالة التي يستوي فيها النوم مع الموت ،

ولهذا استعمل القرآن فيها تعبير (بعثناهم) ، وهو الوصف نفسه الذي استعمله رسول الله ﷺ فيما روى عنه من قول (والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون) .

وإن كان الزمان والهيئة والحركة من آيات الله كما يقرر القرآن في قصة أهل الكهف فإن الفكرة في الزمان هنا واختلاف قياساته حسب مركز المراقب الذي يجري القياس ونظامه القياسي توضحها الآية التالية : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ [الكهف:١٢] . هل هم المراقبون الأيقاظ خارج الكهف أم هل هم أصحاب التجربة أنفسهم في عزلتهم داخل الكهف؟ فكل من الفريقين ذكر زمانًا مختلفًا في عدّه بالنسبة لمدة البقاء في الكهف لأن كلا من الفريقين كان له نظامه الزماني المختلف في قياساته .

فالذي توحيه الآيات هو أنه كانت هناك عزلة تامة تعني اختلافًا في حساب الزمان بالنسبة للمراقب من خارج الكهف ، عنه بالنسبة للمنعزل داخل الكهف بعيدًا عن مكان المراقب الخارجي وحساباتته وقياساته للزمان من مركز مراقبته ، فبالنسبة للمراقب من الخارج – والذي كان لا يعرف مطلقًا ماذا كان يحدث في الداخل – أي داخل الكهف – كان الزمان ثلاثمائة عام شمسية أو ثلاثمائة وتسع أعوام قمرية . وبالنسبة للمنعزل في مكان عزلته – وهو هنا الكهف– كان الزمان يومًا أو بعض يوم ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف:١٩]. ولما خرج المنعزل من مكان عزلته ليعود إلى المكان الذي تركه قبل عزلته – وهو مكان المراقب من الخارج – وكان الواقع الفعلي لهذا المكان قد تغيَّر تمامًا بالنسبة إليه ، فالأماكن والأشخاص والأحداث قد تغيروا جميعهم

تمامًا، وتعاقبت أجيال وراء أجيال من الناس في المكان بينما المنعزلون في كهفهم ظلوا على حالتهم التي بدأت فيه العزلة لم يتغيروا في الهيئة أو الشكل أو الصورة لأن الزمان الذي مرّ بالنسبة إليهم لم يكن إلا يومًا أو بعض يوم .وهذا هو بالضبط ما وصلت إليه النسبية الخاصة فيما أسماه علماء الفيزياء «مفارقة التوأمان» (Twin Paradox) حيث ذكرت النظرية هذا الفارق في القياس الزمني وبالتالي في اختلاف عدد سنوات الحياة بين توأمين ركب أحدهما مركبة انطلق بها في الفضاء بسرعة الضوء بينما ظل الآخر على الأرض .ولما عاد التوأم راكب المركبة إلى الأرض وجدا آخاه ميتًا ووجد أن واقع الحياة قد تغيَّر تمامًا نتيجة السنوات الطويلة العدد التي عاشها الناس – ومنهم أخيه – في الأرض عما عاشه راكب مركبة الفضاء المنطلقة بسرعة الضوء . الأخير – أي المنعزل في مركبة الفضاء بسرعة الضوء – تباطأ الزمن بالنسيبة إليه ولم يتغير في الهيئة أو الشكل أو الصورة ، بينما الأول – أي توأمه الذي ظل على الأرض – عمّر طويلاً ومات وأعقبته أجيال أخرى .

راكب الفضاء المنعزل في مركبة الفضاء المنطلقة بسرعة الضوء لم يمض عليه إلا يوما أو أيام بينما أخاه في الأرض مضت عليه سنوات كثيرة [(١)] .

ولهذا السبب ذكر القرآن النص التالي : ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾ [الكهف :١٨] . فهم بقدرة الله لم يحتاجوا إلى الطعام أو شراب طوال مدة رقودهم ،والمخيف حقًا أن يظل الإنسان مدة ثلاثمائة عام من دون تغير هيئته وخصوصًا بالنسبة للكلاب المعروفة بعمرها القصير بالنسبة للإنسان ، وهذا هو جوهر المعجزة أو الآية .

فهم لم ينكسوا في الخلق بسبب التعمير : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِ ﴾

(١) قابل بعض العلماء هذه الحقيقة عندما أعلن عنها ألبرت أينشتاين بالرفض ، ولكن التجارب العلمية التي تمت بعد وفاة أينشتاين أثبتت صحة ما قرره في نظريته خاصة بالتوأمين .

[يس :٦٨] .ولم تتضائل قدراتهم العقلية بسبب طول العمر : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾[النحل:٧٠] .

ولذلك كان عاديًا بالنسبة إليهم أن يبعثوا أحدهم إلى المدينة يأتي بالطعام مستعملاً العملة نفسها التي كانت معهم ، و مستخفيًا من الناس حتى لا يظهر عليه أحد ﴿ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف:١٩] ويمكن أن نقول : إن الذي ينطبق على بطء الزمان مع عامل السرعة الضوئية ينطبق أيضًا على نظام فيزيقي مغلق من أي نوع آخر ، بمعنى أن أي عضو حي يوضع في الحالة نفسها التي توضع فيها ساعة في سفينة منطلقة في الفضاء بسرعة الضوء فإن هذا العضو الحي سوف يقطع رحلته ذهابًا وإيابًا ويعود وطبيعته لم تتغير عما كانت عليه في بادئ الرحلة ، بينما يكون عضو حي مماثل ممن ظل على الأرض ولم يشترك في الرحلة ، يكون قد مضى عليه وأعقبته أجيال أخرى .وتكون المدة التي قضاها هذا العضو الحي في الرحلة كلها مجرد (لحظة) أو بتعبير آخر يومًا أو بعض يوم.

ويكون الذين لم يشتركوا في الرحلة قد تعاقبت عليهم سنوات وسنوات .وهذا هو الذي نفهمه من فكرة الزمان في آيات سورة أهل الكهف ، وفيه فهم خاص للنصوص فيما تشير إليه من فكرة الزمان وتأثيرها في الكائنات الحية وهي أحد أوجه للمفاهيم الأخرى للآيات .

ويمكن تشبيه حالة الفتية في الكهف في نومهم بالتنويم المغناطيسي أي أن نومهم يشابه المنوم مغناطيسيًا حيث فقدوا الإحساس تمامًا كما فقدوا بالذات حاسة السمع (فضربنا على آذانهم) ونحن نعرف أن المنوم مغناطيسيًا لا يتأثر مطلقًا بأي صوت مهما علا ، كما أنه لا يستجيب إلا إلى تعليمات منومه الذي هو الوحيد الذي يمكنه أن يؤثر في النائم مغناطيسيًا ويتحكم في أفكاره وبالتالي حركاته

وتصرفاته .

الدروس المستفادة من أهل الكهف في القرآن .

الذي تمثله معجزة أهل الكهف هو بالضبط ما تمثله مفارقة التوأم التي تحدث عنها ألبرت أينشتاين في نظرية النسبية وهي النظرية التي تتناول السرعات العالية جدًا التي تقترب أو تماثل سرعة الضوء المعروفة لنا والتي تبلغ ٣٠٠.٠٠٠كيلو متر في الثانية تقريبًا .

ونبسط المقارنة بين معجزة أهل الكهف ومفارقة التوأمين على النحو التالي(١):

الكهف = المركبة الفضائية المنطلقة بسرعة الضوء إلى كوكب آخر .

أهل الكهف = راكبو المركبة الفضائية .

خارج الكهف= المراقبون من خارج المركبة والمقيمون على الأرض لم يفارقوها أو أحد التوأمين اللذين تحدث عنهما أينشتاين .

الزمن= حسابه بالنسبة لأهل الكهف غير حسابه لمن هم خارج الكهف في الأرض أو حسابه بالنسبة لراكبي المركبة غيره لمن هم خارجها في الأرض والتوأم المقيم في الأرض .

تباطؤ الزمن = نتيجة فقدان أهل الكهف للإحساس بالزمن ومن ثم تباطأ بالنسبة إليهم بالقدر الذي يمثله ، يومًا أو بعض يوم بالنسبة لحقيقة ثلاثمائة سنة شمسية مكثوها فعلا في الأرض بينما يتباطأ الزمن بالنسبة لراكبي المركبة نتيجة

(١) نحب أن نشير إلى أن قوانين الفيزياء واحدة بالنسبة للمراقب الثابت والمتحرك وذلك في مبدأ النسبية الذي تحدث عنه ألبرت اينشتاين ومن قبله هنري بوانكاريه .وهذه المقارنة تدلنا على أن النتائج واحدة في معجزة أهل الكهف وفي مفارقة التوأمين .

سرعتها الهائلة .

أهل الأرض المراقبون خارج الكهف = الزمن بالنسبة إليهم يسير سيرًا عاديًا وحسابهم لذلك أرضي شمسي .وفقًا لحركة الأرض والشمس ومر عليهم ثلاثمائة سنة شمسية أو ثلاثمائة وتسعة قمرية بالضبط كالتوأم المقيم في الأرض .

النتيجة أو المعجزة = إبقاء أهل الكهف لثلاثمائة سنة شمسية دون غذاء ثم بعثهم دون أن تتغير هيئتهم حتى يتم فهم أساس قياسي مدة اليوم أو بعض يوم التي لبثوها في الكهف وهو ما يعني تباطؤ الزمان بالنسبة إليهم بالضبط كما يتباطأ بالنسبة لراكبي المركبة الفضائية المنطلقة بسرعة الضوء إلى كوكب آخر .

تأثير الزمان في فترة الحياة أو البقاء= المنطلق في مركبة بسرعة الضوء يتباطأ الزمان بالنسبة إليه وبالتالي تمتد فترة حياته أو مدة بقائه لمدة أطول من المدة التي يحياها أو يعيشها من في الأرض وذلك كنتيجة لفرق السرعة بين الوضعين ، وضع من هو بالمركبة المنطلقة بسرعة الضوء ووضع من هو بالأرض بسرعتها المعروفة .

في نظرية النسبية = عودة المنطلق في مركبة بسرعة الضوء بعد فترة زمنية محددة بقياسه هو ليجد أن من تركهم في الأرض قبل انطلاقه قد ماتوا وأعقبتهم أجيال أخرى بعدهم بمعنى أن من في الأرض مضى عليهم زمان أطول ومن ثم بلغوا الكبر وعمروا فترات أطول من فترة تعمير المنطلق في المركبة بسرعة الضوء.

النتيجة = أن أهل الكهف بعد خروجهم من الكهف كانوا ما زالوا على هيئتهم التي دخلوا بها الكهف ومعهم العملة نفسها التي كانت مستعملة في زمانهم وظنوا أنهم ما زالوا في نفس المجتمع المطارد لهم قبل دخولهم الكهف حيث أنهم حددوا فترة بقائهم في الكهف بيوم أو بعض يوم بالنسبة لهم وهو ما يصوره لنا

القرآن في آياته نقلاً عنهم : ﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الكهف:١٩-٢٠] . وهو تمامًا ما يحصل للتوأم الذي يعود إلى الأرض بعد رحلته الفضائية في المركبة المنطلقة بسرعة الضوء فيجد أن أخاه قد مات وأنه أعقبته في الأرض أجيال أخرى .

وأحد المفاهيم في الآيات من بعثهم في الحياة مرة أخرى هو لبيان هذه المعجزة الزمنية المتصلة بفارق السرعات العالية عن السرعات العادية ، السرعات العالية بمقياس أهل الكهف والسرعات العادية بمقياس أهل الأرض خارج الكهف : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾ [الكهف:١٢] ، وفي آية أخرى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ [الكهف :١٩] .

أما وجود الكلب مع أهل الكهف فأعتقد – والله أعلم- أنه للدلالة على أن الذي يحدث بالنسبة للإنسان يمكن أن يحدث أيضًا للحيوان وخاصة الكلاب .

القرآن العظيم وعلم المستقبل (FUTUROLOGY)

موسى النبي والعبد العالم

قصة موسى والعبد العالم التي قصها القرآن العظيم في سورة الكهف تعتبر نموذجًا واقعيًا تطبيقيًا للبحوث النظرية لعلم المستقبل فيما تناولته من أحداث ومعارف متباينة عند كل من موسى والعبد ، وفي الآيات إشارة إلى التوقعات والتنبؤات للظواهر التي حدثت والتصرف بشأنها تصرفا هو في الحقيقة رحمة بالأشخاص الذين تتصل بهم هذه الظواهر حيث إن العبد المتصرف كان يجمع بين (الرحمة) و(العلم) : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا

عِلْمًا ﴾ [الكهف:٦٥] . ورغم أن موسى النبي عليه السلام كان رسولا من عند الله بل كان من أولى العزم من الرسل إلا أنه في حدود علمه الحاضر (علم الشهادة) لم يستطع أن يتفهم وبالتالي أن يصبر على تصرفات العبد العالم التي فعلها في حدود علمه والمستقبل الغائب عن موسى .وهذا يعني أن الحكمة التي تأتي بالخير المؤجل غير الظاهر لا تكون دائمًا مفهومة للناس من خلال محدودية علومهم ومعارفهم بالأوضاع العادية القائمة في حاضرهم وبما يمكن أن يأتي بالخير والمصلحة في المستقبل وهو ما يعني أيضًا أن المؤسسات العلمية عليها أن تقوم بمهمة التوقع أو التنبؤ المستقبلي من خلال دراسة الظواهر التي تطرح للبحث وأن تقترح وتضع الحلول التي تستهدف الصالح العام في المستقبل وتحقيق النفع الأكبر في المدى الزمني الأبعد حتى ولو كان يبدو الأمر في ظاهره أنه يسبب ضررًا عاجلاً في الحاضر الواقع .

وفي دنيانا أحداث يختلف ظاهرها عن باطنها ويبدو ظاهرها مأساة على حين ينطوي باطنها على الرحمة أي يبدو ظاهرها خاليًا من التعقل والتبرير بينما يمتلئ باطنها بالكياسة والحكمة . ففي الوقائع الثلاثة في القصة ظاهرًا فيه الفساد والإيذاء والغدر وباطنه مليء بالرحمة والصلاح واللطف .

فإذا أخذنا قتل العبد للغلام كمثل لما نقول نجد أن العبد قد أنقذ الأبوين وأنقذ الغلام من نفسه حيث أنه دخل في رحمة ربه حين مات وهو غلام صغير بريء لا يحاسبه الله على ما كان سيفعله من أخطاء إذا كبر كأن العبد العالم يعلمها .. أن جميع الأطراف قد نجوا رغم ما يوحي به الظاهر من أنهم هلكوا .. ويمكننا أن نقول أن العبد العالم خرق السفينة وهو يعلم المستقبل (ملك سيأخذها إن لم يتلفها) وقتل الغلام وهو يعلم المستقبل (الذي يكون فيه الغلام معذبًا لوالديه ويرهقهما بعقوقه لهما) وأخيرًا بنى العبد العالم الجدار المتهالك وهو يعلم

المستقبل (أن تحت الجدار الذي يريد أن ينقض كنز ليتيمين كان أبوهما صالحًا) وهو الذي أراد رب العالمين معه أن يكبر الغلامين ويستخرجا كنزهما وهي رحمة من الله لم يكن يدرك سرها أو يتعلمها موسى النبي وحيث مقدرات الرزق في السماء أي داخلة في مشيئة وأمر الله وكما قال العبد ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف:٨٢] أي أن الإرادة ليست إلا لله وبأمره ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾[الكهف:٨٢].

أما الآية ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ فمن لدنا يتسع معناها لتشمل كل كافة العلوم التي تدخل في علم الله وهي من الكثرة والإحاطة والشمول بحيث لا يمكن لأحد أن يعلمها في قدرها المحيط بالعلم بكل شيء حيث الله عليم بكل شيء في السماوات والأراضين وفوق كل ذي علم عليم ولا يحيطون به علمًا إذ ليس كمثله شيء في كل شيء إذ أن (من لدنا) في العلم تكبر عن معرفتنا وتزيد عليها وتعلوا على إدراكنا ومداركنا وتسمو على إمكانات وإمكانيات عقولنا وحصافة أرواحنا وفقه قلوبنا ومعرفتنا الحسية ومعرفتنا فوق الحسية (E.S.P) وتعتبر داخلة في معنى قوله تعالى في القرآن العظيم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ من آية الكرسي في سورة البقرة أي يكون ما علمه الله للعبد الذي لقيه موسى من علم (من لدنا) ليس إلا (شيئًا) من علمه سبحانه وتعالى والذي شاء هو سبحانه أن يعلمه للعبد وبالقدر الذي يشاء ووصفناه على قدر فهمنا (بعلم المستقبل) أو (أحداث المستقبل) كما بيناه . والله أعلى وأعلم وهو ليس إلا مثل واحد فقط فيما نعرف نحن بعلمنا المحدود للمعلوم وكلمة (من لدنا) تؤدي نفس المعنى الذي يقول الله فيه لرسوله محمد ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:٦].

وما يتجاوزه معنى (من لدنا) في عوالم الغيب والشهادة والملك والملكوت والمادة واللامادة والأحياء والأموات والقوى والطاقات والنور والظلمات

والملائكة والروح والإرادة والأمر والقدر والقضاء والخلق والأمر .. وغير ذلك مما لا نعلم ولا نعرف في إطار ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النور:١٩] وهو سبحانه وتعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١] في كل شيء لا في ذاته ولا أسمائه الحسنى ولا في صفاته العُلى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق:١٢] ولا يحيط أحد به علمًا ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٠].

وتفيدنا قصة سيدنا موسى والعبد أيضًا أن العلماء المتخصصون بدراسة الظواهر التي تدخل في مجال علم المستقبل هم أقدر الناس في المجتمع على التخطيط والتوقع بما يخدم الصالح العام في النهاية ولذلك فكل إجراء تطبيقي نابع من الدراسات التوقعية المستقبلية هو مسئولية المؤسسات المختصة بكل ظاهرة مدروسة حسب نوعها .

والقرآن تحدث عن ظاهرة التوقع أو التنبؤ في إطار علم المستقبل (مستقبل الأحداث) بما يعني أهمية هذا العلم ونبين ذلك فيما يلي :

١-في بداية سورة الروم تنبأ القرآن أن الروم بعد أن غلبت من الفرس سوف يغلبون وينتصرون عليهم وحدد المدة الزمنية التي يتم فيها ذلك وهي بضع سنين .

٢-في بداية سورة العنكبوت يتنبأ القرآن بظواهر اجتماعية حيث يؤكد أن المؤمنين سيفتون بمختلف أنواع الفتن في المستقبل .

٣-سورة آل عمران الآية ٤٩ حيث كان لدى عيسى عليه السلام القدرة على الإنباء بما يأكل الناس وما يدخرون في بيوتهم.

٤-سورة يوسف فيما يتعلق بتفسير يوسف لرؤيا الفتيين في السجن ورؤيا ملك مصر الخاصة بالسبع بقرات ، وقيام يوسف بتأويل هذه الرؤيا والإنباء

بمغزاها المستقبلي من خلال تفسيرها بما سيقع من أحداث في المستقبل .

إن العلم الذي تتحدث عنه آيات القرآن في سورة الكهف عند العبد الذي لقيه موسى عليه السلام هو علم ذو طبيعة خاصة فهو علم من لدن الله سبحانه وتعالى ، يتعدى علوم الحاضر إلى المستقبل المنظور والغائب غير المعلوم وغير المنظور . والفهم عندي أن العبد الذي أتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما قد أوتي علم مستقبل الأحداث ، أو علم غيب الأحداث أي الأحداث المستقبلية وهو العلم الذي يسمى في عصرنا الحالي (FUTUROLOGY) وليس المقصود من هذا العلم معرفة الغيب الذي قصره القرآن على الله سبحانه وتعالى وهو الغيب الذي يشمل المستقبل البعيد المدى جدًا أو غير المنظور ولا يمكن إجراء أي دراسات توقعية خاصة به حتى ولو كانت احتمالية النتائج. فأحداث وظواهر هذا النوع من الغيب هي من علم الله وحده وليس لإنسان مهما كان قدر علمه أن يحدد أحداث أو ظواهر هذا النوع من الغيب ومن أمثلته موعد قيام الساعة ولحظة ومكان الموت في المعتاد والعادي من الحياة ودون وجود ما يُجَلِّ هذه اللحظة أو وقتها بالضبط من ظروف أو أحوال وموعد النفخ في الصور وموعد نزول النبي عيسى بن مريم .. إلخ .

فهذا الغيب سيظل مجهولا للإنسان وحيث لا يدعي علماء علم المستقبل إمكانية معرفتهم لهذا النوع من الغيب ولذلك أميل إلى استعمال تعبير «علم المستقبل » وليس تعبير «علم الغيب» بالنسبةُ لأحداث وأمثلة موسى والعبد العالم .وإن كان الاثنان يتصلان بغيب الأحداث إلا أن ظاهرة علم المستقبل هي ظاهرة علمية تخضع للدراسة والتحليل والتوقعات ولابد فيها من معطيات خاصة بالظاهرة التي تخضع للدراسة وما يتصل بها من ملابسات وظواهر أخرى كما أنه لابد من وجود فترة زمنية محددة معقولة تتحقق فيها المنظورات المستقبلية للحدث أو الأحداث أو الظواهر التي هي محل للدراسة أما علم الغيب فيتصل

بما لا يعلمه الإنسان وخاصة في الأزمنة البعيدة جدًا أو المخفي عنه في الكون غير المرصود ولا يراقبه ولا يعلمه .

والدراسات المستقبلية سواء كانت استكشافية أو معيارية أو مختلطة تضع دائما مدى زمنيًا محددًا لتوقعاتها أو تنبؤاتها كما أن المدى الزمني للمستقبل يختلف حسب اختلاف الظواهر محل الدراسة وتباينها بحيث أن ما يعتبر مستقبلاً منظورًا بالنسبة لحالة من الحالات لا يعتبر كذلك بالنسبة لحالة أخرى .

ويعد «تصنيف مينسوتا » الذي وضعته جمعية المستقبلات الدولية بالولايات المتحدة الأمريكية من أشهر التصنيفات التي تسترشد بها مختلف المدارس في الدراسات المستقبلية . ويحدد «مينسوتا » وهو صاحب فكرة هذا التقسيم ، يحدد المستقبل عن طريق تقسيمه إلى خمس فترات على النحو التالي :

١-المستقبل المباشر ويمتد إلي عام أو عامين في المستقبل .

٢-المستقبل القريب ويمتد من عام واحد إلى خمس أعوام في المستقبل .

٣- المستقبل المتوسط ويمتد من خمسة أعوام إلى عشرين عاما في المستقبل .

٤- المستقبل البعيد ويمتد من عشرين عاما إلى خمسين عاما في المستقبل .

٥- المستقبل غير المنظور ويمتد إلى ما بعد خمسين عاما أو أكثر .

وهذه الآماد الزمنية التي حددها« مينسوتا » هي محيط العلماء المتخصصين في مجال علم المستقبل الذين يصعب بل يستحيل عليهم إجراء توقعات أو تنبؤات تزيد بكثير عن هذه الفترات الزمنية التي حددها التصنيف السابق كما لو امتد الأمر الزمني إلى آلاف أو عشرات الآلاف من السنين ناهيك عما هو أبعد من ذلك كملايين أو بلايين السنين في المستقبل . فهذه تخرج عن إمكانيات علم المستقبل وتدخل فيما يسميه القرآن «الغيب » الذي يقول فيه القرآن : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ

ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩١-٩٢] وهو الغيب الذي يطالب الله الناس الإيمان به ووصف المتقين من الناس – ضمن أوصاف أخرى – بأنهم الذين يؤمنون بالغيب كما في الآية الثالثة من سورة البقرة : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة:١- ٤] .

ويدخل في هذا الغيب أيضًا العوالم غير المنظورة للإنسان كالملائكة والجن والروح وما يخفى علينا من حقائق القوى والطاقات وماهياتها أو العوالم اللامامية .. إلخ ..

هذا ولم يتبلور علم المستقبل بصورة مؤثرة إلا في السبعينيات من القرن العشرين حيث عقد العديد من المؤتمرات الدولية الخاصة بالدراسات المستقبلية وتم إقامة العديد من المراكز والهيئات العلمية المتخصصة في الدراسات المستقبلية مثل الاتحاد الدولي للدراسات المستقبلية في روما ومعهد علوم المستقبل في نيويورك ، والجمعية العلمية لدراسة المستقبل في واشنطن، ومركز الدراسات المستقبلية في باريس ، ووزارة المستقبل في السويد التي أنشأت عام ١٩٧٣ ، كما دخلت الدراسات المستقبلية في العديد من المدارس والجامعات الأمريكية وتظل أشهر المدارس الفكرية بالنسبة لهذا العلم هي المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية والمدرسة الروسية .

ويعتبر التوقع أو التنبؤ أحد مظاهر علم المستقبل الذي يشمل أيضًا التخطيط طويل المدى والإسقاط (PROJECTION) وهو يستخدم للإشارة إلى الدراسات التي تركز على المدى الزمني القصير وأخيرًا الاستشراف أي استشراف المستقبل بمعنى الاجتهاد العلمي المدروس الذي يستهدف صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة الخاصة بالمعالم الرئيسية للمجتمع عبر فترة زمنية لا تزيد عن عشرين

عامًا ،وهو لذلك يعتمد على كم ونوع المعرفة العلمية المتوافرة عن الواقع .

وآيات القرآن العظيم وما ذكرته من حوار بين موسى النبي والعبد العالم تشير إلى الفارق الموجود بين (علم الشهادة) وبين (علم الغيب) والله وحده هو عالم الغيب والشهادة كما يقول القرآن العظيم في الآية التاسعة من سورة الرعد : ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ وكذا في غيرها وكما بيَّنا سابقًا .فبالنسبة لخرق السفينة قال موسى :﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ . وقال العبد :﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ . وبالنسبة للغلام قال موسى :﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾. وقال العبد : ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾. وبالنسبة للجدار قال موسى :﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ . وقال العبد :﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ . وعن هذه المعلومات الغائبة عن موسى قال العبد في النهاية : ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ .

ذلك أنه عندما سأل موسى النبي العبد العالم في بداية لقائهما : ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف:٦٦] . قال العبد العالم : ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ [الكهف:٦٧- ٦٨] .وفي النهاية أقول إن آيات القرآن العظيم ذكرت تفاوت إرادة العبد العالم في تصرفاته تجاه الظواهر الثلاثة (السفينة ، والغلام ، والجدار) حسب درجات الغيب المستقبلي الغائب عن علم موسى وحسب ما يقتضيه من تصرفات وأفعال في ظل سعة رحمة الله التي أتاها من عنده للعبد وما علمه الله للعبد من علم من لدنه ومقتضيات الامتثال لإرادة الله وأمره وقضائه ولذلك قال العبد العالم الرحيم بالنسبة

لحدث السفينة (فأردت) وبالنسبة لحدث الغلام (فأردنا وخشينا) وبالنسبة لحدث الجدار (فأراد ربك) في اقتران إرادة العبد العالم الرحيم بإرادة الله سبحانه وتعالى مُقَدَّر الأقدار ومدبِّر الأمور والأرزاق والفعال لما يريد كيف يريد ومتى يريد .

ولقد أوضحنا حقائقًا عن علم الله (من لدنا) والتي تتضمن مستويات درجات معارف وعلوم مختلفة وكثيرة في عوالم الغيب والشهادة لا يعلمها أو يدركها في وسعتها وشمولها وإحاطتها أحد .. بالضبط كما كان موسى النبي لا يعلم ما علمه الله (من لدنه – من لدنا) من العلم والمعرفة التي لم يحط بهما موسى وتدخل في إطار ما يقوله القرآن العظيم ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ .

وقال عنها العبد لموسى الذي طلب اتباع العبد للتعلم منه ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ فالعلم مستويات ودرجات والعلماء مستويات ودرجات والتأويل مستويات ودرجات والفهوم والمفاهيم مستويات ودرجات والإحاطة بالمعلومات مستويات ودرجات والراسخون في العلم مستويات ودرجات ومصادر المعارف والعلوم مختلفة المستويات والدرجات .. إلخ . ولذا يقول القرآن العظيم ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ من الآية ١١ من سورة المجادلة ، وفي سورة يوسف يقول ﴿نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ آية ٧٦ ، وكلها مستويات ودرجات من العلم ومصادره داخله فيما يشمله معنى ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ أي العبد الذي لقيه موسى ، وليظل ما لدن الله من العلم لا يحيط به أحد ولا يعلم مقداره أحد وهو سبحانه (العليم) الذي يعلم كل شيء عن كل شيء أي يشمل ويحيط علمه بكل شيء في كل شيء ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء وهو فوق كل ذي علم عليم ولا يحيط أحد به علمًا .. كما يخبرنا هو سبحانه في كتابه الخاتم القرآن العظيم.

الفتح العاشر:

مختصر من القرآن عن الإنسان

إنسان القرآن

هو الإنسان الذي يريد ربنا منا أن ينشأ وتنبني شخصيته على أساس تعاليمه الدينية الأخلاقية هو الإنسان الذي يتحلى بالإيمان وبالعلم النافع وبالعمل الصالح والحب لكل الناس وترتبط في عقله وقلبه وكل كيانه الشعوري محبة الله ومحبة الدين ومحبة الوطن ومحبة الناس جمعًا بين الدنيا والآخرة يعمل لهما معا في نفس الوقت ، الدنيا كأنه يعيش أبدًا والآخرة كأنه يموت غدًا .

من هو إنسان القرآن ؟

هو الإنسان البشر من ذرية آدم العاقل الخليفة في الأرض لغيره المكلف الذي حمل الأمانة بالعقل بكل خواصه وقدراته وطاقاته من مصدره الروحي الموهوب له من ربه وخالقه من خلال ما نفخ ربه فيه من روحه بعد أن سواه : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ ص:٧١ – ٧٢] .

إنه الإنسان الخلوق الحر المكرم من ربه وخالقه المفضل على غيره ممن خلق الله كما يقول القرآن العظيم :﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٠] .الإنسان الذي لديه القدرة أن يطيع وأن يعصي خالقه ، أن يستقيم على هدى خالقه أو ينحرف عنه . ترفعه طاعته إلى أعلى عليين – الأرواح الطاهرة ، وتنزله معصيته إلى أسفل سافلين – الشياطين الضالة .

الإنسان مسئول عن عمله في الحياة الدنيا مسؤولية فردية فهو لا يحمل وزر غيره ولا نتائج عمل غيره :﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦] .وهو لذلك يحاسب حسابًا شخصيًا يوم القيامة فيما

يقـرأ مـن كتابـه الـذي يلقـاه منشـورا : ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء:١٤] . والإنسان حر في أفعاله وتصرفاته إذ يقول القـرآن : ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت : ٤٠] . والإنسـان ثنـائي التكـوين ، روح وجسـد ، لكل منهما متطلباته ودواعيه ،وهو بالعقل يحافظ على التوازن بينهما بميزان العدل الذي لا يبخس للجسد ودواعيه حقه بطغيان على روحه المتطلعة إلى الملأ الأعلى، كما لا يبخس للروح ودواعيها حقها بطغيان الجسد ودواعيه من الغريزة الجامحة غير المنضبطة بشرع الله .. بذلك تتوازن شخصية الإنسان وتكتمل صحته النفسية ليصـبح إنسـانًا سـويًا وسـطًا ومعتـدلاً في أقوالـه وأعمالـه وسـلوكياته ، تدعمـه أخلاقيات الدين بـالقيم الروحيـة والمعـاملات الحسـنة التـي يمكنهـا أن تواجـه الضغوط المادية التي يواجهها إنسان هذا العصر الذي طغت فيـه المـادة والنظـرة الدنيوية البحتة التي لا تقيم للآخرة وزنًا ولا للحساب شأنًا .

إن الإنسان بأصله البشري هو ابن ذكر وأنثى ينتمي إلى قبائل وشعوب وأمم متباينة لا فضل فيها لأحد على غيره إلا بالعلم النافع والعمل الصـالح وتقـوى الخـالق ، ولا تمايز بين إنسان وآخر فيها إلا بالأخلاق الكريمة التي هي محـور الأديـان السـماوية كلها وأساس التقدم المدني الحضاري . يقول القرآن العظيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات:١٣].

إن أول ما نزل إلى الإنسان من آيات كلام الله القرآني هو : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ الذي خلق الطبيعة الكونية وخلق الإنسان وعلمه القراءة (القرآن) والبيان (اللغـة) ، وإن خطاب النبوة والرسالة الخاتم الموجهة إلى عقل الإنسان قد اختتم سلطان الأحبار والكهنة والقادة وتقديسهم ، كمـا اختـتم سـلطان المعجـزات الماديـة وخـوارق العادات ، ليظل الخطاب الديني موجهًا إلى «العقل» المتحلى بالإيمان المتناغم مع الطبيعة (المادة – الطاقة)والعامل في الإنسان نفسه الذي يحمـل في تركيبـه وحـدة

المادة والفكر ليدرك الإنسان ما حوله من خلال الشعور الذاتي بوجوده – الحر المستقل والإيمان بالله الواحد الذي لا يشاركه أحد في ملكه .

إن القرآن يستند في تعامله مع الإنسان إلى مبدأي الخبرة والعلم الإلهي بالإنسان وبطبائعه ونوازعه وخواطره ، والهامات وقدرات عقله النابعة من عقله وروجه التي نفخ ربه منها فيه فأعطته القوة والنشاط والحركة وكل قدراته الجسمانية . إلى جانب دواعي فسيولوجيته وغرائزه ... إلخ ، ومن هنا تأتي المعالجة القرآنية لشؤون الإنسان على أكمل ما تكون المعرفة بالإنسان ذاته: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك :١٤] . ولتوجيه سائر العلوم والمعارف المتصلة بالإنسان للتعامل معه من هذا المنطلق المعرفي الثنائي خاصة في موضوعات النفس بما يضمن صحتها وسلامتها وتوازنها لأن الإنسان في المنظور القرآني كيان متكامل ويجب ألا ننظر إليه من ناحية سلوكه الظاهر ونلغي ما في باطنه من مشاعر وخواطر وخلجات تستند إلى النيات أي الدوافع والاتجاهات ، بل نجمعهما معًا ، لتظل العلاقة بين النفس والقلب والعقل والروح في اتصال بجسد الإنسان ووظائف أعضائه ، علاقة وثيقة ومتشابكة ومتداخلة ، كل فيما هو ميسر له ومهدي إليه في تكوينه الطبيعي من خالقه ، وقد وضع القرآن مبدأ اجتماعيًا وتربويًا مفادة أن الإنسان هو أساس «التغيير» في المجتمع وفي الدولة فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد :١١] كذلك إلى الأفضل أو إلى الأسوأ أي نحو التقدم أو نحو التأخر ، بإمكانيات تنبع من تربيته الشخصية المتوازنة السوية ومن تحققه بمكارم الأخلاق التي توجهه في سلوكه وفي علاقاته وتعاملاته مع الآخرين ومن تحققه بالعلم النافع والعمل الصالح والتعليم المفيد والثقافة البناءة الإيمانية .

***

القرآن والتطوير الإلهي الموجه للجنين

تتحدث آيات من القرآن العظيم عن التطور الإلهي الموجه في خلق الإنسان في بطن ورحم الأنثى (الأم) ففي الآية السادسة من سورة الزمر يقول القرآن العظيم: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ والظلمات الثلاث في الآية هي ظلمة البطن والرحم والمشيمة التي بداخله وفيها يتم تكوين الجنين وتصويره ونفخ الروح فيه وتدبير أمره حتى يولد لا يعلم من العلم شيئًا كما يقول القرآن العظيم: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨] . والأفئدة هي العقول .ونسوق بعض الآيات في القرآن العظيم الدالة على التطور أو التطور الإلهي الموجه منه سبحانه في تخليق الجنين في بطن ورحم الأنثى وفي حياة الإنسان بعد الميلاد وحتى الموت ثم البعث :

١ -﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١- ١٦] .

٢ -﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾[الحج :٥] .

٣ -﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ

تَعۡقِلُونَ ﴾[غافر:٦٧] .

النطفة

ويتحدث القرآن العظيم عن (النطفة) من المني الـذي يمنيـه الرجـل (الـذكر) باعتبارها المكون الذي خلق الله الخالق منه الإنسان عبر مراحل تطـويره في رحـم وبطن الأنثى ، والمني هو السائل الحامل للنطفة (خلايا التناسل) فإن سـر الحيـاة موجود في النطفة المتناهية الضآلة ويبدأ تكوين الإنسان من اندماج نطفتـي الـذكر والأنثى (الزوج والزوجة) اندماجًا ناجحًا ينـتج عنـه الإخصـاب الـذي يتمثـل في النطفة الأمشاج المختلطة (ZYGOTE) والتي اختلطت فيهـا الشـفرة الوراثيـة في نطفة الذكر (الزوج) مع الشفرة الوراثية لنطفة الأنثى (الزوجة) فيأتي الجنـين عـلى قـدر مـن التشـابه والاخـتلاف مـع الأبـوين . أي أن النطفـة هـي خليـة التكـاثر (GAMETE) سواء كانت مؤنثة أو مذكرة واستعملها القرآن العظيم في العديد مـن السور مثل النحل والكهف والحج والمؤمنون وغيرها . وأحـب أن أؤكـد هنـا أن تعقيد بناء الخلية الحية بنفي امكانية إيجادها (خلقها) بغير تدبير حكيم مسبق كما أن تعقيد بناء العضيات المختلفة في الخلية الحية وبناء الشفرة الوراثية ينفـي ذلـك نفيًا تامًا مطلقًا .

فكل نشاط طبيعي أو كيمائي أو حيوي وكل ما ينتج عن تلـك الأنشـطة يؤكـد حقيقة الخلق وعلى رعاية الخالق سبحانه وتعالى . فالشفرة الوراثية سـجل محكـم من المعلومـات والأوامـر المنظمـة تنظيمًـا مـذهلا تنفـذ بدقـة مبهـرة عـلى أدق التفاصيل مما يعطي الخلية الحية في أبسط صورها مسـتوى مـن عظمـة التصـميم وتعقيد البناء ومستوى من التنفيذ لا يمكن أن تصل إليه أكبر المصانع التي أنشـأها الإنسان كما أنه يستحيل على اكبر التقنيات تقدمًا في عصرنا إنتاج واحدة من أبسط الخلايا الحية على الرغم من معرفتنا بتركيبها الكيمائي الدقيق معرفة كاملـة ، وهـو

ما فشل فيه في الماضي العالم الروسي المعروف أوبارين (OBARINE) .

إن النطفة عبارة عن خلية تناسلية حية واحدة وهي المقصودة بالنفس الواحدة التي ذكرتها بعض آيات القرآن العظيم وهي تنقسم وتتكاثر في بطن الأنثى ورحمها كما يقول القرآن العظيم في سورة النساء : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ فالنفس الواحدة في هذا الاستعمال في الآيات هي الخلية الحية الواحدة (التناسلية) التي تعتبر وحدة الحياة وسر تكاثرها : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام:٩٨] .أي موضع استقرار في الأرحام وموضع استيداع في الأصلاب .

أما الآية (١٨٩) من سورة الأعراف التي تقرأ: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ فتشير إلى السبب والكيفية التي أوجدت النطفة من مني الذكر وهي المعاشرة أوالتزاوج بين الذكر والأنثى (فلما تغشاها) وتشير إلى استمرار الوضع (فمرت به) ثم الحمل وحجمه الكبير الثقيل في بطن الأنثى (فلما أثقلت) ثم الولادة والنسل الصالح وهو الذرية التي تخرج إلى الوجود كما ذكرت الآية (١٩٠) :﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا ﴾ ومن المفسرين من يذهب إلى أن الآيتان تشيران إلى آدم وزوجه حواء وذريتهما الناتجة عن المعاشرة والتزاوج بينهما أما (ليسكن إليها) فتشير إلى التسكين والتثبيت في التكوين الذي تساهم فيه النطفة وبويضة الأنثى معا . والله أعلم .

الماء

يحدثنا القرآن العظيم عن (الماء) باعتباره أصل كل شيء حي فيقول في الآية الثلاثين من سورة الأنبياء : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ وفي الآية الخامسة والأربعين من سورة النور يقول : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾ ونحن نعلم الآن أن

الحياة بدأت في الخلية في مياه الأرض عبر فترات زمنية ممتدة أشار إليها القرآن العظيم ولكن دون أن يحدد مقدراها الزمني .

إن الجنين في بطن الأنثى ورحمها خلقه الله من نطفة يقول عنها القرآن العظيم : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ [المرسلات ٢٠- ٢٣] .

كما أننا نعلم الآن أيضًا أن الماء يشكل العنصر الأساسي في بناء أجسام جميع الكائنات الحية وأن جميع الأنشطة الحياتية والتفاعلات الكيميائية اللازمة لإمداد الخلايا بالغذاء لا تتم إلا بوجود الماء ، وبالنسبة للإنسان فإن الماء يكون حوالي٧٠٪ من الدم تقريبًا وحوالي ٦٠٪ تقريبًا من الوزن الكلي للإنسان .

إن الإنسان يتميز بالمخ وبالعقل اللذان ذكرهما القرآن العظيم في الآية (٣٥) من سورة النور في المشكاة (وهي الدماغ) والمصباح (وهو العقل) والزجاجة (وهي المخ) والشجرة المباركة الزيتونة اللاشرقية واللاغربية (وهي الكهرومغناطيسية) بقطبيها الشمالي والجنوبي والمصدر النوري لها باعتبار ذلك مثل لنور الله الذي هو حقيقة نور السماوات والأرض (أي الكون) المكهرب في بنيته الذرية وطاقاته النجمية من خلال النور والنار وهما سر القدرة والطاقة عند الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧] . وفي كل يوم غير يوم القيامة : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٧٤] . كما يتميز الإنسان بالقلب وفرَّق القرآن العظيم بين القلب كغدة صماء (HEART) توزع الدم على سائر أعضاء الجسد بما فيها المخ وقال عنها سيدنا رسول الله ﷺ أنها مضغة في الجسد إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله (أمراض القلب) كما فرَّق القرآن بين القلب باعتباره الطاقة المساعدة للمخ في

الوظائف في المركز (CORE) الداخلي في الإنسان في تواصل مع (النور) في أسرار الكهرومغناطيسية في مثل نور الله نور السماوات ويصعب تحديد مكانه الأرض (الكون) المضروب في القرآن العظيم في الآية الخامسة والثلاثين في سورة النور والذي تحدث عنه الدكتور أندرو أرمور في أبحاثه عنه القلب وهو من المؤسسيين لعلم أعصاب القلب (NEURO CARDIOLOGY) وأثبت أن هناك تواصلا بين القلب والمخ وأن للقلب دور فعال في المشاعر والأحاسيس عن طريق آليات عصبية وميكانيكية وكهرومغناطيسية وكيميائية (١) .

وفي كتاب (القلب الذكي) ، يوضح مؤلفاه دور القلب في توجيه حياتنا الفكرية والشعورية ، بأسلوب رشيق لا يحيد عن الدقة العلمية فيقولان :

«مع كل نبضة لا يدفع القلب دفقة من الدم فقط ، بل يبعث برسائل (عصبية – هرمونية – ميكانيكية – كهرومغناطيسية) إلى المخ ، محملة بالكثير من المعلومات فإذا كانت نبضات القلب في توافق عال (من ناحية المعدل والتناغم) فسوف تصل هذه المعلومة إلى المخ فتتحسن وظائف القشرة المخية (الحسية والإدراكية والمعرفية والذهنية والنفسية) ويؤدي ذلك إلى صفاء عقلي ونفسي ، مع قدرة أعلى على وزن الأمور واتخاذ القرار ، فتنفجر القدرات الإبداعية للإنسان ويؤدي ذلك كله إلى قدر عال من التوافق العقلي والتوافق النفسي) . انتهى وصدق الله العظيم وصدق ما يقوله في القرآن العظيم عن القلب العاقل والقلب الفاقه : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩] . ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦] . وقد تحدث عن أوصاف أخرى كثيرة للقلب منها الاطمئنان والتقوى والعمى والاشمئزاز والسكينة والرأفة والرحمة والختم والمرض ومختلف الآفات كالنفاق والغيظ والكبر والحسد .. إلخ .

(١) يراجع تفاصيل ذلك كتاب الأستاذ الدكتور عمرو شريف (ثم صار المخ عقلا) الناشر مكتبة الشروق الدولية .

الطين

يقول القرآن العظيم إن الله خلق البشر (أيا كان أسلوبه في الخلق) من سلالة من طين (الماء+ التراب) أي من عناصر طين الأرض فيقول : ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ السجدة:٧] .فمن الأرض خلق الله الإنسان .وفي الأرض يقبره بعد الموت ومن الأرض يخرج كل الناس عند البعث في الوقت الذي لا يعلمه أحد سواه فيقول القرآن العظيم : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥] . أو كما يقول :﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح:١٧-١٨] وأنبتكم في معنى الآية مكتملة يعني أخرجكم ولا يعني أنبت لكم أو أخرج لكم . إن تركيب جسم الإنسان في مجموعه يشبه التركيب الكيميائي لتراب الأرض المختلط بالماء (الطين) مع زيادة واضحة في عناصر الأكسجين والهيدروجين والكربون والفوسفور في جسم الإنسان ويسود فيه عنصر الكربون (حوالي ٣٠٪ تقريبًا) برغم الضعف الكبير في الجسم لعنصر السليكون الذي يوجد بنسبة عالية في كائن من الكائنات الحية على سطح الأرض وحيدة الخلية تعرف باسم الدبوتومات (DIATOMES) .

النفخة من الروح

يقول القرآن العظيم :﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص:٧١-٧٢] .

النفخ من الروح في الإنسان عطاء من رب العالمين خالق الإنسان تميز به هذا المخلوق عن غيره من المخلوقات الجمادية والنباتية والحيوانية كلها منفردًا بها ومستقلا تماما عنها من خلال أسرار قوى الروح وطاقاتها وقدراتها وخواصها وخصائصها خاصة في (العقل) وقدراته وقواه وسطوته مما نعرف ومما لا زلنا لا

نعرف عنه وعما يتصل به في تركيب الإنسان من قوى وطاقات ..إلخ يقول القرآن العظيم :﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥] . وبالنفخ من الروح من رب العالمين الخالق بعد التسوية صار للإنسان قدرة وطاقة ونشاط وحركة وحياة وإرادة حرة وبيان وعلم وإدراك ومشاعر وأحاسيس بالجمال وبالجلال وبالكمال وإدراك بالبصر (الحواس) أي الإدراك الحسي (S. P) [(١)] وبالبصيرة والإدراك فوق الحسي (E. S. P) [(٢)] وحتى صار الإنسان متصفًا بكل الصفات التي يتصف بها والقدرات التي يتميز وينفرد بها كما خلقه ربه وسواه وعدله وكما أبرز نموذجه المتميز آدم العاقل أول البشر العاقلين الذي نفخ الله فيه من روحه في خلق مكتمل وغير منقوص منذ البداية وجعل سكنه وسكينته وسكونه فيما وصفه القرآن العظيم بالجنة .وقد كان العامل الأساسي في خروج وهبوط آدم العاقل وزوجه من مكان ومكانة (حالة) الجنة إلى مكان ومكانة حالة الأرض هو الشيطان .

وقد تحدث القرآن العظيم عن الشيطان ودوره في غواية آدم وغواية بني آدم وذريته من بعده حتى قيام الساعة ، وتحدث عن شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا . إن من بني آدم من استحوذ عليهم الشيطان (فأنساهم ذكر الله)وأولئك حزب الشيطان وهم الخاسرون ويقول القرآن العظيم أيضًا ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف:٢٧] .فقد اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله وكل ذلك من خلال كون الشيطان عدو للإنسان وأغواه ليكفر ويأمره بالفحشاء والمنكر ويصده عن سبيل الله وصراطه المستقيم ويضله ضلالا بعيدا ويعد الناس من أوليائه ويمنيهم ولكنه ما يعدهم إلا غرورا ويزين لهم أعمالهم ويوسوس لهم بالشر وبمخالفة أمر الله في رسالاته وأوامر

(١) (SENSORY PERCEPTION) .

(٢) (EXTRA SENSORY PERCEPTION).

ونصائح وتوجهات رسل الله ويحذر الله الناس كافة من أن يفتنهم الشيطان كما اخرج أبويهم من الجنة فيقول : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف:٢٧] .

ويوجهنا القرآن العظيم إلى اللجوء إلى الله وذكره والاستعاذة به إذا مسنا من الشيطان نزغ : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف:٢٠٠] . ويقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠١] . لقد كان الشيطان للإنسان خذولا وللإنسان عدوا مبينا ولذلك يقول لنا القرآن العظيم : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦] .

وقد أورد لنا القرآن العظيم حوارا تمثيليًا بين الشر وبين الخير من مصدريهما المتمثلين في حديث (الله) وحديث (إبليس) في وصف شامل لكيفية وصول الشر بمصدره الإبليسي الشيطاني إلى الإنسان ليحترس منه كل إنسان ولنتذكر ونتدبر ونحتاط من غواية الشيطان (إبليس وقبيله) لنا في حياتنا وكل مجالاتها وفي كل استعمالاتنا غير الأخلاقية لعلمنا الحاضر والمستقبلي وخص بالذكر ما نعلمه ونسميه الآن (بالهندسة الوراثية) وتأثيراتها على الإنسان وعلى خلق الله وذلك حين يقول القرآن العظيم على لسان إبليس الشيطان مصدر الشر وضروبه المضرة : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء:١١٩] . ﴿ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء:١٢٠] . ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴾ [النساء:١٢١] وهو بذلك يحذرنا ويحذر العلماء منا من الخروج عن القيم الأخلاقية والمُثل الدينية في مكارمها من

خلال التطبيقات العلمية والتكنولوجيات المتقدمة بإتباع التوجيهات الشيطانية (الإبليسية) المضرة غير النافعة في الخير أو المصلحة الإنسانية وإنما فيما هو شر أو مضر بالإنسان فيما يبغيه ويقصده الشيطان (إبليس) من قوله : (ولأمرنهم فليغيرن خلق الله) والذي يحذرنا منه القرآن العظيم في احتمال حدوثه : ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ أي احتمال حدوثه في جانب الضرر والشر والفساد (الشيطان إبليس)لا في جانب مكارم الأخلاق والخير والصلاح والإصلاح (الله) من جانب الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين يقول عنهم القرآن العظيم في آخر الآيات التي ذكرناها أعلاه من سورة النساء :﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[النساء:١٢٢] .

وانتقل إلى الحديث عن الوعي عند الإنسان . الوعي عند الإنسان عنصر معنوي وليس مادي ولا يستطيع أحد عالما كان أو غير عالم أن يضع أصبعه على مكانه في الإنسان أو أين يكون في جسده المسوي . أن الوعي يتصل بمصدر له غيبي هو(الروح) الذي نفخ الله منه في الإنسان بعد تسويته الجسدية الهيكلية بكل مكوناتها ، فالوعي يتصل بالعقل وبالقلب وبالمخ وبالفؤاد وباللب وبالنُهى عند الإنسان ولا تزال الصلة أو العلاقة بين الروح وطاقاتها وبين مكونات الإنسان التي ذكرنا سر غامض غائب عن العلماء الماديين والملحدين ويحتاج إلى تكاتف وتعاون منهم مع العلماء المؤمنين وعلماء الروحية الحديثة وعلماء ما وراء الطبيعة والباراسيكولوجي لتكشف أنواع هذه العلاقة وهذه الصلة القائمة في بحوثهم العلمية في المستقبل ولا يهمنا في شيء أن يكون المجتمع العلمي المعاصر في الشرق أو الغرب منقسم على نفسه بين منكر لحقائق الغيب ومؤمن بها لأن مجالات العلم والمعلومات تشمل عالم الشهادة الذي يتميز فيه العلماء ،وعالم الغيب الذي مازال العلماء متخلفين فيه وهو عالم واسع عظيم مليء بالقدرات

والطاقات التي لا يعلم العلماء عنها اليوم إلا القليل .

الوعي الإنساني في القرآن العظيم :

لقد حدثنا الدكتور ستانلي كريبنر في بحث قدمه عام ١٩٦٧م باللغة الإنجليزية في مؤتمر عقد بباريس عن حالات أو مستويات للوعي الإنساني تشمل ما يلي أو ما يكون قد زاد عليها منذ ذلك التاريخ :

١-الإحساسات والمشاعر الجسدية . (Bodily feelings)

٢-ذكريات مختزنة . (Stored Memories)

٣-كوما أو غيبوبة . (Coma)

٤-الوعي الاندماجي . (Stupor)

٥-نوم حركة العين الطبيعية . (Normal Eye Movement Sleep)

٦-نوم حركة العين السريعة .(Rapid Eye Movement Sleep)

٧-وعي الضمير العلمي . (Pragmatic)

٨-الوعي عند اللامبالاة .(Lathargic)

٩-الوعي عند القلق الزائد . (Hyper Alert)

١٠-الوعي اللحظي . (Rapturous)

١١-الوعي الهستيري. (Hysterical)

١٢- الوعي الجزئي . (Fragmemtal)

١٣-الوعي المتأخر .(Retarded)

١٤-الوعي المجتمعي .(Sociopthic)

١٥- الوعي العداوني أو الشرس كما في الحيوانات .(Feral)

١٦-الوعي المسترخي . (Relaxed)

١٧-أحلام اليقظة . (Day Dreming)

١٨-الوعي الغائب أواللاوعي .(Trance)

١٩-الوعي المتمدد . (Expanded)

٢٠-الوعي المتراجع . (Repressed)

القرآن والوعي الإنساني

وتدخل هذه الحالات كلها فيما تحدث عنه القرآن الكريم من حالات ومستويات للوعي الإنساني أجملها في ما يلي :

١-ما دون الجهر :وهو يظهر على ملامح الإنسان في وجهه وفي أقواله أو أفعاله التي يعبر بها عن حالات له تظهرها تقاطيعه وملامحه فيما يعتريه ومن التخافت .

٢-الجهر :وهو يظهر فيما يجهر به الإنسان من قول أو فعل .

٣-السر: وهو ما يخفيه الإنسان في صدره أي في عقله لأن العقل هو المصدر الذي يصدر عنه عمل الإنسان سواء في الشعور أو في ما يعلوه وحتى بدايات اللاوعي .

٤-المكتوم :وهو ما يكتمه الإنسان وهو يأتي في درجة ما قبل السر مباشرة لأنه غير السر ، والمكتوم قد يظهر في الجهر من القول أو العمل أو التصرف ، عند الانفعال أو الشعور بالضيق الشديد .

٥-ما يخفي :ويشمل الدافع والنية والقصد وهو ما يخفي على غير صاحبه .

والدافع والنية والقصد يظل خافيًا حتى يظهر في الفعل أو القول .

٦-الخفا: مستوى من الوعي متغلغل في باطن الإنسان ونفسه وقد يغيب عن صاحبه فيما لا يعلم .

٧-الأخفى: ويشمل مراتب ودرجات وحالات لوعي الإنسان ما زالت مجهولة لا يعرفها أحد .

٨-المجهول .

كما أن الوعي في القرآن الكريم عند الإنسان يشمل وعي الحاجة أو الرغبة والوعي عند الانفعال كالغضب مثلا والوعي أثناء النوم أو اللاوعي عنده كما في الرؤى الصادقة ووعي ما يلهم به الإنسان وقد يكون من طاقات روحية أو عقلية خارجية موجودة لكنها غائية عنا وغير مشهودة لنا ، والوعي الروحي في القبر أو البرزخ بعد الموت . وطبعًا هناك حالة للإنسان ينعدم فيها الوعي عنده كليًا ربما تكون هي حالة (الوفاة) التي يتوفى فيها الله الأنفس حين تموت ويمسكها في حالتها هذه التي يكون فيها الوعي مفقود تمامًا أو منعدم كليًا . والله أعلى وأعلم.

الفتح الحادي عشر:

القرآن العظيم ونعم الله

يحدثنا القرآن العظيم عن مجموع من النعم المختلفة والكثيرة التي أنعم ربنا بها على الإنسان ويقول عنها القرآن العظيم : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم :٣٤] . وفيما يلي آيات من القرآن العظيم تبين نماذج وأمثلة من نعم الله على الناس .

-﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٥- ١٦] .

-﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم :٣٢- ٣٤] .

-﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠- ٣٣] [1] .

-﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ

(١) وقارن نظرية الانفجار العظيم . (BIG BANG)

ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ
﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا
وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي
ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ
يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ
إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل:٤– ١٨] .

–﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ
دَٰخِرُونَ ﴾ [النحل:٤٨] .

–﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ
لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن
ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾
وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ
فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ
لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٦٥– ٦٩] .

–﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ
وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾ [النحل:٧٢] .

–﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ
وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا
يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [النحل:٧٨– ٧٩] .

–﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ
ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴾

[النحل:٨٠] .

-﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل:٨١- ٨٣] .

-﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾ [النبأ: ٦- ١٦].

-﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [عبس :٢٤- ٣٢] .

-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣] .

-﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [فاطر:٩] .

-﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر:٢٧- ٢٨] .

-﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ

كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ﴾ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ﴾[الأنعام:١٤١ - ١٤٤] .

-﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[الأنعام:٩٥ - ٩٦] .

-﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾[الأنعام:٩٨] .

ونختتم هذه الآيات بما ختمت به سورة الأنعام :

-﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[الأنعام:١٦٥] .

الفتح الثاني عشر:

القرآن معجزة عقلية

القرآن معجزة عقلية يقوم إدراكها على التفكير والتدبر والفهم والعلم ومحاربة التقليد الأعمى أو الجمود والانغلاق والتشدد والتطرف أو التسليم لتبعية الهوى أو التأويل والفهم الخاطئ . وعشرات الآيات تؤكد هذه الحقيقة ، ويكفي تأمل المفردات التالية في آيات القرآن لتكون دليلاً قاطعًا : أولى الألباب ، أفلا تعقلون ، يتفكرون ، يعقلون ، يتدبرون ..إلى آخر ألفاظ الإدراك والفهم في آيات القرآن الكريم كما في الآيات الكريمة :

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:١٠٩] .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد:٣] .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢] .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:٩٧] .

﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة:١٩٧] .

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:١٩٠] .

ومن هنا يتأكد لنا أن التعامل مع هذه المعجزة العقلية ينبغي أن يكون في مستوى الرشد والوعي المناسب لها ، وألا نتراجع بهذه المعجزة العقلية إلى المعجزات الحسية ، وأن نرقى بهذه المعجزة العقلية بعيدًا عن الأوهام والخرافات .

والقرآن معجزة عقلية لها الخلود ؛ لدوام تأثيرها في العقل على مر العصور ولا ترتبط بعصر نزول القرآن ، كما هي الحال في المعجزات الحسية ،والعقل الإنساني مطالب في كل عصر وكل زمن يتدبر الخطاب الإلهي وفهمه فهمًا حضاريًا إيمانيًا عقلانيًا وعلميًا في اعتدال ويسر واستنارة .

وليس في القرآن العظيم في آياته ما يخلو من إشارة دالة أو لحمة موحية للعقل الإنساني تدله وترشده إلى العلم والمعرفة إلى الحد الذي جعل كثير من العلماء يعتبر النظر العقلي وأدلته التي أشار إليها القرآن وجها من وجوه إعجازه إن القرآن يعتبر نقطة تحول حاسمة لا في تاريخ الدين والحضارة الدينية فحسب بل أيضًا في تاريخ الفكر والعلم بالمعنى الديني والعلمي والفلسفي وذلك لاحتواء القرآن على المبادئ والسنن التي تمثل الضوابط والمتطلبات الإلهية للعلوم والمعارف الإنسانية على النحو لذي يجعل (الوحي) مع (الوجود) مصدرًا ومنطلقًا للعقل الإنساني في هذه العلوم والمعارف . وقد بدأ النظر العقلي والتفكير والبحث وإثارة الأسئلة منذ الأيام الأولى لنزول القرآن وما نشأ من آياته من يقظة فكرية ، وعلى أساس من تعظيم القرآن للعقل والعلم والمعرفة ، ورفعه وإعلائه لشأن العلماء وأيضًا على أساس ما اشتمل عليه من فكرة (الحق) ومن أصول النظرة إلى الكون ومن هنا أقبل المؤمنون بالقرآن على النظر والتفكر والبحث والتبصر والتدبر الذي جعلهم القرآن أساس الإيمان ، وكانوا أيضًا أساس بناء الحضارة الإسلامية . إن النظر العقلي الذي دعا إليه القرآن العظيم لم يكن نظرًا مجردًا بل كان وسيلة لهدف وغاية هي نفسها الغاية من وجود الإنسان على هذه الأرض لأن الإنسان هو محور اهتمام القرآن وهو الذي جعله الله في الطور الآدمي خليفة في الأرض وفضله في إنسانيته على كثير من سائر المخلوقات وميزه بالعقل والإدراك والوعي من نفخة الروح فيه وحمّله أمانة عمارة الأرض وصنع الحضارة فيها وليكون مسئولا عن استخدام وسائل الإدراك كلها الحسية : ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ

مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء:٣٦] وما زاد عليها من خلال سطوة العقل وقدرات البصيرة . (E . S . P) [١] هذا وإن النظر العقلي في القرآن العظيم كان من ضمن غاياته :

١-بناء العقل البشري بناء سليما عن طريق التفكير الصحيح والمنطقي القويم الذي جاء به القرآن .

٢-إدراك أسرار الموجودات عن طريق دراسة حقائق الأشياء دراسة علمية دقيقة شاملة واكتشاف الجديد فيها وفي كل جوانب الحياة .

٣-الإيمان بوجود خالق عزيز حكيم وإخلاص العبودية والعبادة له وحده دون شريك .

٤-إقامة الحياة في الأرض على أسس من الحق والعدل وفي إطار التعاون على الخير والإصلاح والصلاح (البر والتقوى) بتسامح ومساواة وتقوى وإخاء إنساني شامل .

٥-تنمية قدراته وتكوينه بالعلم وصحيح الفهم والتفكير والتدبر إيقاظًا للعقل من الغفلة والجمود والتقليد الأعمى والتطرف والتشدد والانغلاق والتعصب ، لأن إيقاظ عقل الإنسان هو باب تكريمه وهدايته وتمدنه وحضارته .

أما مفهوم(التسوية) للبشر ثم (التعديل) للإنسان كما حدثنا القرآن العظيم فيشير إليه في جانب منه اختلاف الإنسان عن أرقى الحيوانات في حوالي ٢٪ من شفرته الوراثية العاملة وفي هذه النسبة يكمن سر التفوق المعرفي الشاسع للجنس البشري على غيره من الحيوانات إذ أن هذا الاختلاف في نسبته الضئيلة أدى إلى نمو ضخم للقشرة المخية أضاف مخزنا للمعلومات في خلايا المخ يتسع لحوالي عشرة تريليونات (واحد على يمينه ١٣ صفر) معلومة إضافية (BIT) .ويقول لنا

(١) (EXTRA SENSORY PEREPTION)

القرآن العظيم :﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس:٨٦] .وتوضح مفهوم هذه الآية القرآنية الحقائق التالية : « يبلغ حجم مخ الطفل الوليد ربع حجم مخ الإنسان البالغ ثم ينمو المخ ويمر بعدة أطوار إلى أن يكتمل نضجه ، ويتقدم العمر الإنساني ويطرق أبواب الشيخوخة .فيصاب المخ بالضمور وتنخفض عدد خلاياه العصبية فترق قرته المخية ويتباطأ التواصل بين مراكزه المختلفة كما ينخفض معدل إفرازه للناقلات العصبية الكيميائية .. ويصحب هذا الانتكاس تدهور في وظائف المخ العقلية والوجدانية والسلوكية والشخصية ، وفي الحالات الشديدة (عند الشيخوخة) يستمر التدهور التدريجي حتى يفقد الإنسان ذاكرته وشخصيته تمامًا ويصاب بسلس البول والبراز ويحيا حياة حيوانية لا يعي منها شيئًا مما حوله ويحتاج لمن يقوم بإطعامه والاهتمام بجميع حاجاته[1] . وفي كتاب «الطب النفسي المعاصر» الصادر عام ٢٠٠٩ للأستاذان الدكاترة أحمد عكاشة وطارق عكاشة يقسم المؤلفان التغيرات التي تصيب مريض عند الشيخوخة إلى أربعة مجموعات كالتالي :

١-تغير عقلي : فيضطرب الفهم ويتشتت الانتباه ويصعب التركيز وتضمحل الذاكرة تجاه الأحداث القريبة أولا ثم تمتد لتشمل كل حياة الفرد ، مع اضطراب في تعرف الزمان والمكان وتدهور القدرة على الحكم والتقدير السليم مع التأرجح الواقع في درجة الانتباه .

٢-تغير وجداني : يظهر عدم التناسب الوجداني والضحك والبكاء دون سبب وبطريقة اندفاعية فجائية .

٣-تغير سلوكي: يسلك المريض سلوكًا غريبًا عن طبيعته كالاستغراق في

(١) مقتطفات من كتاب »كيف بدأ الخلق « الفصل التاسع «نشؤ الإنسان» للأستاذ الدكتور عمرو شريف وفيه إشارة إلى ما جاء في كتاب «الطب النفس المعاصر» الذي ذكرناه للدكتور أحمد عكاشة والدكتور طارق عكاشة.

الجنس واستعراض أعضائه التناسلية أمام زوجته وأولاده وأحيانًا أصدقاؤه مع التصرف الصبياني في كثير من نواحي نشاطه العام .

٤-تغير في الشخصية :ويأخذ ذلك طابع الأنانية والسلبية وكثرة الطلبات وضيق الاهتمامات والعزلة عن الناس مع حب التملك والسيطرة .

القرآن والتربية

أسس التربية في القرآن الكريم تقوم على محورين :

المحور الأول :تقوية الإيمان ؛ إذ هو الدافع والمحرك لكل الفضائل .

المحور الثاني : العمل الصالح الموافق لهدى القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ ويرجى به وجه الله – عز وجل – فالرجل الذي جاء إلى رسول الله ﷺ يستفتيه في حاله قائلاً : يا رسول الله . إني أقف الموقف العظيم وأعمل العمل الكبير أريد وجه الله ، غير أني أريد مع ذلك أن يقول الناس عني خيرًا ، إنه رجل مغرم بالشهرة والثناء ، فأنزل الله فيه آخر سورة الكهف ، قال الله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف :١١٠] .

وتقوم التربية في القرآن على الإقناع والترغيب انطلاقًا من أن الإكراه على الفضيلة لا يصنع الإنسان الفاضل ، ولذلك ركز القرآن في التربية الإيمانية على إقناع العقل بهدي القرآن من أوامر ونواهٍ بإظهار الحكمة من ورائها وبيان الثمرة التي تُرْجَى من طاعة الله ، وبيان العاقبة لمن عصى ، فمثلاً حين يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نؤمن به فإنه يبين أحقيته بهذا الإيمان فهو فاطر السماوات والأرض وهو المحيي وهو المميت ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:٣] .

وحين ينهانا الله – عز وجل – فإنه يبين الحكمة من هذا النهي كما في قوله

تعالى في سورة الآداب الإنسانية والأخلاق الاجتماعية (الحجرات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[الحجرات:١١] .

ومثل ذلك في القرآن كثير ، فالله – سبحانه وتعالى – يقرن الأمر بعلته ويقرن النهي بعاقبته .

ثم ضرب القرآن الكريم أمثلة عملية من تاريخ البشرية لتكون نموذجاً تطبيقيًا لمن اتبع وأطاع ففاز ، ولمن خالف وعصى فضلَّ وهلك .

إنها نماذج عملية للتحذير كي لا تقع فيمثل ما وقعوا فيه فنضل ونشقى ، وهكذا يغرس القرآن الكريم في عقول الناس وفي قلوبهم أدب الإيمان حتى يصيروا قرآنيين متأسين بحبيبهم المصطفى ﷺ الذي وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها بقوله :«كان خلقه القرآن» لقد كان ﷺ قرآنًا يمشي على الأرض وكان كما قالت أم المؤمنين «قرآنا حي» .

القرآن ونماذج الفضيلة :

لقد قدم القرآن الكريم أفضل النماذج الهادية لنقتدي بها ، فنكون ممن رضي الله عنهم وتولاهم بعنايته ، فقدم لنا نموذجًا للعفة والطهارة نقتدي به فلا نسقط في الفتنة ولا تزيغ قلوبنا مع الهوى ، يتجلَّى هذا النموذج واضحًا في نبي الله يوسف عليه السلام وقصته مع امرأة العزيز ، واستعصامه بربه ، فنجَّاه الله – عز وجل – وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ يوسف:٣٣] .

كما قدم لنا القرآن نموذجًا للقوة مع الأمانة ،وتجلي هذا النموذج واضحًا في نبي الله موسى – عليه السلام– وذلك حين سقى لابنتي شعيب – عليه السلام –

وغلى ذلك تشير الآيات الكريمة :﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص:٢٣- ٢٦] .

ويقدم القرآن الكريم نموذجًا هاديًا للبحث المنهجي والتفكير العلمي وعدم التبعية للموروث الخاطئ والتقليد الأعمى ،وقد تجلى هذا النموذج في نبي الله إبراهيم – عليه السلام- في قصة إيمانه وإعراضه عن عبادة الشمس والقمر حتى هداه الله لعبادة الحق الواحد الأحد : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّىۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّىۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:٧٥- ٧٦] .

كما لفت القرآن الكريم أنظارنا إلى نموذج فريد في الصبر على البلاء ، وتجلَّى هذا النموذج واضحًا في نبي الله أيوب – عليه السلام- الذي صبر ابتغاء مرضاة الله وكان دعاؤه في أدب جم وإيمان عميق ويقين ثابت ، يظهر ذلك في قول الله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٣] .

كما قدم لنا القرآن الكريم نموذجًا عظيمًا في التماسك وعدم الذوبان في الآخر، ويتجلى هذا النموذج واضحًا في فتية الكهف الذين آمنوا بربهم ، وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة :﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ

لَقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف : ١٣ - ١٦] .

ثم أجمل الله في القرآن الكريم كمالات الأسوة ومعالي القدوة في سيدنا محمد ﷺ فدعانا إلى التأسي به ، كما في قوله تعالى :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١] .

وهكذا نجد أن القرآن الكريم قدم نماذجا هادية للفضيلة كي تكون عونًا لنا في المجال العملي ولتكون على درب الصالحين والفالحين .

«أما عن آفاق التربية القرآنية فهي تشمل علاقة العبد بربه ،وتشمل علاقة العبد بنفسه ، وتشمل علاقة العبد بغيره من الناس ، وتشمل علاقته بكل المخلوقات وبالكون من حوله ، ولكل علاقة من هذه العلاقات آداب وهدايات يرقى بها الإنسان إلى منازل الرضا ودرجات المقربين ، ويتحول الإنسان بهذه الآداب وتلك الهاديات من إنسان كنود هلوع جزوع إلى إنسان يشكر ربه : يرجو خيره ويأمن سوء العاقبة يعفو ويتسامح ويغفر ، ويعطي ويؤثر على الخير سبَّاق ،وإلى مرضاة ربه يسارع والله – سبحانه وتعالى – يقول : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩] .

المنهج القرآني لتربية النفس :

الإصلاح والمداواة قبل العقاب والمجازاة والتدرج قبل القهر . حقيقة يقوم عليها منهج القرآن في تربية النفوس ، حيث يركز القرآن على غرس حب الفضائل وبغض الرذائل في النفوس ؛ كي يكون الخير نابعًا من داخل النفس الزكية وليس مفروضًا عليها بقوة من خارجها ، فيقظة الضمير وتربية الإحساس بأن الله رقيب

علينا أمر أساسي في تربية القرآن للنفس ، ومن الآيات التي نجد فيها هذه الحقيقة قول الله تعالى : ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك :١٣] .

وبهذا حوَّل القرآن مجتمع الهمجية والعدوان الجاهلي إلى مجتمع آمن يأمن فيه الناس على أعراضهم وأموالهم .

وهدي القرآن الكريم في تزكية النفوس لا يصادر الغرائز وإنما يهذبها ويتدرج في علاجها ويجعل لها وسائل إشباع من الحلال ، كما يربِّي القرآن في النفس القدرة على التحكم في المشاعر والسيطرة على الانفعالات الجامحة التي تؤدي إلى ارتكاب الشرور والحماقات ويقول مادحًا :﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٤] .

كما يبث القرآن في النفس روح الإخاء وحب العطاء ، ولا يجعل التفاضل بين الناس بلونٍ أو لغة أو جنس أو مال أو غنى وإنما بالعمل الصالح ومكارم الأخلاق.

وقد رسم القرآن المنهاج العملي للإنسان ليرقى لمنزلة خير أمة أخرجت للناس إن هو اتبع هذا المنهج وطبقه في حياته .

*فبين أسس علاقته بربه ومولاه : أن يعبده ولا يشرك به شيئًا ، قال تعالى :﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر:١١] .

*وبيَّن القرآن علاقة الإنسان بنفسه التي سوَّاها ربنا بقدرته ، قال تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس :٧- ٨] .

*ووضح الله علاقة الإنسان بالكون : أن يتأمله وينظر فيه ليهتدي به إلى خالقه ومبدعه ، قال تعالى :﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود:٦١] . وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[يونس:١٠١] .

*ووضح الله للإنسان علاقته بالحياة الدنيا . أن يتخذها مزرعة للدار الآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:٢٠١] .

*ووضح علاقة الإنسان بأسرته ، فأقامها على المودة والرحمة ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[الروم:٢١] ،وجعل الله إكرام الوالدين عبادة فقال تعالى :﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة:٨٣] .

*ووضحت آيات القرآن علاقة الإنسان بجيرانه وإخوانه من حوله ، كما رسمتن الآيات الآداب الرفيعة التي يتعامل بها الإنسان في مجتمعه مع كل الناس فيه من ذلك ما جاء فيوصف عبدا الرحمن ، قال تعالى :﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٣] .

وأوضح القرآن العظيم علاقة المؤمنين به بأمتهم الكبرى بالاتصال بشعوبها ودولها والتواصل معهم والتضامن والتوحد معهم بالتعارف والتعاون وتبادل الخبرات والمصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ابتغاءًا وتوصلا للخير يَعُمَّ الجميع فيقول : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤] والآية دعوة للبناء والتعمير والتقدم وإعداد المسلمين لكل ما يستطيعون من قوة مادية ومعنوية في كل دولة من دولهم إذ يقول القرآن العظيم :﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال:٦٠] . والعمل بكل وسائل الخير والمصلحة والإصلاح والصلاح والبعد عن كل مضرة وكل أوجه التخلف الضار والتفرق والفرقة التي تؤدي في النهاية إلى الفشل والضعف والتأخر فيقول :﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣] . ويجب الامتثال والطاعة لله ولرسوله وللدين الخاتم فيقول :

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٦] .

إن القرآن العظيم هو البذرة الإلهية التي نبتت منها الشجرة الفارهة المثمرة للحضارة التي أقامها المؤمنون به الفاهمون له الفهم الصحيح وامتدت عبر عصورها الذهبية المزدهرة لسنوات طويلة[1] وسيظل هذا القرآن العظيم دائمًا هو المنارة الهادية للناس كافة في هذه الإنسانية عامة وللأمة المؤمنة به خاصة وشعوبها في كل دولها وأوطانها ومجتمعاتهم، يضيء بالنور والهداية طريق نهضتها وخطوات الإصلاح والتقدم فيها يقول : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣] .

ومن هذا الفهم لآيات القرآن قال فضيلة الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر محقًا تمامًا : «إن البحث النزيه المنصف لابد له أن ينتهي إلى أن الإسلام بريئ من بربرية وهمجية الأعمال الإرهابية ولا علاقة له بها لا نشاة ولا غاية ولا دعما بأي لون من أنواع الدعم حيث أن فلسفة الإسلام (والقرآن) في التعامل مع الآخرين لا تعرف مبدأ الصراع ولا التصنيف بين اسود وأبيض ولا بين شرقي وغربي وإنما تعرف مبدأ واحدا فقط في معاملة الناس هو مبدأ التعارف والقرآن لا يأمر بالحروب التي تحض على القتل وسفك الدماء وتشريد الآمنين وجنى الأرباح من مصانع الموت والتدمير والتفجير ومن هنا كانت الحرب في الإسلام (والقرآن) استثناءًا لا يُلجأ إليه إلا بحكم الضرورات القصوى التي لا محيد عنها بحال من الأحوال ... وإن المسلمين هم الضحايا الأكبر للإرهاب وأنهم المستهدفون بأسلحته وبطريقته البشعة في القتل وإزهاق الأرواح .. »[2] انتهى .

(١) والأندلس مثالها الأبرز .

(٢) في محاضرة لفضيلته ألقاها في سلطنة بروناوي بحضور برناوي الحاج حسن البلقية في ٧ مايو ١٩١٨ م

كذلك أكد فضيلة شيخ الأزهر الحالي الدكتور أحمد الطيب لرئيس أساقفة كانتربري السابق اللورد البريطاني جورج كاري مؤخرًا أن الأزهر يؤمن بأن الحوار بين الثقافات والأديان يجب أن ينتقل من الإطار النظري إلى التطبيق العملي في المجتمعات والاستفادة من طاقات الشباب وأفكارهم في تعزيز قيم السلام والتعايش وكسر حدة التوتر بين اتباع الديانات حول العالم مؤكدًا أن الأزهر الشريف (وهو القيادة الدينية الوسطية في مصر) وكنيسة كانتربري مؤهلان للقيام بدور كبير في إيجاد تفاهمات بين الشرق والغرب وفي نفس هذا الحوار والتفاهم بين الاثنين أكد السفير البريطاني في القاهرة حاجة الدول الأوربية إلى خطاب الأزهر ومنهجه الوسطي في تحقيق الاستقرار الاجتماعي في ظل التعدد الثقافي وأكد أن رسائل الإمام الأكبر شيخ الأزهر وخطاباته إلى الغرب تحقق الهدف المنشود وتدعو المسلمين في الغرب للاندماج الإيجابي في مجتمعاتهم .

القرآن ويوم القيامة

وفجأة .. وبغتة .. ومن حيث لا يشعر الناس يفاجأ الإنسان بالأحداث الجسام للانقلاب الكبير العظيم الذي يحصل في واقع الأرض الذي يحياه الناس واعتادوا عليه ولا يستطيعون دفعة . في سورة الزلزلة يقول القرآن العظيم : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ . إن القرآن العظيم ينذر البشرية والإنسانية بيوم الزلزلة لتحسب حسابها وهي مقدمة يوم القيامة وأحداثه المفزعة وأهواله المرعبة ورهبتها الهائلة والتي يصفها لنا في كثير من آيات سوره ويتوعدنا بحصولها منذرًا لنا لعلّ ذلك يجعلنا نتقي شر ذلك اليوم وأحداثه النظام أو يُحدث لنا ذكرًا ،وقد يسَّر الله القرآن للذكر ولكنه يقول : ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ في سورة القمر وقد ؟؟؟؟؟؟ سبحانه بالكثير من أنواع المواعظ والعبر وصرَّف فيه الكثير من الوعد والوعيد ليعتبر ويتعظ الناس ويقول مثلاً في الآية ٩٧ من سورة مريم : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ

بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾.أي زوي لَدو وشدة في الخصومة بالباطل وكذلك جاء في الآية ٥٨ من سورة الدخان :﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾.أي يتعظون فيؤمنوا به ويعلموا بهديه وهداه لينجوا بأنفسهم في الدنيا وفي الآخرة .

إن القرآن العظيم نذير من النذر الأولى بيوم القيامة فقد اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ، ما ينظرون إلا صيحة واحدة وهم يخصمون ويختصمون ويتخاصمون ولكنهم لا يستطيعون وضع أو تجنب أحداث القيامة التي تأتيهم : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس ٥٠] ويحدثنا القرآن العظيم في سورة النجم عن اقتراب يوم القيامة الموعود فيقول (أزمة الأزمة) وباعتبار القرآن نذير من النذر الأولى لاقتراب ذلك اليوم الموعود فيقول :﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾ [٥٦ – ٦٢] .

وفي سورة الأنبياء يقول القرآن العظيم في الآيتين الأولى والثانية :﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

وفي الآية السابقة والتسعين في نفس السورة يقول :﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ والحق كما يقول الله لرسوله الخاتم في سورة طه في القرآن العظيم :﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾[١٥ – ١٦] .

ولقد تحدث القرآن العظيم عن يوم القيامة والساعة التي تأتي الإنسان في

الأرض بغتة وعن ظواهرها وأحداثها ووقوف وحال الناس يومها وساعتها فقال على سبيل المثال ولي س الحصر :

١ -﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾[الزلزلة:١- ٥] .

٢ -﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾[المزمل:١٧] .

٣ -﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[الحج:١- ٢] .

٤ -﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾[الانفطار :١- ٤] .

وقد حدثنا القرآن العظيم عن صور أخرى ليوم القيامة فيسور أخرى مثل سورة الحاقة (١٣- ١٨) . والمعارج (٨- ١٨) ، والقيامة (٥- ١٥) . والمرسلات (٧- ١٣) .والنبأ (١٧- ٢٨) . والنازعات (٦- ١٤) . والتكوير (١- ١٤) والانشقاق (١- ٥) وغيرها من السور القرآنية ، والقرآن يريد من كل إنسان أن يظل على ذكر دائم بأمر الساعة أو القيامة واليوم الآخر لما لذلك من أثر نفسي وعقلي وقلبي وأخلاقي بالغ الأهمية فيسلوك الإنسان الفردي والمجتمعي وكذلك على المجتمعات والشعوب في صلتها ببعضها في الحياة الدنيا في مراقبة لربها وإتباع لهديه وتعارف وتعاون فيما بينها .

طبيعة الخطاب القرآني

إن الناظر والمتأمل في الخطاب القرآني يرى أنه جاء مُوجهًا للناس كافة لأنه يتحدث عن الله رب العالمين ، رب الناس وملك الناس وإله الناس كل الناس .

لذلك جاءت نداءات القرآن العظيم خالية من أي نزعة أو طابع عنصري أو إقليمي أو طبقي جاءت النداءات القرآنية موجهة أحيانًا إلى كل الناس وأحيانًا إلى أهل الكتاب . من اليهود والنصارى وأحيانًا إلى الذين آمنوا من الناس وأحيانًا إلى المسلمين كافة .. إلخ

وذلك يصل بنا إلى حقيقة يقينية ومؤكدة هي (عالمية القرآن) وبالتالي (عالمية الإسلام) و (عالمية نبي الإسلام) الذي أرسله ربه للناس كافة وشملت رسالته الثقلين الإنس والجن .

إن القرآن هو دستور الإنسانية ورسالته فيها خير البشرية كي تتطهر من الطغيان والظلم والإفساد والعدوان والاقتتال والأهواء الضالة والمضلة والمفسدة للإنسان في أخلاقه في نفسه وفي حياته في مجتمعاته وأوطانه ودوله ، وحتى ترقى هذه الإنسانية إلى منارات الهدى والرحمة والعدالة والخير والسعادة والأمن والأمان والاستقرار والسلام للإنسان ، كل إنسان في كل مكان وزمان ، إن أكثر الناس من غير المؤمنين في جهالة لحقيقة القرآن ومفاهيمهم عنه إما مغلوطة أو ناقصة أو معدومة . وكما يقول الطبيب الفرنسي موريس بوكاي[(١)] : « إن الأحكام غير الصحيحة المؤسسة على مفاهيم مغلوطة والتي صدرت ضد الإسلام هي من الكثرة بحيث يصعب جدًا على المرء أن يكوّن فكرة سليمة عما عليه الإسلام في الواقع » ويقول أيضًا : « إن الأحكام المغلوطة تمامًا التي تصدر في الغرب عن الإسلام ناتجة عن الجهل حينًا وعن التسفيه العامد حينًا آخر ... وإن الإسلام طالما أسيء فهمه في بلادنا» . انتهى .

إن القرآن العظيم كتاب أنزله الله يحمل دعوة عالمية للناس كافة موجهة إلى الإنسانية بالخير والنور والهداية والحق مركزًا على جملة مبادئ وقيم عليا من أهمها:

(١) في مفتتح كتابه «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم » (MAURICE BUCAL)

١- تحرير الإنسان من العبودية للإنسان وللأشياء وللأوهام .

٢- الإخوة والمساواة في الإنسانية المبنية على التوحيد .

٣- العدل لجميع الناس لا لجنس معين أو قوم منهم فقط .

٤- السلام العالمي وليس الجهاد إلا ضد الاعتداء ورد العدوان .

٥- التسامح مع غير المسلمين والتعامل معهم بروح إنسانية عالية بلا تعصب أو تطرف أو كراهية وإنما بأخوة الشراكة الإنسانية المتساوية .

ولا يجوز أو يصح أن يتناول أحد القرآن العظيم بالتفسير والتأويل أو الدراسة للحكم بينما رأسه مشحونة بأفكار ونظريات وتصورات وقلبه مفعم بقضايا وتصريفات ومشبهات أو كان من الكارهين والمتعصبين والهادمين الذين يقرأون القرآن قراءة سطحية قاصرة وموجهة ومنحازة غير محايدة توافق ما لديه من أفكار فيبرز ما وافقها ويسقط ما لا يوافقها خاصة إن كان ذلك في فير دراية محيطة بمعاني الآيات ودلالاتها الحقيقية الكلية ولا بمعرفة كاملة وشاملة بأسرار بيانها اللغوي العربي في سعته الإعجازية .. إلخ . وأن الآيات التي قد يفهم منها محدودية الدعوة القرآنية الإسلامية كما في الآية ٢١٤ من سورة الشعراء ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ والآية ٧ من سورة الشورى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ، والآية ٩٢ من سورة الأنعام ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ كلها آيات تتعلق ببيان مراحل الدعوة والتدرج فيها ، أما عالمية القرآن وعالمية الدعوة الإسلامية فلا يتطرق إليها شك أو ريب أو اشتباه والنصوص (الآيات) القرآنية صريحة وقاطعة في شأنها ومن أمثلتها :

- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

- ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١].
- ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [ص:٨٧].
- ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القلم:٥٢].
- ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨].
- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨].

لقد أوضح القرآن العظيم منذ فجر الدعوة أن رسالته عالمية ودعوته للناس كافة هدى وهداية ونور ورحمة لكل الناس عربًا كانوا أم عجمًا ولكل الدنيا شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا ولكل الأجناس والأعراق والألوان . كما وأن حقائق الوحي القرآني تحث على قيام المعاملات بين المسلمين وغير المسلمين على المودة والبر والإحسان والعدل في إطار من التعارف والتعاون وتبادل المصالح والمنافع والخبرات والمعارف والتجارب من أجل خير كل إنسان وخير وسعادة كل الإنسانية .

توجيهات سكرتارية الفاتيكان لإقامة حوار مع المسلمين

ومن هنا كان التغير الكبير الذي حدث تجاه الإسلام وتجاه القرآن في السنوات الأخيرة بصدور وثيقة سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسيحيين وعنوانها :

«توجهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين » وهي تتكون من مائة وخمسين صفحة تقريبًا تنبني على بسط ودحض نظرات المسيحيين الكلاسيكية أو الموروثة بالخطأ عن الإسلام وتقدم عرضا لما عليه الإسلام في الواقع ، وقد تناولت وثيقة الفاتيكان بالنقد عددًا من الأحكام الخاطئة الصادرة عن الإسلام من

قبل خطأ عقيدة الجبر التي تعارضها آيات القرآن وتتبين فيها مسئولية الإنسان وما سيحكم به عليه مما فعل أو عمل أو تكلم وحرية اختيار العقيدة الدينيـة في القـرآن كما في سورة البقرة في الآية ٢٥٦ : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ وسورة الحج في الآية ٧٨ : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ وتعـارض وثيقـة الفاتيكـان الفكـرة الخطـأ والشائعة إن الإسـلام ديـن الخـوف فتـرد النـاس إلى الفكـرة الصـحيحة وهـو أن الإسـلام ديـن الحـب حـب الإنسـان المتأصـل في الإيمـان بـالله وأن المسـلمين والمسيحيين يعبدون إلهاً واحدًا وقد دحضت الوثيقة الفكـرة التـي نُشـرت خطـأ والتي تقول بعدم كفاية الأخلاق الإسلامية والفكرة الخطأ التـي نشـرها كثيـر مـن اليهود والمسيحيين عن الجهـاد وتعصـب الإسـلام .والآن في زماننـا تثـار أفكـار خاطئة ومغلوطة عن صلة الإسلام بالإرهاب والتطرف وهو منها براء والقرآن منها براء وقد علق الدكتور موريس بوكاي في كتابه الذي أشرنا إليه سابقًا بقوله : « وإني لعلى يقين من أن دفاع الفاتيكان عن الإسلام سيثير دهشة كثير من معاصرينا سـواء كانوا مسلمين أو يهود أو مسيحيين فذلك إعلان يتميـز بـإخلاص وبـروح انفتـاح يتباينان بشكل واضح عن مواقف الماضي ولكن كـم هـم قليلـون حقًـا الغربيـون الـذين عرفـوا تلـك المواقـف الجديـدة التـي اتخـذتها أعـلى سـلطات الكنيسـة الكاثوليكية وهكذا فإن ممثلوا العالمين المسلم والمسيحي على أعلى المسـتويات يتفاهمون بهذه الكيفية في إخلاصهم لرب واحد وفي احترامهم المتبادل لاختلافهم ويتفقون على إقامة حوار ديني . فمن الطبيعي والحال هذه أن تقام المقابلات بـين مختلف جوانب الكتب المقدسة ، التوراة والإنجيل والقرآن ، وحتى تكـون هـذه المقابلة ذات قيمة يجب أن تكون الحجة العلمية المعتمـد عليهـا ثابتـة تمامًـا أي يقينية وألا تكون محل جدال والذين يتذمرون ويماطلون في قبول تدخل العلـم في عملية تقيم الكتب المقدسة ينكرون أن العلم يستطيع أن يشكل مقياسًـا في مقارنـة ذات قيمة » انتهى .

وإن كان كل ما قيل هنا صحيح إلا أنه فيما يتعلق بالمقابلة بين القرآن وغيره من الكتب السماوية (كالتوراة والإنجيل) المتداولان حاليًا في المجال العلمي في العلوم المختلفة لا يشمل إلا ناحية واحدة فقط من النواحي العديدة الإعجازية في القرآن العظيم وهي ناحية الإعجاز العلمي دون غيره ومن أوجه الإعجاز التي ذكرناها سابقًا في كتابنا وهي كثيرة .

إننا سنجد في القرآن العظيم ما يمكننا معه أن نفهم ونتفهم هذا التوجه للفاتيكان ولرجال فيه يخفي على أكثر المؤمنين بالتوراة والإنجيل وأكثر أتباع الديانتين اليهودية والمسيحية والديانة الإسلامية أيضًا .ويكشف القرآن العظيم في آياته المنزلة والموحاة من الله رب العالمين الذي يعلم من كل إنسان من كل معتقد واتجاه ما يجهر به وما يخفيه وما يعلنه وما يسره وما يبديه وما يكتمه ويقول على سبيل المثال :

١ -﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:١٤٤] .

٢ -﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١١٣– ١١٥] .

٣ -﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران:١٩٩] .

٤ -﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ

وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٢– ٨٥] .

وتجدر الإشارة إلى أن إجراء الحوار بين الثقافات والحضارات والأديان السماوية يعتبر عاملاً جوهريًا وأساسيًا في التقريب بين الشعوب وتعزيز التفاهم ورفع مستوى التواصل والترابط بينها .ولذلك فإن تعزيز وتدعيم التبادلات الثقافية للشعوب وأسس هذه الثقافات الدينية الإيمانية واحترام الهويات الثقافية لها المبنية على هذه الأسس من شأنه تطوير العلاقات بينها وهي العلاقات التي يدعو إليها القرآن ويدعمها وينمي أسسها ويؤيدها أنصار ومحبي السلام في العالم .

الأمم المتحدة وقرار الحوار بين الحضارات

وجدير بالذكر أنه في نوفمبر ١٩٩٨ اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارًا اعتبرت فيه عام ٢٠٠١ عام الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات وكان الهدف من القرار أساسًا – في تقديري – هو تطوير وتفصيل أواصر التعاون والتفاعل بين مختلف الشعوب والحضارات على قاعدة الاحترام المتبادل والفهم الصحيح المشترك . وأنه في الوقت الذي لا تؤيد فيه (العلمانية) ولا يهمها الحوار للتقارب بين الأديان وتركز هي وأنصارها والمؤمنين بها على الحوار بين الحضارات كبديل نجد أن الكنيسة المسيحية (الفاتيكان) قد طورت مفهوم الحوار بين الأديان وأبرزت موقفها في الوثيقة التي أصدرتها سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسيحيين والتي تناولنا أجزاء منها فيما سبق .

إن الحضارات في معظمها ذات أصول دينية ولكنها إذ أصبحت في عصرنا تغلب المادة ومقاييسها الدنيوية البحتة على قوامها ومبناها بمفاهيم تستمد من أصول إما علمانية وإما ماسونية وإما صهيونية وإما شيوعية فلسفية مادية

.بمحتويات لا دينية أو إلحادية تحارب الأديان السماوية كلها وأخلاقياتها وتحارب الدين الإسلامي وقرآنه العظيم بصفة خاصة بشتى الوسائل وباعتبار ما يقوله هنتجتون : أن الإسلام هو المشكلة المبهمة بالنسبة للغرب في حين أن الصراع أو الصدام في حقيقة الأمر ليس بين الديانات السماوية ولا بين الحضارات المبنية على أسسها وإنما هو بين المصالح بمختلف أنواعها لأن الحضارات على اختلافها تشترك في قيم إنسانية رفيعة وثقافات متنوعة تتعايش في سلام وبمحبة تكون أو يجب أن تكون .

هذا وإن الموقف السائد لدى الأوساط العلمية في اليونسكو (UNESCO) مثلا وغيرها منذ الثمانينيات يعترف بقيمة الثقافات الأخرى غير الغربية حتى أن المفوضية العالمية للثقافة والتنمية أكدت في تقرير لها عام ١٩٩٥ بعنوان «التنوع البشري الخلاق» كيف أن مشاريع التنمية الاقتصادية التي لم تأخذ الثقافة في حسبانها باءت بالفشل وذكر التقرير « أن التنمية خارج السياق الإنساني والثقافي نمو بلا روح » . ويلاحظ أن الفكر العلماني لم يستطع طرد الدين كلية من الدولة ولا من السياسة ولا من الحياة العامة في الغرب بل توصلت المجتمعات الغربية (لمعادلة التعايش) تزيد من تأكيد أن الحضارة الغربية حضارة مسيحية وهذا الوصف ليس للإساءة إليها وإنما هو لنفي حيدتها وموضوعيتها وعقلانيتها الخالصة وعدم قبولها لغيرها من الحضارات والثقافات وفي مفاهيم تبني على العولمة في سلبياتها .

ولما كان القرآن العظيم والنبي خاتم المرسلين يعتبر أن الناس سواسية في الإنسانية ولا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى أي بخشية الله والتحلي بمكارم الأخلاق الدينية فإنهم يهدفان بذلك إلى تعميق روح التفاهم بين الشعوب والتعاون بينهما والتعارف من أجل إزالة الخصومات وتخفيف حدة النزاعات

ودرء الاختلافات بهدف إقرار السلام بين الدول والشعوب والأمم على اختلاف أجناسها وألوانها ولغاتها وثقافاتها وبالطبع معتقداتها الدينية ويقول القرآن العظيم في ذلك : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:١٣] .

إن الدين في حقيقته وجوهره واحد لأن مصدره واحد ثابت لا يتغير وإن كان – كما يقول جورج برناردشو [١] . وصل إلينا في أكثر من مائة إصدار – وفي ذلك يقول القرآن العظيم :﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى:١٣] .

وكذلك كان الشاعر الألماني جوته (GOETHE) يقول في «الديوان الشرقي الغربي » : (إذا كان الإسلام يعني التسليم لله فإننا جميعًا نعيش ونموت مسلمين) . وهذا المفهوم للإسلام هو ما تدعوا إليه وتهدف إليه المسيحية أيضًا أي أن يُسلم الإنسان نفسه لله وبهذا المعنى يكون الدين عند الله هو الإسلام كما يقول القرآن العظيم . ويجب أن يكون معلومًا لكل الناس ولكل الأجيال ومراكز ومسئوليات القيادات فيها الحاجة الملحة لإجراء حوار ديني وحضاري يستطيع أن يساهم في بناء السلام العالمي ويُسكت صوت المتطرفين والأصوليين الذين روَّج لهم ولمبادئهم من هم أمثال : صمويل هينجتون دون أساس علمي سليم وبحيث يخلق ذلك جواً من الخوف والرعب يستغله أصحاب المصالح في تحقيق أغراضهم لمناهضة الجهود للسلام . كما وأن أسباب النزاعات ليست – كما يزعم هنتجتون – في اختلاف الحضارات لأن الصدامات والنزاعات تنشأ أيضًا داخل الحضارة الواحدة مثل ما حدث في الحربين العالميتين في القرن الماضي

(١) ١٨٥٦ – ١٩٥٠ وهو كاتب مسرحي وفيلسوف إنجليزي إيرلندي المولد وكاتب ساخر .

وزاد فيهما الضحايا عن ستين مليونا من البشر وهو عدد لا يقارن بعدد ضحايا الحروب التي دارت بين أوربا والإسلام على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان [1].
ولم تكن هي القاعدة التي غلبت وتميزت بها العلاقات الإيجابية الحضارية بين أوربا والإسلام والتي تمثل الصورة الصحيحة غير المغلوطة تمامًا عن هذه العلاقات وبذلك يمكن القضاء على المفاهيم والمعلومات المنقوصة أو المغلوطة أو الخاطئة التي تصور وتروج للعداء المتبادل بين الجانبين .

القرآن وحضارة المسلمين السابقة

والذين يهاجمون الإسلام في الغرب لا يزالون يعتمدون على الحجج الجدلية القديمة العقيمة المنحدرة من العصور الوسطى في حين أن الظروف في العالم تغيرت تغيرًا تامًا وتتطلب حلولا واقعية للمشكلات القائمة وجهودًا مشتركة للتغلب وإزالة سوء وخطأ الفهم وتصورات العداء والصراع والداعين إليها من الجانبين . والمعروف أنه بعد نهاية الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي (الغرب والاتحاد السوفيتي) تبنت إسرائيل فكرة ومقولة أن العدو الاستراتيجي القادم للحضارة الغربية هو الإسلام أو الأصولية الإسلامية .

وتبنى هذه الرؤية بعد ذلك اليمين الراديكالي في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الغرب بصفة عامة في تحالف مع اليمين الإسرائيلي المتطرف والمتشدد لتحقيق أهداف لسياسات منها المعلن المعروف ومنها الخفي غير المعروف تتعاون فيه الصهيونية مع الماسونية .

إن السلام المنشود في عالمنا الواحد لا يعني تذويب الحضارات في حضارة واحدة يسندها السبق العلمي والتقني والتكنولوجي بالقوة المادية وغير ذلك

(١) يراجع كتاب «الإسلام وقضايا الحوار » للدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف الأسبق في مصر / المترجم بمعرفة دكتور مصطفى ماهر إلى العربية

وإلغاء الخصوصيات للحضارات الأخرى فالتمايز الحضاري والديني من السمات الإيجابية التي ستظل قائمة على الرغم من الاتفاق في الأهداف وحتى العولمة التي بدأت تتغلغل في كل أنحاء العالم لا يجب ولا تستطيع أن تفرض حضاراتها وقيمها وثقافتها وأسلوب حياتها في كل أنحاء العالم دون اعتبار لخصوصيات الحضارات والأديان الأخرى وما فيها من قواسم مشتركة تعمل على إزكاء التسامح والتعاون والتعارف من أجل تحقيق سلام العالم يتمتع في ظله كل إنسان بالاستقرار والأمن والأمان بعيدًا عن تفاصيل عقائده في الإله الذي يعبده ويحاسبه عليه الله يوم القيامة في الآخرة وليكون الهدف في الدنيا للجميع كما ذكرت هو تحقيق السلام العالمي والتعاون والتعارف والتعايش السلمي بين الشعوب وبين الناس في مجتمعاتهم ودولهم وأوطانهم .

ومنذ تدهور وسقوط الحضارة الإسلامية لأسباب كثيرة ومتداخلة ومتشابكة تدنى مستوى المسلمين حتى صاروا محسوبين في عصرنا في عداد الشعوب المتأخرة والدول النامية التي يضرب فيها التخلف ومظاهره والانغلاق والجمود فضلاً عن التطرف والإرهاب عند جماعات ومجموعات منهم وينخر في دولها وفي أخلاقيات وسلوكيات شعوبها ابتعادها عن مبادئ وتعاليم هذا الدين وكتابه القرآن العظيم وسنة رسوله الكريم وتوجهاتهما. بينما أن الفضل الأكبر يرجع إلى عرب إسبانيا في تقديم خلاصة الفكر العربي في العلوم والآداب والفلسفة إلى غرب أوروبا فضلاً عن تعريف الأوروبيين بكثير من تراث اليونان القديم.

إنه لا يعيب القرآن العظيم أن يكون مستوى حياة ومعيشة المسلمين المؤمنين به مستوى متدني بالقياس إلى غيرهم كما أنه لا يعيب القرآن العظيم أن تكون الصلة تكاد تكون منقطعة بين حاضر واقع أهله إذا قارناه بما أنجزه السابقون من العلماء العرب والمسلمين من إنجازات كثيرة في المجال العلمي والمعرفي والبحث والابتكار فيهما وأقاموا بذلك في ماضيهم حضارة كانت سباقه على حضارات قامت في وقتهم ولم

تزدهر في الغرب إلا مع بداية عصر النهضة في أوروبا.

ويقول المؤرخ جورج سارتون في كتابه «تاريخ العلـم» (الكتـاب الأول) : «إن المسلمين عباقرة الشرق في القرون الوسطى لهم مآثر عظمى على الإنسانية تتمثـل في أنهم تولوا كتابة أعظـم المؤلفـات والدراسـات قيمـةً وأكثرهـا أصـالةٌ وعمقًـا مستخدمين في ذلك لغتهم العربية التي كانت بلا شك لغة العلم للجنس البشري في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثامن الميلادي وحتى نهاية القرن الحادي عشـر لدرجة أنه كان يتحتم على الشخص الذي يريد الإلمام بثقافة عصـره وبأحـدث مـا يجري فيه من علوم أن يتعلم اللغة العربية» .

وهي نفس اللغة التي يتم بها التواصل مع القرآن العظيم في كـل عصـر ووقـت وزمان متى توفر عند أهله الإخلاص والصدق والحرية والحيدة وعـدم التحيـز أو العداء والكره أو نقص أو انعدام أو خطأ المعلومات عندهم كما أن فقه العربية لغة وبيانًا هو أداة النظر في كتاب الله وفي كل أوجه إعجازه.

وكما قلنا فإن القرآن العظيم يوحد ولا يفرق بـين القضـيتين الدينيـة والعلميـة فالعلم دين والدين علم وما جاء به الله في القرآن هو كما يقـول ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف:٥٢] وكما يقـول ﴿الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١] وكما يقـول ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سـبأ: ٦] فالذي جاء به الله سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد هو دين وعلم كما ذكـر القـرآن العظيم في الآية ١٢٠ والآية ١٤٥ من سورة البقرة، وكما أشار إلى القضـية الدينيـة بمفهوم القضية العلمية في سور (مريم الآية ٤٣) و (يوسـف الآيـة ٢٥) و (الأنبيـا الآية ٧٤) و(النمل الآية ٣٥) و (القصص الآية ١٤) وغيرها.

والمتحدث في القضيتين (الدينية والعلميـة) هـو الله العلـيم الخبيـر والحكـيم

القدير بكمالاته المطلقة.

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين في عصور نهضتهم السالفة التي مهد لها القرآن العظيم ورعاها أضافوا إلى مفهوم العلم النظري – الذي كان اليونانيون يتمسكون به – نهجاً جديداً هو استخدام العلم من أجل كشف أسرار العالم الطبيعية وتمكين الإنسان من السيطرة عليه واستغلاله لصالحه (المنهج التجريبي)+ (الحقائق الرياضية) وبذلك جمعوا بين النظرية والتطبيق في إطار حضارتهم التي قامت على مفهوم الإسلام الجامع بين الدين والدنيا، ولم تكن فكرة التعارض بين العلم والإيمان أو العلم والدين واردة في أذهانهم.

وقد أخذ الأوربيون من العلماء المسلمين معارفًا وعلومًا وأفكارًا وفنونًا ومخترعات جديدة أثناء احتكاكهم بهم في الأندلس وصقلية وفي الحروب الصليبية في الشرق وغيرها مهدت للنهضة في أوروبا وفي الإصلاح الديني بها .

وكما يقول «بريفولت» في كتابه «بناء الإنسانية» : «لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن لم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة بل هناك مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باقورة أشعتها إلى الحياة الأوربية وليس هناك ناحيةٌ واحدة من نواحي الازدهار الأوربي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا .. إنه يدين لها بوجوده نفسه ».

القرآن والفرق بين الناس تجاه هذا الكتاب

في القرآن العظيم يقول الله تعالى رب العالمين :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء:٩- ١٠] .

ولكل من كان قارئًا لكتابي أقول ما يقوله القرآن العظيم :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد ٢٤] .

وأخيرًا فإن القرآن العظيم يفرق في مواقف الناس من هذا الكتاب الرباني بين المؤمنين وبين الكافرين الملحدين وبين المنافقين المخادعين فيقول في سورة البقرة ثاني سورة من سور المصحف : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾
وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ
﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا
يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ
وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا
نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [البقرة:١- ١٦] .

وبعد

فإن كل ما ذكرناه في كتابنا هذا مما تناوله القرآن العظيم ليس إلا نزرًا يسيرًا جدًا وقليلاً جدًا لا يقارن بما لم نذكره في كتابنا عما تناوله القرآن العظيم ، ومع ذلك فما ذكرناه يمكن أن نفهم ونتفهم معه ما يدعونا إليه ربنا الله تبارك وتعالى في هذا الكتاب الخاتم وكما في أصول كتبه السابقة وهو المصدق لها فيما يدعو إليه المؤمنين ويدعو إليه جميع بني الإنسان الشركاء في الإنسانية لتبين الحق ومعرفة الحقائق في الوجودين الدنيوي والأخروي (عالمي الشهادة والغيب) واستشعار

الحق والحقيقة وتذوق آيات الجمال والجلال والكمال في الكتاب المسطور (القرآن العظيم) وفي الكتاب المنظور (الكون العظيم) وحتى تنالنا كلنا رحمات الله وينالنا كلنا رضاه .

التوجه القرآني

اللهم يا وجاب الوجود لذاته [(١)]، خلقت كل شيء بتجليات أسمائك وصفاتك ، اللهم أشهدني مصنوعاتك ممحوة بآياتك ، وآياتك ممحوة بأسمائك وصفاتك وأسماءك وصفاتك مجلية بقدر عظمة ذاتك ، أنت نور السماوات والأرض وأنت قيوم لسماوات والأرض ، وأنت راحم الدنيا والآخرة ، وأنت رحمن الأولى والآخرة ، أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلب ، ونور بصري وبصيرتي ، ورفيقي في دنيا حقيقتي اللهم اجعله لي هاديًا واجعلني به مهديًا ، ووفقني لأكون به مهتديًا ، اللهم علمني منه ما جهلت وذكرني منه ما نسيت ، رب حبب إليّ تلاوته ، وأعني عليه لأفهم مقالته ، واجعل لي في كل يوم قدرًا منه مذكورًا ، وقلبًا به معمورًا ، ووجودًا به مستورًا ، اللهم زدني علمًا بآياته ،وفهمًا لكلماته ، اللهم أعني على ذكرك بالقرآن ، وشكرك بالفرقان ، وحسن عبادتك بالبرهان وفقهني في ديني حتى أرتل القرآن ترتيلا ، ويسر لي قراءته بالفهم تفسيرًا وتأويلاً ، حتى تنكشف لي حقائقه الظاهرة والباطنة ، بفقه وإتباع للشريعة في ظاهري ، وكشف واهتداء للحقيقة في باطني ، حتى يكون قلبي بيت لله معمور بالله ،ونفسي صافية في الله مطمئنة بالله ، وبدني محفوظ بلا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم اجعل لي في كل يوم وليلة من القرآن وردًا موردًا ، وسلوكًا محمودًا ، وسندًا ممدودًا ، وحافظًا موجودًا ، واجعله حفيظي من الشيطان ، ومن

(١) واجب الوجود لذاته هو الذي لا يحتاج إلى سبب أو علة لوجوده ولا يفتقر إلى غيره في وجوده .

شر كل إنس وجان ، اللهم أمدني بنور من نور القرآن ، وأخلاق من هدْي القـرآن ، وطاقة من روح القرآن ، وحكمة من فرقان القرآن ، واجعلني لآيات القـرآن عبـدًا مطيعًا ، ولحكمة القرآن عبدًا سميعًا ، واجعله لي من المعاصي سدًا منيعًـا ، ويـوم القيامة شاهدًا وشفيعًا ، لا إله أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فاسـتجبنا لـه ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا .

نبذة عن المؤلف

-ولد في بني سويف من محافظات مصر عام ١٩٣٨ م وعاش في القاهرة .

-حصل على الثانوية العامة الإنجليزية (GCE) من كلية فيكتوريا بالقاهرة (VICTORIA COLLEGE) عام ١٩٥٤ م ، ثم حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٥٩ .

-تلقى محاضرات الدراسات العليا بقسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة والمعهد العالي للدراسات الإسلامية بالقاهرة .

-دورة في المعهد الاستراتيجي للأمن القومي بالقاهرة .

-دورة في أكاديمية ناصر للعلوم الإستراتيجية .

-حاضر في المعهد الدبلوماسي عن دولة الفاتيكان وتلقى بالمعهد دورة تحضيرية لمنصب السفير .

-التحق بمدرسة الإمام محمد ماضي أبو العزائم الصوفية الجامعة بين الشريعة الإسلامية والحقيقة الروحية وخلالها تأسس بنيانه الديني الإسلامي واتسعت ثقافته الدينية العلمية والصوفية .

-عمل في سفارات مصر في البرازيل والسودان والسعودية وماليزيا وكوريا الديمقراطية الشعبية (الشمالية) وقنصلا لمصر في جدة ونيويورك ، ثم سفيرًا لمصر في ماليزيا وسلطنة بروناي وكوريا الديمقراطية الشعبية .

-اتصل عبر عمله في السلك الدبلوماسي المصري في الخارج بالثقافات

المختلفة ومكنته إجادة اللغات الأجنبية خاصة الإنجليزية ، كسب خبرات الاحتكاك بهذه الثقافات في البلاد التي عمل بها أوزارها .

-حاصل على وسام الاستحقاق في مصر في عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات وعلى أكبر وسام من اللجنة المركزية الشعبية للحزب في كوريا الديمقراطية الشعبية .

-شارك في برنامج دولي ثقافي بماليزيا قدم خلاله معارفا إسلامية وشعرًا عن فلسطين وشعبها .

-جده لوالدته فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد العباس المهدي شيخ الأزهر ومفتى الديار المصرية الأسبق .

-له العديد من المؤلفات الإسلامية ذات نهج يجمع بين الدين والعلوم الحديثة والتوجه الصوفي الروحي .

كتب للمؤلف تم نشرها

١-الإنسان والخلافة في الأرض(دار الشروق).

٢-حول المرجعية القرآنية – تحديد المفاهيم (مكتبة الشروق الدولية).

٣-حول المرجعية القرآنية- أخلاقيات المال(مكتبة الشروق الدولية).

٤-حول المرجعية القرآنية-في النفس والأخلاق (مكتبة الشروق الدولية).

٥-أصول النهضة الإسلامية (مكتبة الشروق الدولية).

٦-الدين والدولة الحديثة (مكتبة الشروق الدولية).

٧-الإسراء والمعراج «وعلوم العصر » (دار الكتاب المصري اللبناني).

٨-أضواء على الطريق إلى الله (المؤلف).

٩-قراءة معاصرة في كتاب الله (المؤلف).

١٠-مورد الحكمة وأوراد الحكيم (المؤلف).

١١-رسالة في التوحيد (مكتبة جزيرة الورد).

١٢-في معية الرسول في القرآن الكريم (مكتبة الشروق الدولية).

١٣-الله جل جلاله بين التثليث والتوحيد (المؤلف).

١٤-حديث الروح في أسماء الله الحسنى (المؤلف).

١٥-الفتوحات الربانية في الصلاة على الذات المحمدية (المؤلف).

١٦-مشاهد في جوهر الصلاة (المؤلف).

١٧-معارج المؤمنين إلى الإحسان واليقين (دار الكتب الصوفي).

١٨-البعد الحضاري في سياسات الإصلاح والنهضة (لم يكتمل).

١٩-الإنسان ويوم الحساب (مكتبة الشروق الدولية).

٢٠-المرجعية الإسلامية للدولة المدنية القانونية – رؤية لمصر ما بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ (مكتبة الشروق الدولية).

٢١-البعد الحضاري الإسلامي للدولة المدنية الديمقراطية (مكتبة الشروق الدولية).

كتب للمؤلف لم تنشر بعد

٢٢-رؤية في الإسراء.

٢٣-مكارم الأخلاق في الإسلام – حاجتنا الملحة.

٢٤-الله يتلجى بأسمائه الحسنى وطاقاتها.

٢٥-واقترب الوعد الحق – يوم القيامة .

٢٦-زي المرأة المؤمنة ولباس التقوى.

٢٧-إبراهيم الخليل عليه السلام .

٢٨-رؤية في تجديد الخطاب الديني في الإسلام – لم يكتمل بعد.

٢٩- الإنسان فكر متجدد من الدين والعلم.

٣٠-الطريق إلى الله –دين ودنيا .

٣١-أضواء على الفكر الاقتصادي في الإسلام.

٣٢-المحمد ﷺ (جزءان).

٣٣-الإمام محمد ماضي أبو العزائم – مجدد الدين في زماننا.

٣٤-مع الإمام المجدد أبي العزائم.

٣٥-الله نور السماوات والأرض –ومَثَلُ نوره .

٣٦-موسى والعبد العالم.

٣٧-يوسف الصديق.

٣٨-أخلاقيات المال في الإسلام .

٣٩-مشاهد في جوهر الصلاة.

٤٠-الحقائق الغائبة في كتاب «موجز تاريخ الزمن» لستيفن هوكنج .